جامعة أم القرى
كلية الشريعة والدراسات الإسلامية
قسم الدراسات العليا للتاريخ
والحضارة الإسلامية

دور ابن تيمية في الجهاد ضد المغول الأيلخانيين

من ٦٦١ إلى ٧٢٨هـ

بحث مقدم لنيل درجة الماجستير في التاريخ الإسلامي

إعداد

الطالبة مريم محمد عوض بن لادن

إشراف

الأستاذ الشيخ الدكتور إبراهيم علي شعوط

١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م

بسم الله الرحمن الرحيم

محتويات البحث

محتويات البحث

.. .. ..

شكر وتقدير

شكـــر وتقديـر

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف الأنبيـــاء والمرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم . وبعد

فأقدم خالص شكرى وتقديرى للأستاذ المشرف الشيخ الفاضل الدكتور ابراهيم على عوط الذى أمدنى طيلة مراحل البحث بالتوجيه والأرشــاد ، وأفادنى بخبرته وأفكاره وآرائه القيمة ، فجزاه الله عنى خير الجزاء .

كما أتقدم بجزيل شكرى وامتنانى لكل من أمدنى من مكتبته الخاصـة بالكتب القيمة التى أفادتنى فى هذا البحث ، ولكل من ساعدنى فى اخراج هذا البحث فللجميع أدعو الله سبحانه وتعالى أن يجزيهم عنى خـــير الجزاء .

وأسأل الله العظيم أن يجعل أعمالنا خالصة لوجهه الكريم وأن يرشدنا لعمل ما يحب ويرضى . والحمد لله رب العالمين .

الطالبة

مريم محمد عوض بن لادن

المقدمة

نطاق البحث وعرض لأهم المصادر والمراجع

المقدمـــة :

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم ، من يهد الله فلا مضل له ومن يضلـــــل فلا هادى له .

أما بعد ، فهذا بحث بعنوان (دور ابن تيمية فى الجهاد ضـــد المغول الأيلخانيين) ولقد ذكرنا الايلخانيين لكي نفرق بينهم وبين مغول القبيلة الذهبية الذين اتجهوا بفتوحاتهم الى روسيا وبلغاريا . . . حيـــث أسلموا منذ وقت مبكر ، وقامت بينهم وبين المماليك فى مصر علاقات مودة ومحبة ، بينما هؤلاء المغول الأيلخانيين هم الذين خرجوا من بلاد الصين وتوغلـــوا فى العالم الاسلامي واقتلعوا جذور الممالك الاسلامية الى أن وصلوا بغـــداد وكونوا لهم فيها مملكة ممتدة الأطراف شملت فارس والعراق .

كان لاتصال حدود مملكتهم فى بلاد الشام ببلاد مصر حيث سلطـــان المماليك حكام مصر والشام ، ولطبيعة المغول التوسعية أن قامت الحروب بين الدولتين استطاع فيها المماليك انزال الهزائم المتكررة بهم ، فلمـــا رأى السلطان غازان المغولي أنه لا قدرة له على حرب المماليك المسلمين أعلن أنه اعتنق الاسلام وأنه يحارب لنصرة الاسلام، ففهم المسلمون أنهم يقاتلـــون اخوانا لهم فى الاسلام ففترت عزائمهم وحلت بهم الهزيمة فى موقعة وادى الخازندار سنة ٦٩٩ هـ. فاستدعى الحال أن يكون هناك عالم عامل يكشـــف خديعة المغول باسلامهم المزيف ويعيد للجندى المسلم اعتباره ويبين للجيش المصرى أن اسلام المغول كان خديعة منهم ولم يكن اسلاما حقيقيا ، فكـــان ذلك العالم هو الشيخ الامام القدوة تقى الدين أحمد بن تيمية ، ولقد كـــان

السبب فى اختيارى لهذا البحث هو شخصية ابن تيمية الفذة ودوره فى أحداث تلك الفترة ، فهو نسيج وحده ، ونحن لا ندعى له العصمة فالعصمة لله وحده ولكنه كان رجل السيف والقلم أعطى لكل عمل حقه ، ولما كانت جهود الباحثين فى تاريخ ابن تيمية كلها تقريبا موجهة الى شخصية ابن تيمية العلمية أردت أن ألقى بعض الضوء على دوره الجهادى فى محاربة **التتر** المغول .

ويشمل **البحث** أربعة فصول فى كل فصل عدة نقاط كالتالى :

الفصل الأول :

١ - نشأة ابن تيمية وتربيته : تحدثت فيها عن ولادة ابن تيمية فى حران سنة ٦٦١ هـ ثم فرار أسرته من حران الى دمشق بعد اقتراب الخطر المغولي منها حيث حطت الأسرة رحالها فى دمشق وتبوأت فيها مكانة كبيرة لمنزلتها العلمية الذائعة الصيت .

ثم تطرقت الى تلقى ابن تيمية للعلم من **والده** وقوة حافظته ثم ذكرت بعض شيوخه الذين تلقى منهم العلوم المختلفة ، ثم نشاطه العلمى حيث تأهل للتدريس والفتوى وهو دون العشرين ، كما **تسلم** وظيفة والده بدار الحديث السكرية بعد وفاته سنة ٦٨٢ هـ ، ثم تحدثت عن مجالس علمه فى دمشق وكثرة من يدرس عليه من الطلاب .

٢ - علاقة ابن تيمية بالحكام والعلماء والعامة : تحدثت فيها عن عدم خوف ابن تيمية من قول الحق مما جمع حوله المحبين وأثار ضده المغرضين الحاقدين ، ثم تطرقت الى علاقة ابن تيمية ومنزلته بين

محبيه من الأمراء مع التعريف ببعض الأمراء ومكانة ابن تيمية فى قلوبهم ثم ذكرت علاقته بالسلطان الناصر الذى كان شديد الحب له فقربه اليه ، الى أن استطاع خصومه بعد رحيله الى الشام أن يكيدوا له لدى السلطان فسجنه سنة ٧٢٨ هـ ، ثم تطرقت الى ذكر خصوم الشيخ من الحكام والعلماء وما ناله من أذى على أيديهم وعفوه عنهم حين تمكن منهم ، ثم ذكرت بعد ذلك محبى الشيخ من العلماء وتحملهم فى سبيل ذلك كثيرا من المشاق والمتاعب.

وختمت الموضوع بعلاقة ابن تيمية بالعامة حيث تجلت محبتهم له فى المواقف الحرجة التى وقفها الشيخ ابن تيمية من الحكام مما يدلنا على عظيم محبته ومكانته فى قلوب الجماهير.

٣ - تلامذته : **ذكرت** فيه بعض تلامذة ابن تيمية لأنه مهما حاولنا حصر تلامذته فلن نستطيع ذلك لكثرتهم ، فذكرنا تلميذه الكبير ابن قيم الجوزية ، ونشأته وعلمه ، وثناء بعض الأئمة عليه وأشهر كتبه .

ثم تحدثت عن ثباته على **مبدأ** أستاذه وتحمله فى سبيل ذلك السجن والاضطهاد ثم ذكرت تلميذه الذهبى ثم ابن كثير ، وابن عبد الهادى والشيخة فاطمة بنت عباس .

الفصل الثاني :

ويشمل ثلاثة نقاط كالتالى :

١ - انهيار المقاومة الاسلامية أمام المغول : تحدثت فيها عن أصل التتر واحتكاكهم ببلاد خوارزمشاه وأسباب ذلك الغزو ، ثم انهيار المقاومة

الاسلامية ، أمام الزحف المغولي وسقوط المدن الاسلامية الواحدة تلو الأخرى في أيديهم وتراجع السلطان محمد خوارزم شاه أمام قوتهم ثم وفاته ، وحمل ابنه جلال الدين لواء المقاومة بعده حيث نجح في البداية في صد هجمات التتر الى أن دب الاضطراب في جيشه وأدى الى انسحاب أكبر قواده من الساحة وذهابه الى الهند حيث تبعه كثير من الجند فكان هذا سببا في اضعاف جلال الدين واخفاقه في صد هجمات التتر فطورد وقتل على يد أحد الأكراد .

٢ - <u>قيام دولة المغول في العراق :</u> تحدثت فيها عن أسباب الغزو المغولي للعراق وماقيل نحو دعوة ابن العلقمي الشيعي المغول لدخولها وازالة الخلافة العباسية ، واقامة دولة وثنية مغولية بزعامة هولاكو سنة ٦٥٦ هـ ثم ختمت الموضوع بذكر ملوك العراق من بني جنكيزخان بعد تولي هولاكو للحكم في فارس والعراق ثم انتقال الحكم بوفاته لابنه أبغا وهكذا الى أن ذكرت أهم ملوكهم في تلك الفترة .

٣ - <u>علاقة المماليك بالمغول في العراق :</u> تحدثت فيها عن حالة بلاد الشام ومصر في فترة قيام دولة المغول في العراق وكيد أمراء المماليك بعضهم لبعض، ثم توحيد الملك المظفر قطز للجهود واعلانه الجهاد في سبيل الله ، فكانت بذلك بداية العلاقة بين الدولتين علاقة عداء مستحكم استمر طوال فترة حكم الظاهر بيبرس والسلطان المنصور قلاوون حيث قامت في عهده محاولة صلح بين الدولتين الا أنها لم تتم لمقتل السلطان أحمد تكدار سلطان المغول ، فاستمر العداء بين الدولتين حتى أعلن غازان اسلامه لكي يستطيع - من

خلاله - أن يحقق نصرا على المماليك بعد هزيمة المغول في عين جالوت فقامت المعارك بين الدولتين ، فنجح غازان في كسب الجولة باسلامه المزيف في موقعة وادي الخازندار الا أن المسلمين تنبهوا بعد ذلك بعد أن أعلن ابن تيمية تكفيرهم باسلامهم المزيف فقامت بينهم موقعة تل شقحب ، انتصر فيها المسلمون بعد مارفعوا لواء الجهاد في سبيل الله ، وظل العداء بين الدولتين ظاهرا الى أن ارتقى عرش المغول السلطان أبو سعيد وكان قد نشأ وترعرع في ظل الاسلام ، فتبادل الرسائل مع السلطان الناصر محمد بن قلاوون والهدايا وسادت فترة هدوء ومحبة بين الدولتين استمرت الى ما بعد وفاة أبي سعيد .

الفصل الثالث :

وتحدثت فيه عن النقاط الآتية :

١ - تحدثت فيه عن تفرد ابن تيمية عن علماء عصره بجرأته وجهاده واقتران قوله بالعمل حيث جاهد بالكلمة والقلم واليد والسيف .

فجهاده بالكلمة يشمل محاضراته ومناظراته وتصديه لأهل البدع والضلالات في المجالس التي كان يقيمها ليكشف عيوبهم واظهارها للناس أمثال الصوفية والأحمدية .

أما جهاده بالقلم فيشمل جميع مؤلفاته ومصنفاته التي سجلت أمجاده وبقيت على الدهر تراثا علميا شاهدا على سعة أفقه ومقدرته العلمية النادرة ، ثم رسالته الخالدة الى ملك قبرص يدعوه لمعاملة أسرى المسلمين بالحسنى ، ويبين له محاسن الاسلام .

أما جهاده باليد فيشمل :

(١) محاربته للمنكر وازالته له بيده بدون اذن ولي الأمر ثم رجوعه في هذا الأمر واقراره بالخطأ .

(٢) جهاده بالسيف ويشمل معاركه الحربية التى خاضها ضد الكفره والملحدين ، فذكرت اشتراكه فى فتح عكا وما قام به هناك من أعمال بطولية ، ومشاركته فى القتال بنفسه حيث ظهرت مقدرته القتالية بين الجنود فى الميدان .

٢ - دور ابن تيمية بعد موقعة وادى الخازندار : تحدثت فيها عن خطة غازان التى اتبعها لمحاربة المسلمين ، واعلان اسلامه للقضاء على أى محاولة يمكن أن تقف فى وجهه ، وعن سير المعركة وأسباب الهزيمة التى أصابت المسلمين،وتطرقت الى أفعال التتر القبيحة فى بلاد الشام مما يناقض خبر اسلامهم وكشف ابن تيمية لخطتهم وتكفيرهم ، وحمله لواء المقاومة ضدهم حيث أعلن وجوب مقاومة التتار الكفار،وأمر بالتدريب على استعمال السلاح لجميع المسلمين حتى يرد اعتبارهم .

الفصل الرابع :

ويشمل النقاط الآتية :

١ - دور ابن تيمية في موقعة تل شقحب : ذكرت فيه أوائل الموقعة حيث جهز غازان جيشا كبيرالمحاربة المسلمين فسلط الله عليهم الثلج والبرد وردهم على أعقابهم ، ثم سير غازان فى السنة التالية سنة ٧٠٢ هـ فحدث الاشتباك الفعلى بين الدولتين فى تل شقحب

أو مرج الصفر ، حيث كان لابن تيمية دور كبير فى تقوية نفوس الجند وتثبيتهم واشتراكه الفعلى فى المعركة ، فتحقق النصر للمسلمين فى هذه الموقعة بعد أن صدقوا الله فى الجهاد .

وختمت الموضوع بقطع دابر المنافقين والروافض وكسر شوكتهم باستثارة ابن تيمية الهمم لمحاربة الكسروانيين وقيادته للجيش لمحاربتهم وانتهاء المعركة لصالح المسلمين سنة ٧٠٥ هـ .

٢ - <u>سجن ابن تيمية ووفاته</u> : ذكرت فيه سجن ابن تيمية فى مصر والشام نتيجة لفتاوى ابن تيمية الجريئة التى هاجمت العرف السائد فى تلك الفترة وعارضت آراء العلماء فكان أن وضع فى السجن عدة مرات كان فى بعضها حماية له من سخط العامة وكيد خصومه ، وأحيانا تأديبا له بعد أن مس اعتقاد الناس فى شخص الرسول صلى الله عليه وسلم الى أن توفى سنة ٧٢٨ هـ .

وختمت الفصل بذكر جنازته وثناء الأئمة عليه وبعض المراثي التى قيلت فيه .

ثم ألحقت بالبحث ملاحق لنصوص وثائق رسائل متبادلة بين سلاطين المماليك والمغول ... الخ . وملحق خرائط توضيحية لبعض المناطق والمعارك .

. . . .

التعريف ببعض المصادر والمراجع
التي استخدمت في البحث

لقد اعتمدت في كتابة هذا البحث على عدد من المصادر القديمة والمراجع الحديثة ، استفدت منها فائدة كبيرة ، وسأقتصر هنا على ذكر بعض هذه المصادر التي اعتمدت عليها بصفة رئيسية ومن أهمها :

١ - العقود الدرية : ابن عبد الهادي (٧٠٤ : ٧٤٤هـ)[1] ، دار الكتب العلمية - بيروت .

كان ابن عبد الهادي تلميذا معاصرا لابن تيمية في فترة حياته الأخيرة وملازما له ، لذلك نراه يتناول في كتابه حياة ابن تيمية وثناء الأئمة عليه - ويذكر مصنفاته الكثيرة ثم يتدرج لذكر جهاد الشيخ للتتر حيث أورد رسائل كاملة من الشيخ ابن تيمية لحث السلطان والمسلمين على مجاهدة التتر والمنافقين مستشهدا بما وقع أيام الرسول صلى الله عليه وسلم في غزوة الأحزاب ، وقد استفدت من هذه الرسالة كثيرا ، فقد تحدث فيها ابن تيمية حديثا جيدا ربط فيه الأحداث في عصره بما حدث في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم مستشهدا بالآيات القرآنية لتدعيم أقواله .

---

(١) توجد له ترجمة خاصة في داخل البحث في موضوع : تلامذته .

ثم تناول ابن عبد الهادى شجاعة الشيخ فى معاركه ضد التتر ثم الكسروانيين (١) ومحاربته للروافض المفسدين مع شرح عقائدهم الفاسدة ، ثم ذكر قيام خصوم الشيخ عليه وسجنه عدة مرات الى وفاته بقلعة دمشق سنة ٧٢٨ هـ.

وقد أفادنى الكتاب كثيرا لأنه مختص بحياة شيخ الاسلام والأحداث الهامة فى حياته .

٢ - البداية والنهاية : ابن كثير (٧٠٠ - ٧٧٤ هـ) (٢)
(١٩٧٧ م الطبعة الثانية - مكتبة المعارف - بيروت)

يتناول هذا الكتاب تاريخ الأنبياء عليهم السلام ثم يتدرج الى سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم ثم الخلفاء الراشدين ، وهكذا الى أن يصل الى أحداث عصره ، فهو يتدرج فى ذكر الأحداث حسب السنوات حيث يذكر فيها أهم الأحداث التاريخية فى العالم الاسلامى ثم يختم السنة بذكر أشهر من توفي فيها من الحكام والأمراء والعلماء ، وهو يتكون من أربعة عشر مجلدا ، ولقد استفدت كثيرا من الجزأين ١٣ ، ١٤ حيث عنى ابن كثير بأهم الأحداث التى حدثت لابن تيمية وأبرزها فى كتابه لم أجدها فى أى كتاب تاريخى آخر ، فأبرز دور

---

(١) الكسروانيين : هم سكان جبل كسروان وهم من الروافض والبغاة الذين خرجوا على تعاليم الاسلام الصحيح وهم من جنس الدروز والنصيرية ، وهم فى لبنان .

(٢) توجد له ترجمة خاصة فى : تلامذته .

ابن تيمية فى محاربته للبدع والخرافات ، واشتراكه فى الجهاد ضد المغول ثم الروافض ، كما تعرض لابتلاءات الشيخ وسجنه ، ومن أسباب حقد خصومه عليه. هذا بالاضافة الى استفادتى من هذا الكتاب فى تراجم بعض الشخصيات .

٣ - الأعلام العلية (للبزار) هو محمد بن على بن موسى بن الخليل البغدادى الأزجى الفقيه المحدث ولد سنة ٦٨٨ هـ وتوفى سنة ٧٤٩ هـ ، عنى بالحديث ، وحج عدة مرات ، كان يلازم مجالس الشيخ ابن تيمية ، وأخذ عنه الكثير.(١)

(دار الكتاب الجديد - بيروت - الطبعة الأولى ١٣٩٦هـ - ١٩٧٦م) .

أفرد البزار كتابه هذا لترجمة حياة ابن تيمية وجعله أربعة عشر فصلا فى مولده ، وغزارة علومه وفى مؤلفاته ، وفى تعبده وزهده ، ثم تحدث فيه عن ايثاره مع فقره ، وفى قوة قلبه وشجاعته واحتماله الشدائد فى سبيل الله. ولقد استفدت من الكتاب استفادة كبيرة لتناوله عدة جوانب من حياة ابن تيمية .

٤ - السلوك (للمقريزى) هو أحمد بن على بن عبد القادر بن محمد ولد سنة ٧٦٠ هـ وتوفى سنة ٨٤٥ هـ ، نشأ بالقاهرة وتفقه على

---

(١) للاستزادة من ترجمته يراجع كتاب ابن رجب ذيل طبقات الحنابلة جـ ٤ص ٤٤٤ - ٤٤٥ .

مذهب الحنفية ثم انتقل الى المذهب الشافعي - تولى الحسبة في القاهرة ثم لازم داره للخلوة والعبادة ، كان يضرب به المثل في علم التاريخ [(١)] .

(الطبعة الثانية - لجنة التأليف والترجمة والنشر)

يتكون هذا الكتاب من أربعة أجزاء في بعض النسخ المخطوطة - طبع منه الجزء الأول ويتكون من ثلاثة أقسام ، يبدأ الكتاب بعرض سريع لما كان عليه الناس قبل ملة الاسلام ثم ذكر القائمين بالملة الاسلامية وتحدث عن دولة بني بويه ودولة السلاجقه ثم ذكر قيام دولة صلاح الدين الأيوبي في مصر ، ويعتبر هذا الكتاب تاريخا لمصر من الدولة الأيوبية.ثم تدرج في التسلسل الزمني للأحداث التاريخية . ولقد استفدت كثيرا من القسم الثاني والثالث في الوقائع الحربية التي حدثت بين المماليك والتتر مثل عين جالوت وتل شقحب وغيره ، ويمتاز أسلوب المقريزي بالتفصيل في ذكر المواقع الحربية ودقائق المعركة مع اشارته في بعض الأحيان الى أسباب هذه المعارك ، كما استفدت منه كثيرا في دراسة الرسائل المتبادلة بين التتر والمماليك حيث وضعت في نهاية القسم الثالث على شكل ملاحق .

٥ - صبح الأعشى (للقلقشندى) هو أحمد بن علي بن أحمد القلقشندى الشافعي ، نزيل القاهرة ، ولد سنة ٧٥٦ هـ وتوفى سنة ٨٢١ هـ

---

(١) للاستزاده من ترجمته يرجى الاطلاع على ابن العماد : شذرات الذهب جـ ٧ ص ٢٥٤ - ٢٥٥ .

تفقه على المذهب الشافعى وبرع في الأدب والانشاء ، كان مفضالا وقورا ، ألف كثير من الكتب أشهرها صبح الأعشى [(١)] .

(مطابع كوستاتسوماس وشركاه - القاهرة)

يتناول هذا الكتاب ما يتعلق بالانشاء والكتابة ، وماورد فيه ويعتبر الكتاب بصفة عامة دائرة معارف أدبية وعلمية كبرى فهو يحوى تاريخ وسير ولغة وأدب وفقه وتفسير وحديث وشرح للأمثال والحكم العربية ، وبسط لنظام الحكومات عامة والحكومات المصرية خاصة ، ويتكون الكتاب من أربعة عشر جزءا .

ولقد استفدت كثيرا من الأجزاء ٤ ، ٧ ، ٨ فاستفدت من الجزء الرابع فى بداية حكم هولاكو لفارس والعراق ثم انتقال الأمر الى أبنائه بعد وفاته الى انهيار دولة المغول .

أما الجزأين السابع والثامن ، فقد كان فيه نص الرسائل المتبادلة بين سلاطين المماليك فى مصر وقانات المغول فى العراق ، وقد استفدت منه كثيرا حيث تعتبر هذه الرسائل وثائق تاريخية تصور لنا العلاقة التى كانت بين الدولتين .

ومن المراجع التى استفدت منها كثيرا كتاب :

١ - رجال الفكر والدعوة في الاسلام (لأبى الحسن على الحسنى الندوى) (الطبعة الثالثة سنة ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م - دار القلم - بيروت).

---

(١) للاستزاده من ترجمته ينظر الى : ابن العماد : شذرات الذهب جـ ٧ ص ١٤٩ .

وهو كتاب من جزئين ، تناول الكتاب فى جزئه الأول الحاجة الى التجديد والاصلاح وجهود الخليفة عمر بن عبد العزيز فى ذلك ثم تناول حياة عدة شخصيات أصلاحية أمثال الامام أحمد بن حنبل وأبى الحسن الأشعرى ، والامام أبى حامد الغزالى والشيخ عبد القادر الجيلانى وجلال الدين الرومي ، بينما أفرد الجزء الثانى كله لحياة شيخ الاصلام أحمد بن تيمية . ولقد استفدت من هذا الجزء كثيرا حيث تناول العصر الذى نشأ فيه ابن تيمية والأوضاع السياسية والاجتماعية والعلمية فيه . كما تعرض لنشأة ابن تيمية وحياته وأهم الأحداث التى جرت للشيخ وجهاده للتتر والكسروانيين والروافض ومحاربته للبدع والخرافات ، وتعرضه فى سبيل ذلك الى السجن عدة مرات .

ثم تحدث عن دور ابن تيمية الاصلاحى فى تجديد عقيدة التوحيد وابطال العقائد والتقاليد المشركة ، ثم تحدث عن كتابين لابن تيمية وناقشهما وهما كتاب الرد على المنطقيين ، وكتاب الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح . وختم الكتاب بذكر بعض تلامذة الشيخ ابن تيمية .

٢ - محمد أبو زهرة ، ابن تيمية حياته وعصره - آراؤه وفقهه
(دار الفكر العربى)

كتاب قيم جدا تحدث فيه الكاتب عن ولادة ابن تيمية ونشأته ومكانة أسرته العلمية ، وتوليه للتدريس ثم انتقاله من محراب العلم الى ميدان القتال حيث تحدث فيه عن دور ابن تيمية فى

جهاد المغول واستثارته لهمم المسلمين لمحاربتهم .

ثم تحدث عن محنة الشيخ وسجنه المتكرر الى أن انتهى الأمر بوفاته سنة ٧٢٨ هـ .

ثم تناول فى كتابه آراء ابن تيمية التى انفرد بها ومنهجه فى فهم القرآن الكريم . . . الخ .

وقد استفدت كثيرا من هذا الكتاب وأمدنى بكثير من الأفكار والآراء .

. . . .

التمهيد

حالة المجتمع الإسلامي في عهد ابن تيمية

التمهيـــد

حالة المجتمع فى عهد ابن تيميــــة

عاش ابن تيمية فى مجتمع فاجأته أحداث خطيرة اجتاحت العالـــم الاسلامى كما يجتاح السيل الجارف كل مافى طريقه من نبات وحيوان ، ففـى الشمال والشرق هبت رياح عاصفة اقتلعت كل ماكان للمسلمين من حضـارة وجاه وسلطان على أيدى المغول ، ولعل من الأسباب التى أضعفت قـوة المسلمين وأعجزتهم عن مقاومة الموجة الساحقة التى اجتاحت بلادهم ما كـان داخل البلاد من أمراض وعلل فرقت كلمتهم وشتت شملهم اذ انتشـرت الفرق الضالة من أصحاب البدع والخرافات التى أبعدت العامة عن فهـم الشريعة الاسلامية على وجهها الصحيح ، وقد وجدت هذه الفرق أمثـال النصيرية (١) ، والدروز (٢) ، وغيرهم الطريق ممهدا أمامها لنشر مبادئها الفاسـدة لدى العامة،حيث كانوا لا يفهمون الشريعة الاسلامية فهما صحيحا مما سهـل على تلك الفرق ادخال ما يريدون باسم الشرع،والأمر الذى جعلهم يقومـون بمعاونة أعداء الدين فى مهاجمة بلاد المسلمين كراهية منهم للاسلام وأهله .

---

(١) النصيرية : من غلاة الشيعة يرون ظهور الحق بتأليه الامام على بن أبـى طالب والأئمة ، رد عليهم ابن تيمية برسالة سماها النصيرية . أنظـر : عبد السلام هاشم حافظ : الامام ابن تيمية ، ص ٦٤ .

(٢) الدروز : جماعة من سكان سورية ولبنان يقيمون بجبل الدروز فى سوريـا وبقاع كثيرة من لبنان يدعون أنفسهم الموحدين ، أصلهم اسماعيلية فاطمية يؤمنون بامامة الحاكم بأمر الله الفاطمى وهم محاربون أشداء يميلون الـى الاستقلال بشئونهم . أنظر : شفيق غربال : الموسوعة العربية الميسرة، ص ٧٩٢ .

ولما كان هذا العصر يمتاز بوجود مجموعة كبرى من العلماء الأجلاء الذين أحسوا بأخطار البدع، والضلالات تسرى فى جسم الأمة، والبلاء الذى فاجأهم على أيدى العنصر الهدام عنصر المغول ، وتجسدت أمامهم المسئولية أمام الله عن حماية هذه الأمة من الفساد، والدفاع عنها ووقايتها من البلاء الذى يجتاح كل شىء فى كيان الأمة، وبخاصة عقيدتها الاسلامية . وكان على رأس هؤلاء العلماء امام عالم عامل هو الشيخ تقى الدين بن تيمية الذى نفخ فى علماء عصره من روحه ما جعلهم يبذلون كل امكاناتهم العلمية والمالية فى سبيل تنقية الأسلام مما علق به من البدع والخرافات وما أصاب المسلمين من الضعف، والجبن ليعيدوا الاسلام كما كان منهاج عمل، وعقيدة، فرفع الروح المعنوية للمسلمين للدفاع عن الاسلام والتضحية فى سبيله بكل ما يملكون .

فقاد هذه الحركة ابن تيمية ومعه زملاءه من العلماء وجعلوا غايتهم هى ارجاع الأمة الاسلامية الى التمسك بالكتاب والسنة وتربية جيل من شباب المسلمين يحمل راية الجهاد لتكون له احدى الحسنيين ، اما النصر فى الداخل على البدع والخرافات وفى الخارج على أعداء الاسلام واما الشهادة فى سبيل هذه الغاية .

الحالة السياسية فى عهد ابن تيمية :

ولد ابن تيمية كما ذكرنا سابقا سنة ٦٦١ هـ بعد تدمير بغداد قلب

العالم الاسلامي بحوالى خمس سنوات[1] ، فأدى انهيار القلب الى شلل بقية الأعضاء فتساقطت بقية بلاد العراق فى يد التتر الواحدة تلو الأخرى فنشأ ابن تيمية وهو يرى تخاذل المسلمين وتكاسلهم عن نصرة دينهم مما أدى بهم الى هذا المصير.

ثم تطلع الصبى الصغير - وهو لم يتجاوز ست سنوات من عمره - بنظره فاذا بذلك الخطر يتخطى بلاد العراق الى الشام حيث كان الرعب قد سبقه الى هذه المنطقة حتى يئس بعض أهل المدن من المقاومة ضد هؤلاء الغزاة فأخذوا يقدمون فروض الطاعة والولاء الى ذلك العدو الغاشم[2] ، ومن لم يقدم لهم فروض الطاعة ذهبوا اليه بجحافلهم الى عقر داره يدكون حصونه ويخربون بنيانه ويقتلون أبناءه فقاموا سنة ٦٥٨ هـ بمحاصرة حلب حصارا شديدا سقطت بعده فى أيديهم فكان جزاؤها أن ذبحوا أبناءها وأكثروا فيها السلب والنهب والقتل ، ولم ينج منهم الا فئة قليلة جدا استطاعت الاختفاء عن أعينهم[3] ، ثم واصلوا خطتهم فى الاستيلاء على بلاد الشام كله حتى وصلوا الى غزة[4] فدانت لهم تلك المنطقة وتحكموا فى رقاب المسلمين،يذيقونهم العذاب والهوان. لاحظ ذلك كله ابن تيمية بقلبه

---

(١) ابن العماد : شذرات الذهب ، جـ ٥ ص ٢٧٠ ، ٢٧١ ، ابن الوردى: تتمة المختصر فى أخبار البشر جـ ٢ ص ٢٨٢ - ٢٨٤ .

(٢) ابن الوردى : تتمة المختصر فى أخبار البشر جـ ٤ ص ٢٩٣ ، حيث ذكر أمثلة على ذلك ما فعله كبراء حماه حين سلموا مفاتيح المدينة الى هولاكو بعد سقوط حلب فى يديه . وللاستزادة فى هذا الموضوع يراجع تاريخ ابن الوردى .

(٣) ابن الوردى : ن٠م٠س ، جـ ٢ ص ٢٩٢ - ٢٩٣ .

(٤) ابن الوردى : ن٠م٠س ، جـ ٢ ص ٢٩٣ .

الصغير المرهف فهاله هوان المسلمين، واذلالهم وأخذ يقلب فكره في الماضي البعيد في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم في عز الدولة الاسلامية التي دانت لها البلاد من الصين شرقا الى المحيط الأطلسي غربا . وتساءل عن أسباب الهوان الذي يعيش فيه المسلمون الآن فعلم أن السبب في ذلك كله هو بعدهم عن الاسلام والاستهانة بتعاليمه فهانت نفوسهم فلم يستطيعوا دفع هذا الشر عنهم.

وفي ظل الخنوع والاستسلام والذل من المسلمين أصاب التتر الغرور لكثرة انتصاراتهم فأرسلوا الى حكام مصر وكانوا من المماليك رسالة يتهددونهم فيها ويطلبون منهم التسليم والاذعان والا أذاقوهم كأس الذل والهوان.[1] فكأنما كانت هذه الرسالة لطمة وجهت الى المماليك أيقظتهم من رقادهم ليراجعوا حساباتهم ويناقشوا أنفسهم في سبب تخاذل المسلمين الذي مكن منهم عدوهم الى هذه الدرجة ، فأعلنوها حربا اسلامية برفع راية الجهاد في سبيل الله لنصرة شريعته واعادة أمجاد الأمة الاسلامية التي ماكانت عليه . وسنذكر هنا نبذة عن تاريخ المماليك وقيام دولتهم حيث في ظلها عاش ابن تيمية لنعرف تأثير الناحية السياسية عليه .

أصل المماليك :

فأصل المماليك رقيق أتراك أسكنهم الملك الصالح نجم الدين أيوب

---

(١) أنظر نص الرسالة في فصل علاقة المماليك في مصر بالمغول في العراق .

في مصر اعترافا بشجاعتهم ووفائهم وعرفوا بالبحرية .[1] وبعد وفاته استطاع رجل منهم وهو عز الدين أيبك التركماني أن يتولى الحكم بعد مقتل توران شاه ابن الملك الصالح نجم الدين أيوب ولقب نفسه الملك المعز فكان أول سلاطين المماليك ، وساعدته في ذلك زوجته شجرة الدر[2] الا أن حكمه لم يدم طويلا فقتل سنة ٦٥٥ هـ[3] فخلفه على الحكم ابنه نور الدين علي[4] ولصغر سنه لم يستطع حكم البلاد فعمت الفوضى سائر أرجاء البلاد وجاء تهديد التتر لمصر ، فظهر عجزه عن التصدي لهذا الحدث الخطير كما عجز من قبل عن تسيير أمور المملكة مما حدا بأحد مماليك أبيه وهو الأمير سيف الدين قطز[5] أن يستولى على الحكم ويوحد صفوف الأمة ويجمع الأمراء والحكام على غرض واحد وهو رد عدوان المغول واعلاء شأن الأمة الاسلامية ويعود بها الى تعاليم الاسلام فأعلن ذلك للناس وجعل شعاره في المعركة ضد التتار "واسلاماه" فأيدهم الله تعالى بنصره

---

(١) المقريزي : الخطط جـ ٢ ص ٢٣٦ ، وسموا بالبحرية نسبة الى النيل حيث كان مقرهم على ضفافه وكان يسميه المصريين بالبحر .

(٢) جارية الملك الصالح وهي من المماليك تزوجها الملك الصالح فأنجبت له خليل ، حكمت مصر مدة بعد وفاة زوجها ونيابة عن ابنها ثم تزوجت الملك المعز أيبك ، ثم تآمرت على قتله فجزاها المماليك بالقتل . أنظر : المقريزي : الخطط جـ ٢ ص ٢٢٧ .

(٣) ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة جـ ٧ ص ١٣ .

(٤) ن . م . س : جـ ٧ ص ٦٣ .

(٥) واسمه محمود بن ممدود أبوه ابن عم جلال الدين منكبرتي بن خوارزم شاه وأمه أخت جلال الدين . وسبي عند غلبة التتر على بلاد خوارزم وبيع في دمشق ثم انتقل الى القاهرة وتوفي سنة ٦٥٩ هـ . أنظر : المقريزي : السلوك جـ ١ ق ٢ ص ٤٣٥ ، ابن خلدون : العبر جـ ٥ ص ٣٧٩ .

وهزم عدوهم شر هزيمة في موقعة عين جالوت سنة ٦٥٨ هـ [١] فارتفعت معنويات المسلمين وعادت لهم الثقة بأنفسهم حين عادوا الى الله ، ثم تولى الأمر بعد ذلك السلطان بيبرس البندقداري [٢] ودام حكمه حوالي ثمانية عشر عاما قضاها في محاربة التتر والفرنج واعتنى بأمر الجهاد عناية كبيرة لاعلاء كلمة الله في الأرض كما اعتنى باقامة الشريعة الاسلامية وتحكيم شرع الله في مختلف الأمور ومحاربة المنكر بمختلف صوره [٣] .

---

(١) المقريزي : السلوك ، جـ ١ ق ٢ ص ٤٢٩ - ٤٤٣ ، ابن خلدون : العبر جـ ٥ ص ٣٧٩ .

(٢) هو بيبرس البندقداري تركي الجنس اشتراه الصالح نجم الدين أيوب ترقى في خدمته ثم انتقل بعد وفاته الى خدمة ابنه الملك المعظم توران شاه ، وحين قُتل توران شاه تنقل بيبرس في بلاد الشام ثم عاد الى مصر وخرج مع الملك المظفر قطز لقتال التتر . ومن مواقفه ضد دعاة الهزيمة في بداية الغزو المغولي أن بعض أمراء دمشق أخذ يعظم هولاكو لدى المسلمين ويشير بمصالحته والدخول في طاعته فقام بيبرس وضربه وسبه وقال له (أنتم سبب هلاك المسلمين) - تولى السلطنة بعد مقتل قطز وأقام خلافة عباسية صورية في القاهرة بعد سقوطها في بغداد . أنظر : المقريزي : السلوك جـ ١ ق ٢ ص ٤١٩ .

(٣) ما أورده ابن كثير فقال أن السلطان أمر باراقة الخمور وتبطيل المفسدات والخواطئ في البلاد كلها وأسقط المكوس التي كانت عليهم ، وحين تعرضت له امرأة بالطريق ذكرت له غدر صاحب صور بابنها التاجر وقتله وأخذ ماله فركب السلطان وأغار على صور فقتل كثيرا من الفرنج وغنم أموالا كثيرة ، وحين سأله صاحبها عن السبب في ذلك ذكر له غدره ومكره بالتجار المسلمين . أنظر : ابن كثير : البداية والنهاية ، جـ ١٣ ص ٢٥٤ .

فى ظل حكم السلطان الظاهر ولد ابن تيمية وترعرع فرأى الخطـر المغولى يحدق بالعالم الاسلامي من جميع جهاته ومازالت مخيلتـه تحتفظ بصورة فرار أسرته من حران هربا من المغول الى مكان يؤويهم ويحميهم ، ولم يكونوا الوحيدين الذين فروا وانما كانت كثرة الفارين تؤثر أيضا على ابن تيمية فصمم على أن يعمل على طرد هؤلاء الكفار من ديـار المسلمين متمسكا بكتاب الله عز وجل وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم وهـو يرى صور الجهاد الذى حمل لواءه السلطان بيبرس ضد المغول والفرنجة على السواء.[1] فكان له تأثير كبير فيما بعد حين تهاون كثير من الأمـراء فى رفع راية الجهاد وخلدوا الى الدنيا واغتروا بها وهى زائلة فكـان يذهب بنفسه لدفعهم للسير الى الجهاد مع بعض العلماء .

قام الظاهر بيبرس باحياء الخلافة العباسية في مصر ليأخذ حكمـه الصورة الشرعية المستمدة من الخليفة لتصبح كل مقاليد الأمور بيده ، ثـم قام بانشاء المدارس وتشجيع العلماء حتى أصبحت القاهرة من أكبر المراكز العلمية والسياسية والحضارية فى العالم الاسلامى .[2]

بعد وفاة الظاهر تولى الحكم بعده ابنه الملك العادل وكان عمـره سبع سنين فخلع لصغر سنه وتولى بدلا منه أتابكه الملك المنصورسيف الدين

---

(١) ابن الوردى : تتمة المختصر جـ ٢ ص ٣١٠، ٣١١، ٣١٣، ٣١٦.
(٢) خاصة وأن أكثر العلماء أخذوا فى الهجرة الى مصر بعد سقوط بغداد وتعرض الشام للخطر المغولى .

قلاوون [١] وكان رجلا قويا شجاعا تقيا أعلى راية الجهاد فى سبيل الله ضد أعداء الدين شرقا وغربا ، فأوقع بالتتر الهزيمة سنة ٦٨٠ هـ فى حمص [٢] كما هزم الصليبيين فى طرابلس الشام وطردهم منها . [٣]

واصل بعد وفاته ابنه الملك الأشرف صلاح الدين خليل طريق الجهاد فنازل قلعة الروم [٤] ونصب عليها عشرين منجنيقا وفتحها بعد ثلاثة وثلاثين يوما عنوة فقتل النصارى وسبى نساءهم وأبناءهم وسماها قلعة المسلمين ، وبعد وفاته تولى السلطنة أخوه محمد الناصر وكان عمره سبع سنين فاستولى على الحكم لصغر سنه عدة مماليك الى أن كبر وتسلم زمام السلطنة ودام حكمه حوالى ٣٢ اثنين وثلاثين عاما [٥] استطاع فيها أن يوحد

---

(١) من جنس القبجاق ، جلب الى مصر وهو صغير وكان من جملة المماليك البحرية ، تنقلت به الأحوال حتى صار أتابك العسكر بديار مصر فى سلطنة العادل سلامش ابن الظاهر ودام على ذلك ثلاث شهور الى أن تم الاتفاق على خلع العادل وسلطنة قلاوون . أنظر : المقريزى : السلوك جـ ١ ق ٣ ص ٦٦٣ .

(٢) ابن الوردى : تتمة المختصر جـ ٢ ص ٣٢٦ - ٣٢٧ ، المقريزى : السلوك جـ ١ ق ٣ ص ٦٩٠ - ٦٩٤ .

(٣) ابن الوردى : تتمة المختصر جـ ٢ ص ٣٣٥ .

(٤) قلعة الروم : قلعة حصينة غربي الفرات . أنظر : ياقوت : معجم البلدان جـ ٤ ص ٣٩٠ .

(٥) حين تولى السلطان الناصر الحكم فى المرة الأولى خلعه الأمير زين الدين كتبغا لصغر سنه وتولى السلطنة بدلا منه ، ثم قام عليه نائبه حسام الدين لاجين وخلعه وتولى السلطنة بدلا منه ، وبعد حكم دام حوالى سنتين قتل الأخير على يد المماليك ، فعاد الناصر للحكم للمرة الثانية وقام بتدبير المملكة بدلا منه الأميران سلار والجاشنكير بعد(=)

جهود المسلمين ويعيد للدولة الاسلامية قوتها وهيبتها في أعين أعدائها .
ففي عهده أنزل المسلمون الهزيمة بالتتر في موقعة تل شقحب وطهر بلاد الشام منهم وكانت فترة حكمه الممتدة جعلته أكثر السلاطين معاصرة لابن تيمية كما كانت أهم الأحداث التي عاشها ابن تيمية من سجن واضطهاد في عهده .

كان المماليك يحكمون بدين الاسلام في جميع أمور الدولة ، وكان للعلماء والقضاة والفقهاء مكانة كبيرة عندهم ، فقد كان المماليك يحبون الاسلام ، ويهبون بحماس للدفاع عنه لاعلاء كلمة الله [1] وكانوا هم الذين يعينون القضاة والأئمة والشيوخ وكانت أحكام القضاة واجبة التنفيذ الا أن أساس السلطة وادارة شئون المملكة كانت بيد السلطان وحاشيته ، وان خالف في بعض الأحيان رأى العلماء ، لكن كان الأمر يختلف حين يوجد عالم مسلم جرئ قوى الايمان لا يخاف في الله لومة لائم أمثال الشيخ العز بن عبد السلام وموقفه مع سلاطين المماليك حين أعلن عدم صحة بيعتهم

(=) أن ضيقوا على السلطان ، ففر منهم الى الكرك وانخلع من السلطنة فتسلطن بيبرس الجاشنكير لمدة عشرة شهور عاد بعدها الناصر ليتولى الحكم للمرة الثالثة حيث استمر في الحكم الى أن توفى . أنظر : المقريزى : الخطط جـ ٢ ص ٢٣٨ .

(١) كما حدث حين هب قطز لدفع التتر في عين جالوت ، والظاهر بيبرس في حمص وغيره .

لأنهم رقيق الا اذا ثبت له أنهم أحرارا.[1] وحين امتنع عن اصدار فتــــوى بأخذ أموال الناس للاستعانة بها فى حرب التتار حتى يضع الأمــــراء ما لديهم من كنوز ذهب وفضة.[2] فان لم تف بالتكاليف أجاز لهم أخـذ أموال الناس .

ومع حرص المماليك على الشريعة الاسلامية فاننا نجد بعض المماليـك يتأثر برجال الصوفية لاعتقادهم الشديد فيهم ومحبتهم وتنفيذ ما يشـيرون به عليهم ولو كانوا على خطأ .[3]

النا‌حية العلمية والدينية والاجتماعية :

كان المجتمع فى عصر ابن تيمية يتكون من طائفتين :

١ - طائفة رجال العلم من الفقهاء والقضاة والنحاة وغيرهم .

٢ - الطائفة الثانية هى عامة الشعب التى انتشرت فيهم البدع والخرافات الى جانب بعض الفرق الضالة التى اتخذت شعار الاسلام ستــارا لتطعن فيه وتخربه من الداخل .

---

(١) محمد حسن عبد الله : عز الدين بن عبد السلام ص ١٦٣ .

(٢) المقريزى : السلوك ج ١ ق ٣ ص ٨٩٨ .

(٣) كما حدث للشيخ ابن تيمية على يد الأمير بيبرس الجاشنكير الذى أمر بسجن ابن تيمية ارضاء لشيخه الصوفى نصر المنبجى الذى غضـب لطعن ابن تيمية فى ابن عربى كما سنرى فى فصل لاحق .

فمن ناحية العلماء نجد هناك كثيرا من الذين نبغوا فى مختلف جوانب المعرفة وكانوا مثالا للمسلم العالم العامل بأمور دينه ودنياه فألفوا كثيرا من أمهات الكتب الاسلامية والموسوعات العلمية حتى عرف هذا العصر بعصر الموسوعات العلمية ، وتركوا لنا تراثا ضخما نعتز به الى جانب علوم من سبقهم أمثال العلامة الشيخ تقى الدين أبى عمرو بن الصلاح [(١)] الذى ألف المقدمة المشهورة بمقدمة ابن الصلاح وشيخ الاسلام وسلطان العلماء العز بن عبد السلام [(٢)] وكتابه القواعد الكبرى والامام محى الدين

---

(١) تقى الدين ابن الصلاح الحافظ شيخ الاسلام أبو عمر وعثمان بن عبد الرحمن الكردى الشهرزورى الموصلى الشافعى ولد سنة ٥٧٧ هـ ، تفقه وبرع فى المذهب وأصوله وفى الحديث وعلومه وصنف التصانيف مع الفقه والديانة ولجلالة قدره كان اذا أطلق علماء الحديث لفظ الشيخ فيكون المراد به هو ، وقد أشار الى ذلك صاحب الألفية بقوله فيه :

وكلما أطلقت لفظ الشيخ ما أريد الا ابن الصلاح مبهما .

أنظر : ابن العماد : شذرات الذهب جـ ٥ ص ٢٢١ .

(٢) شيخ الاسلام أبو محمد عبد العزيز بن عبد السلام ابن أبى القاسم بن الحسن السلمى الدمشقى ثم المصرى الشافعى الامام العلامة وحيد عصره ولد سنة ٥٧٨ هـ برع فى الفقه والأصول والتفسير والحديث والعربية فاق الأقران وبلغ رتبة الاجتهاد رحل اليه طلبة العلم من سائر البلدان . ألف كثيرا من الكتب ، كان فيه زهد وورع وأمر بالمعروف ونهى عن المنكر تولى خطابة دمشق فأزال كثيرا من بدع الخطباء فاجتنب الثناء على الملوك وكان يدعو لهم ، وحين بلغ خبر موته للسلطان الظاهر قال لم يستقر ملكى الا الساعة لأنه لو أمر الناس فى بما أراد لبادروا الى امتثال أمره ، توفى سنة ٦٦٠ هـ .

أنظر : ابن العماد : شذرات الذهب جـ ٥ ص ٣٠١ ، ٣٠٢ .

النووى[1] وشرحه لصحيح مسلم والمحدث الكبير معاصر ابن تيمية شيخ الاسلام تقى الدين ابن دقيق العيد ،[2] وكتابه الامام وكتاب أحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام والأصولى المتكلم علاء الدين الباجى[3] ، كما كان هناك مؤرخون ومحدثون كبار تتلمذ بعضهم على الشيخ ابن تيمية أمثال العلامة الحافظ ، المؤرخ شمس الدين الذهبى[4] وكتابه سير أعلام النبلاء وكتابه تاريخ الاسلام

---

(١) شيخ الاسلام محى الدين أبو زكريا يحى بن شرف بن مرى بن خزام الفقيه الشافعى ولد سنة ٦٣١هـ قرأ القرآن ودرس الفقه والحديث واللغة والأصول وبرع فيهم حج مع والده ثم سكن دمشق بالمدرسة الروحية - توفى سنة ٦٧٦ هـ .
أنظر : ابن العماد : شذرات الذهب جـ ٥ ص ٣٥٥ ، ٣٥٦ .

(٢) تقى الدين محمد بن على بن وهب الشافعى المالكى ابن دقيق العيد تفقه على والده فى المذهب المالكى وعلى الشيخ العز بن عبد السلام فى المذهب الشافعى حقق المذهبين وأفتى فيهما . كان يقول : " ما تكلمت بكلمة ولا فعلت فعلا الا أعددت له جوابا بين يدى الله تعالى " - توفى سنة ٧٠٢ هـ .
أنظر : ابن العماد : شذرات الذهب جـ ٦ ص ٥ .

(٣) علاء الدين أبو الحسن على بن محمد الباجى - نسبة الى باجة مدينة بالأندلس - المصرى الشافعى ولد سنة ٦٣١ هـ تفقه بالشام على ابن عبد السلام ولى قضاء الكرك ، قال عنه ابن شهبه : " كان أعلم أهل الأرض بمذهب الأشعرى " - توفى سنة ٧١٤ هـ.
أنظر : ابن العماد : شذرات الذهب جـ ٦ص ٣٤ .

(٤) شمس الدين الذهبى محمد بن أحمد بن عثمان قايماز الامام العلامة حافظ لا يجارى أتقن الحديث ورجاله وكان عالما بتراجم الناس أكثر من التصنيف ، ولد سنة ٦٧٣ هـ وتوفى سنة ٧٤٨ هـ .
أنظر : الكتبى : فوات الوفيات جـ ٣ ص ٣١٥ .

وغيره من الكتب التى أثرت المكتبة الاسلامية ، والحافظ علم الدين البرزالى[١] . والحافظ العلامة جمال الدين المزى[٢] وكتابه تهذيب الكمال والمؤرخ الكبير ابن كثير[٣] صاحب البداية والنهاية كما نبغ فى عصره علماء أكفاء كانوا مرجع الخلق وانتشر صيتهم فى الآفاق كالقاضى كمال الدين بن الزملكانى[٤] وقاضى

---

(١) الحافظ علم الدين القسم بن محمد بن يوسف البرزالى الشافعى ، محدث الشام صاحب التاريخ والمعجم ولد سنة ٦٦٣ هـ درس الفقه على الشيخ تاج الدين الفزارى وصحبه ولى مشيخة دار الحديث النورية والنفسية صنف فى التاريخ ٧ مجلدات توفى بخليص محرما ، وله من العمر ٧٤ عاما . أنظر: ابن العماد : شذرات الذهب جـ ٦ ص ١٢٢ .
* خليص حصن بين مكة والمدينة - أنظر: ياقوت : المعجم جـ ٢ ص ٣٨٧ .

(٢) أبو الحجاج يوسف عبد الرحمن العلامة الحافظ المزى الشافعى شيخ المحدثين عمدة الحفاظ تفقه على مذهب الشافعى .تعلم العربية وبرع فيها ، طلب الحديث بنفسه وله عشرون سنة ، قيل بلغ عدد مشيخته نحو الألف ، روى الحديث حوالى ٥٠ سنة ، وولى دار الحديث الأشرفية لمدة ٢٣ سنة ، توفى سنة ٧٤٢ هـ .
أنظر : ابن العماد : شذرات الذهب جـ ٦ ص ١٣٦ .

(٣) عماد الدين اسماعيل بن عمر بن كثير البصرى ، ثم الدمشقى الفقيه الشافعى ، ولد سنة ٧٠٠ هـ كان كثير الاستحضار قليل النسيان قال عنه الذهبى : " هو الامام المحدث البارع " انتهت اليه رياسة العلم فى التاريخ والحديث والتفسير ، له كتاب جمع المسانيد العشرة وطبقات الشافعية ، توفى سنة ٧٧٤ هـ .
أنظر: الألوسى : جلاء العينين ص ٣٤ .

(٤) كمال الدين أبو المعالى محمد بن على بن عبد الواحد الزملكانى الأنصارى الشافعى قاضى قضاة دمشق ولد سنة ٦٦٧ هـ كان اماما بصيرا بمذهبه وأصوله قوى العربية صحيح الذهن فصيحا أديبا أفتى وعمره فوق العشرين له كثير من التصانيف بعضها فى الرد على ابن تيمية فى مسألة الطلاق والزيارة ، توفى سنة ٧٢٧ هـ . أنظر : ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة جـ ٩ ص ٢٧٠ .

القضاة جلال الدين القزوينى [١] والقاضى تقى الدين السبكى [٢] والعلامة النحوى أبى حيان الأندلسى [٣] وغيرهم كثيرون . كان يواكب هذه النهضة اهتمام واضح من الحكام فقد أنشئت فى مصر والشام المدارس الكثيرة ودور الحديث والمعاهد العلمية التى كان هؤلاء العلماء ينشرون العلم عن طريقها وتشد اليها رحال الشباب وطلاب العلم أمثال المدرسة الكاملية [٤]

---

(١) جلال الدين محمد بن عبد الرحمن بن عمر القزوينى الدمشقى الشافعى، ولد سنة ٦٦٦ هـ تفقه على أبيه واشتغل فى أنواع العلوم، ولى الخطابة ثم القضاء بدمشق ثم قضاء مصر، ألف كثير من الكتب منها تلخيص المفتاح فى المعانى والبيان . أفتى ودرس وناظر وتخرج على يديه الكثيرين - توفى سنة ٧٣٩ هـ . أنظر : ابن العماد : شذرات الذهب جـ ٢ ص ١٢٣ .

(٢) الامام العلامة شيخ الاسلام تقى الدين على بن عبد الكافى السبكى الشافعى ولد سنة ٦٨٣ هـ درس التفسير والحديث والفقه والأصول واللغة والنحو وبرع فيهم ، تخرج على يده الكثير ، ولى قضاء الشام بعد جلال الدين القزوينى صنف نحو ١٥٠ كتاب - توفى سنة ٧٥٦ هـ .
أنظر : ابن العماد : شذرات الذهب جـ ٦ ص ١٨٠ .

(٣) العلامة أثير الدين محمد بن يوسف بن حيان الأندلسى الغرناطى ، له مصنفات جليلة منها تفسير القرآن العظيم وشرح التسهيل وكان عالما فى النحو واللغة والتفسير سمع الحديث من نحو ٤٥٠ شيخا تجول فى كثير من البلاد الى أن استقر فى القاهرة ، تخرج على يده الكثيرون .
أنظر : ابن العماد : شذرات الذهب جـ ٦ ص ١٤٥ ، ١٤٦ .

(٤) تعرف بدار الحديث الكاملية أنشأها السلطان الملك الكامل محمد بن أبى بكر بن أيوب سنة ٦٢٢ هـ وهى ثانى دار عملت للحديث بعد دار الحديث التى بناها نور الدين زنكى بدمشق وقد وقفها الملك الكامل على المشتغلين بالحديث النبوى وفقهاء الشافعية وجعل لها أوقافا كثيرة للاتفاق عليها .
أنظر : المقريزى : الخطط جـ ٢ ص ٣٧٥ .

والمدرسة الصالحية[١] والمدرسة الظاهرية[٢] وكانت سبل العلم والبحث ميسرة وفى متناول الجميع فكانت المكتبات الضخمة التابعة للمدارس أو المستقلة عنها تحتوى على أمهات الكتب فى كل مجال من مجالات المعرفة مثل المكتبة التابعة للمدرسة الكاملية حيث كانت وحدها تحتوى على مائة ألف كتاب[٣] كذلك المكتبة الظاهرية فيها خزانة كتب تشتمل على أمهات الكتب فى سائر العلوم[٤].

نبغ كثير من العلماء فى مختلف التخصصات كما ذكرنا سابقا وألفوا فى ذلك كثيرا من الكتب وكان بجانب هؤلاء طائفة أخرى من العلماء كان يغلب عليها النقل والاقتباس دون التعمق فى العلم[٥].

---

(١) بناها الملك الصالح نجم الدين أيوب سنة ٦٤٠ هـ ، كان يلقى فيها أربع دروس فقه فى المذاهب الأربعة فى الأسبوع ، وجعل لها أوقافا كثيرة . أنظر : المقريزى : الخطط جـ ٢ ص ٣٧٤.

(٢) بناها السلطان الظاهر بيبرس سنة ٦٦٢ هـ جعل لها أوقافا كثيرة وأمر الا يستعمل فيها أحد بدون أجره والحق بها مكتب تعليم أطفال المسلمين الأيتام القرآن الكريم وأجرى لهم الجرايات والكسوة وكان يلقى فيها دروس الفقه والتفسير والقراءات وغيره . أنظر : المقريزى : الخطط جـ ٢ ص ٣٧٨ ، ٣٧٩.

(٣) الندوى : رجال الفكر والدعوة فى الاسلام جـ ٢ ص ٢٩.

(٤) المقريزى : الخطط جـ ٢ ص ٣٧٩.

(٥) الندوى : رجال الفكر والدعوة فى الاسلام جـ ٢ ص ٢٨ ، محمد ابن المبارك : آراء ابن تيمية ص ١٢.

ونلاحظ أن بعض أتباع المذاهب الفقهية قد تفشت فيهم العصبية المذهبية حيث كان بعض أتباع كل مذهب يحصرون الحق فى مذهبهم على غيره ولو كان الصواب عند غيرهم مخالفين بذلك أئمة المذاهب الأربعة الذين كانوا يقدرون علم بعضهم البعض ويثنى كل واحد منهم على الآخر فلم يكن الخلاف بينهم خلاف استبداد بالرأى وانما كان خلاف مجتهدين مخلصين كل بحسب فهمه للنص القرآني أو السنة ، فالامام مالك رحمه الله يقول امام قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ،(وكل منا قوله راد ومردود عليه الا صاحب هذا القبر).

كان للاختلاف الشديد بين أتباع المذاهب الأربعة ممن عرفوا بالسطحية فى الفهم فى ذلك الوقت من العوامل المهمة التى جعلت ابن تيمية يقوم بافهامهم خطأ ماهم عليه من سوء الاعتقاد فى الأئمة فقام بتأليف كتابه (رفع الملام عن الأئمة الأعلام) مبينا فضل الأئمة الأربعة كلهم بدون تخصيص أو تفضيل أحد على الآخر ونشأت بعد ذلك مدرسة لابن تيمية ترى أن الخلاف بين أتباع المذاهب على الأفضلية والأولوية بحسب قوة الدليل الشرعى عند كل منهم مع احترام بعضهم البعض وتقدير علمهم سواء كانوا شيوخا أو تلاميذا ومع ما بينه ابن تيمية لتلاميذه وما انتشر عنه نجد أن بعض الفقهاء من الحنابلة والأشاعرة كان العداء مستحكما بينهم فكان كل فريق منهم يكفر الفريق الآخر[1] مخالفين بذلك أئمتهم . فقد كان أبو الحسن الأشعرى

---

(١) الندوى : رجال الفكر والدعوة فى الاسلام جـ ٢ ص ٣٠ .

امام الأشاعرة مقدر لأمامته وعلم أحمد بن حنبل فيقول عنه (أنه :الامام الفاضل والرئيس الكامل الذى أبان الله به الحق ورفع به الضلال)[١].

ويصور لنا عبد الرحمن الشرقاوى الخلاف المذهبى فى محاورة دارت بين بعض العلماء والشيخ ابن تيمية حيث يقول ابن تيمية (الاشتغال بالخلاف المذهبى صرف همنا الى هذا الخلاف وعكفنا على تقليد الأئمة الكبار وألفنا الجمود عند آرائهم. فاذا تكلفنا مشقة البحث عن الرأى الحق فى مذهب غير مذهب امامنا تحرجنا من اتباعه - لماذا ؟ ... لنتجمد على مذهبنا !)[٢].

ويذكر ابن تيمية أن البعض يغض من قيمة الأئمة الآخرين مع أنهم جميعا بدون تخصيص ورثة الأنبياء ، ولا أحد من الأئمة يقصد مخالفة الكتاب والسنة فى شىء دقيق ولا جليل فهم متفقون على وجوب اتباع الرسول صلى الله عليه وسلم ، وكانوا جميعا يوصون تلاميذهم (اذا صح لكم حديث يخالف قولنا فاتركوا قولنا واتبعوا الحديث) واستشهد لذلك بأبى يوسف حين قدم المدينة ورأى أوقاف الصحابة فعدل عن رأيه فى بطلان الوقف رغم أن أبا حنيفه وأصحابه يرون ذلك لأنه حبس للمال وقيد على الارادة[٣].

---

(١) الندوى : رجال الفكر والدعوة فى الاسلام جـ ١ ص ١٥٣ .

(٢) الشرقاوى : الأهرام ص ١٣ - ١٩٨٢/٩/٨م .

(٣) ن.م.س : ص ١٣ - ١٩٨٢/٩/٨م .

وبجوار هؤلاء العلماء كان بعض العامة يعانى من الجهل والتخلف الشيء الكثير فلم يتلقوا العلم ولم ينهلوا من معين المعرفة فبعدوا عن الشريعة الاسلامية الصحيحة مما ساعد على تفشى البدع والخرافات بينهم وتفشى عادات وتقاليد ليست من الاسلام ، والتى عمل أعداؤه على نشرها بين الناس لكى ينخروا فى أساس الدولة الاسلامية ليدب فيها الفساد والانحلال يبعدهم عن شريعة الله فيسهل عليهم القضاء عليها فقام البعض باسم الدين يشوه معالمه فدفعوا الناس الى الايمان بأشياء بدعية فيها اشراك بالله سبحانه وتعالى مثل الصخرة التى كانت بنهر قلوط حيث كانت تزار وينذر لها النذور ويتبركون بها لجلب النفع لهم ولدفع المضرة عنهم (1).

كما وجدت الطرق الصوفية الضالة الطريق ممهدا لها لبث أفكارها وآرائها الالحادية ،فسرعان ما التف حولها الناس بل وبعض الحكام، فانتشرت فى تلك الفترة بين العامة حلقات الذكر الغير صحيحة ، اذ كان فيها الذكر بنغمة خاصة ويرقصون فيها حتى يسقطوا على الأرض،ويتمرغوا مستغيثين بأصحاب الأضرحة من الأولياء والصالحين ، وشاع بين الناس أن زعماء الصوفية هؤلاء لديهم كرامات وأنهم أولياء الله فخافهم الناس ، ولم يجسروا على نقدهم أو التعرض لهم بسوء لاعتقادهم الشديد أنهم أولياء الله .

---

(1) ابن كثير : البداية والنهاية جـ ٤ ص ٣٤ .

كما انتشرت في تلك الفترة أفكار ابن عربي [1] بين الناس ولاقت هوى في نفوسهم فقد كان ينادي بوحدة الوجود وتفاني المخلوق في الخالق فيسقط التكليف فاذا أحب المخلوق الخالق حل فيه الخالق (نستغفر الله من هذا الشرك) فيصبح المخلوق غير مكلف بالعبادات وغيرها .. فهجر أتباع هذا المذهب الضال العبادات وأهدروا الأعراف الخلقية وارتكبوا ماشاءوا من المعاصي بحجة حب الله .

فاستدعى هذا الوضع المتدهور أن يكون هناك علماء أفذاذ يرفضون الرضوخ لهذا الوضع وترك الناس على علاتهم من بعد عن الشرع الاسلامي الصحيح فهبوا للدفاع عن العقيدة الاسلامية وحفظها من تشوهات الصوفية المنحرفة وما شابهها لكي يعود الناس الى الكتاب والسنة وسيرة السلف الصالح وكان على رأس هؤلاء العلماء الشيخ ابن تيمية وأصحابه فجزاهم الله عن الاسلام وأمته خير الجزاء .

---

(١) صوفي معروف بمذهبه في وحدة الوجود يلقب بالشيخ الأكبر ، وهو أبو بكر محمد بن علي ابن عربي ولد بمرسيه درس الفقه والحديث بأشبيلة ثم ارتحل الى الشرق فدخل مصر والحجاز وما بين النهرين وأقام بدمشق وتوفي بها ، كان في العبادات والمعاملات ظاهريا وفي العقائد باطنيا ، تبلغ مصنفاته ٢٠٠ مصنف وأتهم بأنه يشيع المذاهب المضلة في الاتحاد والحلول.

أنظر: شفيق غربال : الموصوعة العربية الميسرة ص ٢٢ .

ويراجع كتاب طلعت غنام : أضواء على التصوف ص ٢٠٥ - ٢٠٦ .

كانت هذه هى الأوضاع السائدة فى المجتمع الاسلامي فى عصر ابـــن تيمية حيث شب فيه وترعرع وعاش فكان له أثر كبير فى تشكيل حياتـــه واتجاهه حيث استفاد من العلماء والمدارس وسبل المعرفة وفى نفس الوقت يرفع لواء التجديد والاصلاح فيما خالف الشريعة الاسلامية الغراء .

. . . .

الفصل الأول

ابن تيمية

- نشأته وتربيته
- تلامذته
- علاقته بالحكام والعلماء والعامة

نشأته وتربيته

(١) نشأته وتربيته

نشأتـه :

هو أحمد بن شهاب الدين عبد الحليم بن مجد الدين عبد السلام بن عبد الله بن الخضر بن تيمية الحنبلي [(١)] ، الحافظ تقي الدين أبو العباس الحراني ثم الدمشقي الفقيه المحدث [(٢)] .

ولد في عشرة من ربيع الأول ٦٦١ هـ/١٢٦٣ م في مدينة حران [(٣)] ، وفي أسرة علم وفقه ، فقد كان جده مجد الدين أبو البركات فقيها حنبليا ، واماما مقرئا ومحدثا ومفسرا أصوليا نحويا [(٤)] .

---

(١) يقال أن سبب التسمية بابن تيمية أن جده حج وكانت امرأته حاملا فلما كان في تيماء (بلدة قرب تبوك) رأى جارية حسنة الوجه خرجت من خباء ، فلما رجع وجد امرأته قد وضعت جارية ، فلما رفعوها اليه قال : " ياتيمية يعني انها تشبه التي رآها بتيماء فسمي بها ". أنظر : ابن عبد الهادي : العقود الدرية ص ٢ ، الألوسي : جلاء العينين ص ٥ ، عبد السلام هاشم حافظ : الامام ابن تيمية ص ١٠ . وذكر ابن عبد الهادي أيضا رواية أخرى أن جده محمد كانت أمه تسمى تيمية وكانت واعظة فنسب اليها وعرف بها ص ٢ .

(٢) الكتبي : فوات الوفيات جـ ١ ص ٧٤ ، البغدادي : هدية العارفين جـ١ ص ١٠٥ ، حاجي خليفة : كشف الظنون جـ١ ص ٨٨٧ ، كحالة : معجم المؤلفين جـ١ ص ٢٦١ ، البيطار : حياة شيخ الاسلام ابن تيمية ص ٨ ، غربال : الموسوعة العربية الميسرة ص ١٢ .

(٣) البزار : الأعلام العلية ص ٢٨ ، ابن حجر : الدرر الكامنة جـ ١ ص ١٤٤ ، محمد كرد علي : ترجمة شيخ الاسلام ابن تيمية ص ٨ (حران مدينة بين الرها والرقة على طريق الموصل والشام والروم) ياقوت الحموي : معجم البلدان جـ ٢ ص ٢٣٥ .

(٤) الألوسي : جلاء العينين ص ٢٨ .

قال الذهبى : (قال لى شيخنا أبو العباس بن تيمية : كان الشيخ جمال الدين بن مالك يقول : ألين للشيخ المجد والفقه كما ألين الحديد لداود)[1] ، ووالده الشيخ شهاب الدين أبى أحمد عبد الحليم بن عبد السلام نزيل دمشق ، سمع من والده وغيره،أتقن العلوم ، ودرس وأفتى وصنف وصار شيخ البلد (فى حران) بعد أبيه ، قال الذهبى عنه :

" كان اماما محققا كثير الفنون له يد طولى فى الفرائض والحساب والهيئة دينا متواضعا ومن أنجم الهدى وانما اختفى من نور القمر وضوء الشمس" يشير بذلك الى اشتهار أبيه وابنه - كان للشيخ شهاب الدين كرسى بالجامع الأموى فى دمشق حين انتقل اليها يلقى درسه عليه فى أيام الجمع[2] ، وقد تفقه عليه ولداه أبو العباس وأبو محمد[3] ، فلاعجب أن نرى ابن تيمية قد برع فى أنواع العلوم وهو قد نشأ فى ظل هذه الأسرة .

---

(١) ابن العماد : شذرات الذهب جـ ٥ ص ٢٥٧ ، الألوسى : جلاء العينين ص ٢٨ ، الندوى : رجال الفكر والدعوة فى الاسلام جـ ٢ ص ٣٤ ، ٣٥ .

(٢) ابن العماد : شذرات الذهب جـ ٥ ص ٣٧٦ ، الألوسى : جلاء العينين ص ٢٩ ، الندوى : رجال الفكر والدعوة فى الاسلام جـ ٢ ص ٣٥ .

(٣) شرف الدين عبد الله بن عبد الحليم بن عبد السلام بن أبى القسم . ابن تيمية الفقيه الامام المتقن أبو محمد ولد سنة ٦٦٦ هـ بحران قدم مع أهله الى دمشق رضيعا فسمع عن أبى اليسر ، ابن علان ابن الصرفى وغيرهم ، تفقه فى المذهب حتى أفتى وبرع فى الفرائض والحساب وعلم الهيئة استدعى غير مرة للمناظرة فناظر وأفحم الخصوم توفى سنة ٧٢٧ هـ . أنظر : ابن العماد : شذرات الذهب جـ ٥ ص ٧٦ .

كان عصر ابن تيمية مليئا بالقلاقل والفتن ، وفظائع التتر وغاراتهم على العالم الاسلامي حيث استطاعوا اخضاع جزئه الشرقي تحت سيطرتهم ، كما استولوا على بغداد وشمال بلاد الشام حتى وصلوا قرب حران .

وكان ابن تيمية قد بلغ من العمر سبع سنين حين أغار التتر على حران مما حدا بأسرة ابن تيمية أن تفر من حران الى دمشق بجميع مالديها من تراث علمي فنقلت معها مكتبتها الثمينة التي كانت تعتز بها ، حيث لم ترض بمفارقتها رغم المصاعب الكثيرة التي ستلاقيها من وراء ذلك ، فحملت كتبها على مركبة ، وخرجت هاربة ليلا من حران لم يفارقها الخوف أثناء ذلك من مباغتة التتر لهم ، خاصة وأن معهم النساء والصبيان ، وزاد من مشقة الرحلة وصعوبتها أن المركبة كانت بدون دواب لعدم توفرها في تلك الأثناء ، فكانت تجر بالأيدي وهم يتضرعون الى الله سبحانه وتعالى - مستعينين به - لكي ينجيهم من هذه الغمة ، حتى أنجاهم الله من التهلكة ووصلوا دمشق بسلام [(١)]. ولنا أن نتصور مدى تقدير هذه الأسرة للعلم وحبها له لهذه الدرجة فقد كانت بطريقتها هذه ستعرض نفسها للهلاك لو استطاع التتر اللحاق بهم ، فلم يكن في الوقت متسع الا للوصول بهم بدون متاع ، فمابالنا ومعهم هذه الأثقال من الكتب التي تطلبت منهم وضعها في عربة وجرها بأنفسهم ، ولكن الله سلمهم وأيدهم بنصره .

---

(١) ابن عبد الهادى : العقود الدريه ص ٢ ، الاستانبولي : ابن تيمية بطل الاصلاح الديني ص ١٠ ، الندوى : رجال الفكر والدعوة في الاسلام جـ ٢ ص ٣٦ .

ما كادت الأسرة تحط رحالها فى دمشق حتى شاع خبر قدومها بين الناس ، اذ أن شهرة الأسرة العلمية قد سبقتهم الى البلاد ، فقد كان أهل العلم عارفين من هو عبد الحليم ابن تيمية وأبوه مجد الدين أبو البركات ومدى تضلعهم فى العلم ، فلم تمض سوى بضعة أيام حتى باشر الشيخ عبد الحليم التدريس ونشر العلم فى الجامع الأموى ، ودار الحديث السكريه ، وصار فى وضع كريم بين الطلبة وعلماء المذهب الحنبلى ، فلم تشعر الأسرة فى دمشق بالغربة أو الوحشة بل باشرت حياتها كما لو كانت فى حران .(١)

فى ظل دروس أبيه تربى ابن تيمية وانتهى من حفظ القرآن الكريم منذ وقت مبكر ، ودرس علوم الفقه والحديث والعربية ، وكان رغم صغر سنه يغشى مجالس العلم والوعظ عند والده وبقية العلماء فى حلقاتهم ويشاركهم فى المذاكرات العلمية ، مما أدى الى توسع عقله، ونمو مداركه، وتفتح ذهنه ، فتحدث عنه معاصروه ومؤرخوه أنه رغم صغر سنه لم يكن يتجه كالصبيان الى الملاعب والملاهى ويضيع فيها وقته ، بل كان جل وقته يقضيه فى مجالس العلم والذكر والاطلاع، ولم يلتفت الى ملاذ الدنيا وحوائجها فذكر لنا البزار عن شيخ ابن تيمية الذى علمه القرآن : " أن والده دفع للشيخ أربعين درهما لكى يعطيها لابن تيمية ترغيبا له فى حفظ القرآن الكريم ووعده أن يعطيه مثلها كل شهر ان استمر فى الحفظ، الا أن ابن تيمية

---

(١) ابن رجب : الذيل على طبقات الحنابلة جـ ٢ ص ٣١٠ ، ٣١١ ، الندوى: رجال الفكر والدعوة فى الاسلام جـ ٢ ص ٣٦ ، ٣٧ .

رفضها وقال لشيخه (ياسيدى انى عاهدت الله تعالى أن لا آخذ على القرآن أجرا)[١].

قوة حافظته :

كان ابن تيمية مشهورا منذ الصغر بقوة ذاكرته وسرعة حفظه ، وقد ورث هذه النعمة عن والده وجده حيث أنعم الله عليهم بها ، وقد فاقهم فيها ابن تيمية ، فذكر لنا تلميذه ابن عبد الهادى أن أحد شيوخ حلب قدم دمشق وسأل عنه فدلوه عليه فاختبر قوة حافظته بأن أملى عليه بضع عشرة حديثا من متون الحديث ، ثم طلب منه أن يسمعه اياها فقرأها عليه كأحسن ما يكون ، ثم طلب منه أن يمحوها وأملى عليه عدة أسانيد ثم طلب منه أن يسمعه اياها ، فأسمعه اياها كالمرة الأولى،فقام الشيخ الحلبى وهو يقول : (لئن عاش هذا الصبى ليكونن له شأن عظيم)[٢].

شيوخه :

تلقى الشيخ ابن تيمية العلوم المختلفة على عدة شيوخ منهم الشيخ

---

(١) البزار : الأعلام العليه ص ٤٤.

(٢) ابن عبد الهادى : العقود الدريه ص ٤ ، الاستانبولى : ابن تيمية بطل الاصلاح الدينى ص ١٠، ١١ .

زين الدين أحمد بن عبد الدائم[١] ، وأبن أبى اليسر[٢] ، والكمال بن عبد السيد[٣] ، والمجد بن عساكر[٤] ، والجمال يحيى بن الصيرفى[٥] ، والشيخ شمس الدين

---

(١) أبو بكر أحمد بن عبد الدائم بن نعمة المقدس الصالحى ولد سنة ٥٦٢ هـ كان عابدا ذاكرا متنقلا جيد الفهم أصيب بالعمى وثقل السمع فى أواخر عمره ، توفى سنة ٧١٩ هـ .
أنظر : ابن رجب : ذيل طبقات الحنابلة جـ ٤ ص ٢٧٠ .

(٢) مسند الشام تقى الدين أبو محمد اسماعيل بن ابراهيم بن ابى اليسر شاكر بن عبد الله التنوخى الدمشقى ولد سنة ٥٨٩ هـ فيه خير وعدالة وله شعر جيد توفى سنة ٦٧٢ هـ عن ثلاث وثمانين سنة وهو من كبار الحفاظ .
أنظر : الذهبى : تذكرة الحفاظ جـ ٤ ص ١٤٩٠ .

(٣) الكمال بن عبد السيد أبو نصر عبد العزيز بن عبد المنعم بن الفقيه أبى البركات الخضر الحارثى الدمشقى ولد سنة ٥٨٩ هـ وتوفى سنة ٦٧٢ هـ .
أنظر : ابن العماد : شذرات الذهب جـ ٥ ص ٣٣٨ .

(٤) شرف الدين أبو العباس أحمد بن هبة الله بن عساكر الدمشقى الشافعى ولد سنة ٦١٤ هـ روى الكثير ، توفى سنة ٦٩٩ هـ .
أنظر : ابن العماد : شذرات الذهب جـ ٥ ص ٤٤٥ .

(٥) المفتى جمال الدين أبو زكريا يحيى بن أبى منصور بن أبى الفتح ابن رافع الحرانى الحنبلى ، كان اماما عالما متقننا صاحب عبادة وتهجد وصفات حميدة ، توفى سنة ٦٧٨ هـ .
أنظر : ابن العماد : شذرات الذهب جـ ٥ ص ٣٦٣ .

الحنبلي [(١)] ، وأحمد ابن أبي الخير [(٢)] ، والقاسم الأربلي [(٣)] ، والكمال عبد الرحيم [(٤)] ، والشيخ شرف الدين المقدسي [(٥)] ، وزينب بنت مكي [(٦)] ،

---

(١) شمس الدين أبو عبد الله محمد بن داود بن الياس الحنبلي ولد سنة ٥٩٨ هـ رحل في طلب العلم ، حفظ المقنع وعرف الفرائض ، كان ذا ديانة وافرة وصدق وأمانة توفي ٦٧٩ هـ .
أنظر : ابن العماد : شذرات الذهب جـ ٥ ص ٣٦٤ .

(٢) أبو العباس أحمد بن أبي الخير سلامة بن ابراهيم الدمشقي الحداد الحنبلي ولد سنة ٥٨٩ هـ ، روى الكثير كان خياطا أضر آخر عمره كان يحفظ القرآن الكريم ، توفي سنة ٦٧٨هـ .
أنظر : ابن العماد : شذرات الذهب جـ ٥ ص ٣٦٠ .

(٣) الأمير الأربلي العدل أبو محمد القسم بن أبي بكر ابن القسم سمع جميع صحيح مسلم ورواه ، توفي سنة ٦٨٠هـ .
أنظر : ابن العماد : شذرات الذهب جـ ٥ ص ٣٦٧ .

(٤) الكمال أبو محمد عبد الرحيم بن عبد الملك بن يوسف بن محمد بن قدامة المقدسي الحنبلي الصالح سمع من ابن طبرزد وغيره ، توفي سنة ٦٨٠ هـ ، أنظر : ابن العماد : شذرات الذهب جـ ٥ ص ٣٦٦ .

(٥) الامام الخطيب المدرس المفتي شرف الدين أبو العباس أحمد بن نعمة بن جعفر المقدسي الشافعي ولد سنة ٦٢٢ هـ سمع الكثير ، صنف وأجاد وأفاد ولي نيابة القضاء بدمشق والتدريس والخطابة بها ، أذن في الافتاء لجماعة من العلماء الفضلاء منهم ابن تيمية وكان يفتخر بذلك ويفرح به فيقول أنا أذنت لابن تيمية بالافتاء ، كان يتقن علوم كثيرة ، توفي سنة ٦٩٤هـ .
أنظر : ابن كثير : البداية والنهاية جـ ١٢ ص ٣٤١ .

(٦) زينب بنت مكي بن علي بن كامل الحراني الشيخة المعمرة العابدة أم أحمد ازدحم عليها الطلبة وعاشت ٩٤ سنة توفيت سنة ٦٨٨هـ .
أنظر : ابن العماد : شذرات الذهب جـ ٥ ص ٤٠٤ .

وأحمد بن شيبان [1] ، والشيخ زين الدين بن المنجا [2] ، والشيخ شمس الدين بن عمر [3] ، وأبى بكر اليهودى [4] ، وخلق كثير وشيوخه الذين سمع منهم أكثر من مئتى شيخ [5] ، سمع مسند الامام أحمد عدة مرات ، كما سمع كتب الحديث الصحاح الستة وأخذ الفقه والأصول عن والده ، كما تعلم العربية وبرع فيها ثم أخذ كتاب سيبويه فتأمله وفهمه ودرسه بنظر ناقد وعقل فاحص ولا يخفى علينا أهمية هذا الكتاب الكبير فى النحو حتى اذا ما ذكر الكتاب عرف أنه كتاب سيبويه فخالف فيه فى بعض مسائله ،

---

(١) بدر الدين أبو العباس أحمد بن شيبان بن تغلب بن جيدره الشيبانى الصالحى العطا ثم الخياط راوى مسند الامام أحمد كان متواضعا رحمه الله ولد سنة ٥٩٦ هـ توفى سنة ٦٨٥ هـ عن تسع وثمانين سنة .
أنظر : ابن العماد : شذرات الذهب جـ ٥ ص ٣٩٠ .

(٢) العلامة زين الدين أبو البركات المنجا بن عثمان بن أسعد بن المنجا التنوخى الدمشقى الحنبلى أحد من انتهت اليه رياسة المذهب أصولا وفروعا مع التبحر فى العربية والنظر والبحث وكثرة الصيام والصلاة ولد سنة ٦٣١ هـ درس وأفتى وناظر ومن تصانيفه شرح المقنع فى أربع مجلدات وتفسير كبير للقرآن الكريم توفى سنة ٦٩٥ هـ ودفن بسفح قاسيون . أنظر : ابن العماد : شذرات الذهب جـ ٥ ص ٤٣٣ .

(٣) أبو الفرج عبد الرحمن بن أبى عمر محمد بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسى الحنبلى ولد سنة ٥٩٧ هـ سمع من أبيه وعمه الشيخ موفق الدين عنى بالحديث وتفقه على يد عمه درس وأفتى وأقرأ العلم زمنا طويلا وولى شيخه دار الحديث ، كان كثير ذكر الله توفى سنة ٦٨٢ هـ .
أنظر : ابن العماد : شذرات الذهب جـ ٥ ص ٣٧٦ .

(٤) لم يذكر أبو بكر اليهودى من ضمن شيوخه سوى ابن كثير فى البداية والنهاية جـ ٢٤ ص ١٣٧ ولم أجد له ترجمة .

(٥) ابن العماد : شذرات الذهب جـ ٦ ص ٨٠ ، الألوسى : جلاء العينين ص ٦.

وانتقد مواضع ضعفه ، وأخذ على سيبويه أخطاءه ، كما حفظ ابن تيمية كثيرا من منثور كلام العرب ومنظومه ، ودرس أحوال العرب في الجاهلية كما اعتنى بدراسة تاريخ الاسلام ودوله .(١)

كذلك أقبل على تفسير القرآن الكريم وبرز فيه فقال ابن الوردى " وأما التفسير فسلم اليه ، وكان يكتب فى اليوم والليلة من التفسير أو الفقه أو...... نحوا من أربعة كراريس)(٢) ، وتعلم الخط والحساب(٣) والعلوم الرياضية كالجبر - ونظر فى الكلام والفلسفة وبرز فى هذه العلوم على أهلها ورد على رؤسائهم وأكابرهم .(٤)

نشاطه العلمى :

تأهل ابن تيمية للفتوى والتدريس وهو دون العشرين(٥) ، وقد أمده الله بقوة الذاكرة والحفظ وبطء النسيان وسرعة استحضار الآيات والأحاديث للاستدلال ، حتى قال غير واحد أنه لم يكن يحفظ شيئا فينساه ، وتضلع

---

(١) ابن العماد : شذرات الذهب جـ ٦ ص ٨٠ ، الندوى : رجال الفكر والدعوة فى الاسلام جـ ٢ ص ٣٩ .
(٢) ابن الوردى : تتمة المختصر جـ ٢ ص ٤٠٩ ، الألوسى : جلاء العينين ص ١٠ .
(٣) ابن عبد الهادى : العقود الدريه ص ٣ ، ابن الوردى : تتمة المختصر جـ ٢ ص ٤٠٨ .
(٤) الألوسى : جلاء العينين ص ٦ .
(٥) ابن العماد : شذرات الذهب جـ ٦ ص ٨١ ، ابن الوردى : تتمة المختصر جـ ٢ ص ٤٠٨ ، الألوسى : جلاء العينين ص ٦ .

بعلم الحديث وحفظه فقالوا : (ان كل حديث لا يعرفه ابن تيمية فليس بحديث) .[١]

توفى والده وهو ابن احدى وعشرون سنة ، فقام بوظائفه من بعده مده ، فدرس بدار الحديث السكرية ٦٨٣ هـ ، وحضر عنده مجموعة من العلماء والقضاة ، منهم الشيخ تاج الدين الفزارى شيخ الشافعية[٢] ، وابن المرحل[٣] ، وابن المنجا[٤] ، وغيرهم من كبار العلماء ، فذكر ابن تيمية درسا عظيما فى البسطة بهر الحاضرين به ، فأثنوا عليه جميعا ، وكان الشيخ تاج الدين الفزارى يحب ابن تيمية وشديد التعظيم والاكرام له ، وقد أعجب بدرسه هذا كثيرا فعلق بخطه على درسه هذا .[٥]

---

(١) ابن الوردى : تتمة المختصر جـ ٤ ص ٤٠٩ ، ابن العماد : شذرات الذهب جـ ٦ ص ٨١ ، الألوسى : جلاء العينين ص ٦ .

(٢) عبد الرحمن بن سباع بن ضياء الدين أبو محمد الفزارى الامام العلامة العالم ، تولى التدريس فى المدرسة البادرائية بدمشق واجتمعت فيه فنون كثيرة من العلوم النافعة والأخلاق اللطيفة وفصاحة المنطق وحسن التأليف وعلو الهمة ، له كتاب الأقليد ولد سنة ٦٣٠هـ وتوفى سنة ٦٩٠هـ.
أنظر : ابن كثير : البداية والنهاية جـ ١٣ ص ٣٢٥ .

(٣) عمر بن مكى بن عبد الصمد الشافعى المعروف بابن المرحل سمع الحديث وبرع فى الفقه وفى علوم شتى منها علم الهيئة وله فيه مصنف درس وأفتى وتولى خطابه دمشق ، توفى سنة ٦٩١ هـ .
أنظر : ابن كثير : البداية والنهاية جـ ١٣ ص ٣٢٥ .

(٤) هو الشيخ زين الدين ابن المنجا ، وقد تقدمت ترجمته .

(٥) ابن العماد : شذرات الذهب جـ ٦ ص ٨١ ، ابن كثير : البداية والنهاية جـ ١٣ ص ٣٠٣ .

واصل ابن تيمية خط والده فكان يجلس في كل يوم جمعة بالجامع ، في نفس مكان والده لتفسير القرآن الكريم ، فكان يورد في المجلس في تفسير القرآن العظيم نحو كراسين أو أكثر من حفظه بدون سابق تحضير.[1] قال البزار: " كان اذا قرئ في مجلسه آيات من القرآن العظيم يشرع في تفسيرها فينقضى المجلس بجملته والدرس بزمنه وهو في تفسير بعض آية منها".[2]

كان رحمه الله قد جعل من وقته فترة معينة تقدر بربع النهار لشرح القرآن الكريم ، بدون أن يكون هناك سابق تحضير لما يريد أن يلقيه فقد كان يدع من حضر يقرأ ما تيسر له ، ثم يشرع هو في تفسيره وكان غالبا ما ينهى درسه لمصلحة السامعين ، فانه كان يفهمهم أنه لولا مضى الزمن المعتاد لزادهم في الشرح والتفسير.[3] وكان ذلك من كريم خصاله فلم يكن يريد أن يضيق على الحاضرين ويحرجهم باستبقائهم أكثر من الوقت المعتاد حرصا على أشغالهم.

كان مجلسه يضم كثيرا من طلاب العلم فيغترفون من بحره الواسع لكثرة علمه وتبحره الواسع في شتى المجالات ويصف لنا ابن كثير حالة مجالسه فيقول : " كان يجتمع عنده الخلق الكثير والجم الغفير ، من كثرة ما يورد من العلوم المتنوعة المحررة ، مع الديانة والزهادة والعبادة ،سارت بذكره

---

(١) ابن العماد : شذرات الذهب جـ ٦ ص ٨١ ، ابن كثير: البداية والنهاية جـ ١٣ ص ٣٠٣.

(٢) البزار : الأعلام العلية ص ٢٣.

(٣) ن.م.س : ص ٢٣.

الركبان فى سائر الأقاليم والبلدان" [١].

حدث فى دمشق سنة ٦٩٣ هـ ما أجج عاطفة ابن تيمية الايمانية وأثار حميته الدينية بشكل عملى حيث قام رجل فى دمشق اسمه عساف النصرانى يشتم الرسول صلى الله عليه وسلم وقد شهد عليه جماعة من الناس بذلك فتوجه الشيخ ابن تيمية مع الشيخ زين الدين الفارقى [٢] شيخ دار الحديث ، فدخلا على الأمير عز الدين أيبك الحموى [٣] وقصا عليه الحكاية فطلب النصرانى وعقد له مجلس بحضور الشهود ، ثم أسلم النصرانى وانتهت المسألة [٤] فألف ابن تيمية فى هذه الحادثة كتابه المشهور " الصارم المسلول

---

(١) ابن كثير : البداية والنهاية جـ ١٣ ص ٢٠٣.

(٢) عبد الله بن مروان بن عبد الله بن فهر بن الحسن أبو محمد الفارقى شيخ الشافعيه ولد سنة ٦٣٣ هـ سمع كثيرا من الحديث اشتغل ودرس بعدة مدارس ، وأفتى لمدة طويلة ، كانت له همة وشهامة وصرامة ، عمر دار الحديث بعد خرابها أيام قازان وقد باشرها النووى ٢٧ سنة كانت معه الشامية البرانيه وخطابة الجامع الأموى لمدة ٩ شهور توفى سنة ٧٠٣ هـ .
أنظر : ابن كثير : البداية والنهاية جـ ١٤ ص ٣٠.

(٣) تولى نيابة دمشق مدة ثم عزل عنها الى صرخد ثم انتقل الى نيابة حمص ، توفى سنة ٧٠٣ هـ .
أنظر : ابن كثير : البداية والنهاية جـ ١٤ ص ٣٠.

(٤) ابن كثير : البداية والنهاية جـ ١٣ ص ٣٣٥ - ٣٣٦ ، محمد العدوى مجلة هذه سبيلى ص ٢١٥ ، ٢١٦.

على شاتم الرسول" .[1]

توفى الشيخ أبو البركات ابن المنجا شيخ المدرسة الحنبلية بدمشق سنة ٦٩٥ هـ فخلفه الشيخ ابن تيمية[2] فيها فجمع بذلك شياخة المدرسة الحنبلية والدروس التى خلف فيها والده رحمه الله .

استمر ابن تيمية بالدروس والتدريس فى دمشق وكان اقبال الناس عليه كبيرا سواء من الخاصة أو العامة وأصبحت مجالس علمه تطبق شهرتها الآفاق حتى أن طلاب العلم كانوا يقدمون عليه من خارج دمشق ليسألوه ويستفتوه ، كما حدث حين قدم عليه سنة ٦٩٨ هـ بعض أهل حماه ووجهوا استفتاء اليه يسألونه فيه عن تحقيق العلماء فى الصفات التى وصف الله تعالى بها نفسه فى هذه الآيات : (الرحمن على العرش استوى) ، (ثم استوى الى السماء) وما أشبهها كذلك حديث (ان قلوب بنى آدم بين اصبعين من أصابع الرحمن) وغيره من الأحاديث ، فأجابهم الشيخ بتفصيل كبير وايضاح واف تحدث فيه عن مذهب السلف من الصحابة والتابعين والأئمة المجتهدين

---

(١) رتب ابن تيمية هذا الكتاب على أربعة مسائل :
١ - أن الساب يقتل سواء كان مسلما أو كافرا ..
٢ - يتعين قتله وان كان ذميا فلا يجوز المن عليه ولا مفاداته .
٣ - فى حكمه اذا تاب.
٤ - فى بيان السب والفرق بينه وبين الكفر . أنظر: ابن تيمية : الصارم المسلول على شاتم الرسول ص ٣ .

(٢) ابن كثير: البداية والنهاية جـ ١٣ ص ٣٤٤ .

والعلماء والمتكلمين المتقدمين (أمثال أبي الحسن الأشعري[1]) وغيره مستدلا بأقوال هؤلاء ومؤلفاتهم مما يدل على مدى معرفته وعلمه بالمذاهب والمدارس الفكريــة .

وكان يرى ابن تيمية أن الايمان بصفات الله تعالى من واجبات الديـن مع الاعتراف بحقيقتها التى تتفق مع جلال الله تبارك وتعالى ، ويجـــدر بذاته العلية وليس كمثله شيء مع التنزه الكامل عن كل تشبيه أو تجسيم وكـل نفي وتعطيل انه أنه لا يقيس صفات الله عز وجل على صفات الخلق ، وفـى نفس الوقت لا ينكرها ولا ينفيها من شدة المغالاة والافراط فى تنزيه اللــــه تعالى ، ولا يؤولها تأويلا يبعدها عن الحقيقة ويتركها مجرد كناية ومجاز ، بل يرى أن الله سبحانه وتعالى يستوى على العرش استواء يليق بجلالــــه وانه يملك يدين ورجلين وسمعا وبصرا ولكن ليس كأيدينا ولا كسمعنـــا ولا كبصرنا بل (ليس كمثله شيء) . أحد صمد لم يلد ولم يولد ولم يكن لــه

---

(١) على بن اسماعيل من ذرية أبي موسى الأشعرى صاحب رسول اللـــه صلى الله عليه وسلم ، ولد بالبصرة سنة ٢٧٠ هـ ، تزوجت أمـــه بعد وفاة أبيه بأبي على الجبائى شيخ المعتزلة فى عصره فتربى فـى حجره وصار نائبه وأمين سره وظل على ذلك أربعين سنة الى أن أراد الله له الرجوع الى دين الحق والصواب فخرج الى الجامع وقـال : أنا تائب عن معتقد المعتزلة راد عليهم مخرج لفظائعهم ومعائبهم أنظر :
الندوى : رجال الفكر والدعوة فى الاسلام جـ ١ ص ١٤٩ - ١٥٠ .

كفوا أحد، وألف في ذلك ما يعرف بالمسألة الحموية تكلم فيها عن آيات الصفات والأحاديث الواردة في ذلك مع الشرح وابداء رأيه في هذا الموضوع .[(١)]

كان للشيخ ابن تيمية حاسدون وحاقدون دسوا عليه في هذا الموضوع ليتمكنوا من النيل منه ، فدسوا له عند القاضي جلال الدين الحنفي فوافقهم وأرسل الى ابن تيمية يأمره بالحضور فلم يحضر مما سبب غضب القاضي عليه الا أن الأمير سيف الدين جاغان[(٢)] وكان محبا له انتصر له وتشدد في معرفة الذين سعوا في الشيخ فعرف أكثرهم فعزرهم فهدأت الأحوال قليلا واستطاع الشيخ ابن تيمية أن يواصل دروسه فجلس على عادته يوم الجمعة مفسرا لقوله تعالى : " وانك لعلى خلق عظيم " .[(٣)]

فذكر الحلم وما ينبغي استعماله وتأثيره في الناس ، فأقبل عليه الناس من العامة والخاصة من العلماء ينهلون من علومه ومعارفه[(٤)] فيذكر لنا أحد هؤلاء العلماء عن مجالس علمه في دمشق فيقول : (وأما ذكر دروسه فقد كنت في حال اقامتي بدمشق لا أفوتها ، وكان لا يهيء شيئا من

---

(١) الندوى : رجال الفكر والدعوة في الاسلام ج ٢ ص ٤٦ - ٤٧ .
(٢) سيف الدين جاغان ولي نيابة دمشق كان فيه خير ودين ، توفي بأرض البلقاء في أول الكهولة سنة ٦٩٩ هـ .
أنظر : ابن العماد : شذرات الذهب ج ٥ ص ٤٤٦ .
(٣) سورة القلم ، آية (٤) .
(٤) ابن كثير : البداية والنهاية ج ١٤ ص ٤ ، ابن عبد الهادي : العقود الدرية ص ٢٠١ - ٢٠٢ .

العلم ليلقيه ويورده بل يجلس بعد أن يصلى ركعتين فيحمد الله ويثنى عليه ويصلى على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم يشرع فيفتح الله عليه بآيات وأحاديث وأقوال العلماء ونقد بعضها وتبيين صحته أو تزييف بعضها وايضاح حجته ، وهو مع ذلك يجرى كما يجرى السيل) . (١)

رغم غزارة علم ابن تيمية وكثرة اقبال الناس والعلماء على دروسه الا أنه كان يغشى بنفسه مجالس العلم والعلماء رغبة منه فى الاستزادة من المعلومات والاستفادة من علم الآخرين .

. . . .

---

(١) البزار : الأعلام العلية ص ٢٨ ، ٢٩ .

تلامذته

(٢) تلاميذه

لقد تخرج على يد الشيخ ابن تيمية علماء أفذاذ واصلوا طريقه وكانت لهم مواقف حميدة في الدفاع عن الاسلام،من أمثال هؤلاء :

١ - الامام ابن قيم الجوزية :

هو محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد بن جرير الزرعي الامام شمس الدين أبو عبد الله الدمشقي الحنبلي المعروف بابن قيم الجوزية ، ولد رحمه الله سنة ٦٩١ هـ وتوفي سنة ٧٥١ هـ .[١] برع في علوم كثيرة من تفسير وفقه ونحو وحديث وفي علم الأصول والفروع وفي علم الكلام ، شهد له علماء كثيرون بهذا ، حتى قال عنه ابن العماد : " الفقيه الحنبلي بل المجتهد المطلق المفسر النحوي والأصولي المتكلم ".[٢]

قال عنه البغدادي:" ولا رأيت أوسع منه علما ولا أعرف بمعاني القرآن والسنة وحقائق الايمان منه ، وليس هو المعصوم ولكن لم أر في معناه مثله ".[٣]

---

(١) ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة جـ ١٠ ص ٢٤٩ ، الألوسي : جلاء العينين ص ٣٠ ، البغدادي : هداية العارفين جـ ٢ ص ١٥٨ ،كحالة : معجم المؤلفين جـ ٩ ص ١٠٦ .

(٢) ابن العماد : شذرات الذهب جـ ٦ ص ١٦٨ .

(٣) ابن رجب : ذيل طبقات الحنابلة جـ ٢ ص ٤٤٨ .

لقى ابن القيم مثل أستاذه كثيرا من الأذى ، فحبس عدة مرات وأوذى بسبب سيره على خط شيخه ، فقد أنكر شد الرحال الى قبر الخليل عليه السلام فحبس لذلك ، كما حبس مع الشيخ ابن تيمية فى المرة الأخيرة بالقلعة ووضع فى مكان منفرد ، وبقى فى السجن الى أن مات الشيخ فأفرج عنه[1].

كان رحمه الله يستغل جميع أوقاته فى الاستزادة من العلم ، فكان طوال أيامه مشتغلا بتلاوة القرآن الكريم والتدبر فى معانيه ، والتفكير فى آياته ، ففتح الله عليه أبواب علوم كثيرة[2].

كان لبراعته فى العلوم الشرعية أن تصدى للاقراء والافتاء سنين طويلة ، حتى ذاع صيته وانتفع به كثير من الناس وأفتى كثيرا من الفتاوى وألف الكثير فى شتى أنواع العلوم[3]، منها تهذيب سنن أبى داوود وايضاح مشكلاته ، سفر الهجرتين ، مراحل السائرين ، الكلم الطيب ، زاد المعاد فى هدى خير العباد ، الطرق الحكمية فى السياسة الشرعة ، تحفة المودود بأحكام المولود ، وغيره من الكتب[4].

---

(١) ابن رجب : ذيل طبقات الحنابلة جـ ٢ ص ٤٤٨ ، ابن العماد : شذرات الذهب جـ ٦ ص ١٦٨ .

(٢) ابن رجب : ذيل طبقات الحنابلة جـ ٤ ص ٤٤٨ .

(٣) ابن رجب : ذيل طبقات الحنابلة جـ ٤ ص ٤٤٩ ، ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة جـ ١٠ ص ٢٤٩ .

(٤) ابن رجب : ذيل طبقات الحنابلة جـ ٤ ص ٤٤٩ .

٢ - الحافظ الذهبي :

هو شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان ابن قايماز التركماني الذهبي ، كان أحد أربعة حفاظ ذلك العصر ، وهم المزي - البرزالي - الذهبي - السبكي (تقي الدين). ولد سنة ٦٧٣ هـ وتوفي سنة ٧٤٨ هـ .(١)

أخذ العلم من عدة شيوخ ، منهم هبة الله بن عساكر، والشيخ ابن دقيق العيد ، وغيرهم ، برع رحمه الله في التفسير والحديث والتاريخ ورجالهم ، وكان شيخ الجرح والتعديل ،قال عنه السبكي : " رجل الرجال في كل سبيل كأنما جمعت الأمة في صعيد واحد فنظرها ثم أخذ يخبر عنها أخبار من حضرها ".(٢)

ذاع صيته في البلاد ، حتى أصبح محط طلاب العلوم ، وتخرج على يديه كثير من العلماء ، منهم السبكي صاحب طبقات الشافعية حيث قال : " وهو الذي خرجنا في هذه الصناعة وأدخلنا في عداد الجماعة ".(٣)

وقال عنه الكتبي : " الامام العلامة حافظا لا يجارى أتقن الحديث ورجاله وكان عالما بتراجم الناس .(٤)

---

(١) ابن العماد : شذرات الذهب جـ ٦ص ١٥٣ ، الألوسي : جلاء العينين ص ٣٢ .

(٢) السبكي : طبقات الشافعية جـ ٥ ص ٢١٦ .

(٣) ن.م.س: جـ ٥ ص ٢١٦ .

(٤) الكتبي : فوات الوفيات جـ ٣ ص ٣١٥ .

له التصانيف الكثيرة منها تاريخ الاسلام الكبير فى ٢١ مجلدا ومختصره فى عدة مجلدات ، ومختصر العبر فى خبر من غبر ، وميزان الاعتدال فى نقد الرجال ، المغنى فى الضعفاء ، طبقات الحفاظ، التجريد فى أسماء الصحابة ، مختصر تاريخ بغداد للخطيب البغدادى ، وغيره من الكتب القيمة .(١)

٣ - الحافظ ابن كثير :

الحافظ الكبير عماد الدين اسماعيل بن عمر بن كثير البصرى ثم الدمشقى الفقيه الشافعى ، ولد سنة ٧٠٠ هـ وتوفى سنة ٧٧٤ هـ(٢) كان رحمه الله قليل النسيان ، كثير الاستحضار ،فأفاده ذلك فى سرعة التعلم ، حتى ألف فى صغره كتاب (أحكام التنبيه) وقد برع فى علم التفسير ، والحديث والتاريخ وألف فيهما الكتب الكثيرة، أفتى وحدث حتى طارت شهرته فى الآفاق ، قال عنه الذهبى : " هو الامام المحدث البارع ".(٣)

تتلمذ على ابن تيمية وكان محبا له متبعا لكثير من آرائه وفتاويه مثل مسألة الطلاق حتى أنه أوذى بسبب ذلك . له كثير من التصانيف فى شتى العلوم مثل تفسيره للقرآن وكتابه (البداية

---

(١) السبكى : طبقات الشافعية جـ ٥ ص ٢١٧ ، ابن العماد : شذرات الذهب جـ ٦ ص ١٥٥ ، الألوسى : جلاء العينين ص ٣٣ .
(٢) ابن العماد :شذرات الذهب جـ ٦ ص ٢٣١ ، الألوسى : جلاء العينين ص ٣٤ .
(٣) الألوسى : جلاء العينين ص ٣٤ .

والنهاية فى التاريخ)، ومختصر تهذيب الكمال وغيره[١] .

٤ - الحافظ ابن عبد الهادى :

هو الحافظ شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عبد الهادى بن محمد بن قدامه المقدسى الجماعيلى الصالحى الفقيه الحنبلى[٢] .

كان فقيها ومحدثا عنى بالحديث وفنونه ورجاله ، تفقه فى المذهب الحنبلى حتى أخذ يفتى فيه ، تتلمذ على يد علماء أفذاذ منهم أبو بكر بن عبد الدائم والشيخ تقى الدين ابن تيمية ولازمه مدة كما لازم الحافظ المزى وأخذ عنه علم الرجال كما أخذ من الذهبى وغيرهم كان محبا للشيخ ابن تيمية كثيرا نلاحظ ذلك من خلال كتابه الذى أفرده فى ترجمة الشيخ ابن تيمية وهو المسمى العقود الدرية فى مناقب ابن تيمية حتى أننا نلاحظ أثر محبته فلم يورد مثالب لابن تيمية بل يشتمل الكتاب على مناقب ابن تيمية فقط .

له تصانيف كثيرة منها الصارم المنكى فى الرد على ابن السبكى وكتاب تنقيح التحقيق فى أحاديث التعليق لابن الجوزى ، المحرر فى الأحكام ، العمدة وغيره .

---

(١) ابن العماد : شذرات الذهب جـ ٦ ص ٢٣١ ، الألوسى : جلاء العينين ص ٣٤ .
(٢) ابن رجب : ذيل طبقات الحنابلة جـ ٢ ص ٤٣٦ .

ولد سنة ٧٠٥ هـ وتوفى سنة ٧٤٤ هـ ودفن بسفح قاسيون رحمه الله .(١)

٥ - الشيخه فاطمة بنت عباس :

الشيخة الصالحة العابدة الناسكة أم زينب فاطمة بنت عباس ابن أبى الفتح بن محمد البغدادية ، كانت من العالمات الفاضلات ومن تلامذة الشيخ ابن تيمية ، كانت تحضر مجالسه وتستفيد منه واذا أشكل عليها أمر تسأل الشيخ وتلح عليه فى ذلك ، وكانت سريعة الفهم ، وتستحضر كثيرا من المغنى ، كان الشيخ ابن تيمية يثنى عليها ويصفها بالفضيلة والعلم . .

وانه كان يستعد لها من كثرة مسائلها ، وحسن سؤالاتها ، وكانت تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر ، وتقوم على الأحمدية مظهرة لبدعهم ومنكراتهم فى مؤاخاتهم للنساء والمردان ، وأنكرت أحوالهم وحيلهم ، كما قامت على بقية أهل البدع والمنكرات ، وفعلت من ذلك مالا يقدر عليه كثير من الرجال ، كما قامت بتحفيظ النساء القرآن الكريم .

توفيت سنة ٧١٤ هـ بظاهر القاهرة .(٢)

.. ..

---

(١) ابن رجب : ذيل طبقات الحنابلة جـ ٢ ص ٤٣٩ ، ابن العماد : شذرات الذهب جـ ٦ ص ١٤١ ، الألوسى : جلاء العينين ص ٣٤ ، ٣٥ .

(٢) ابن كثير : البداية والنهاية جـ ١٤ ص ٧٢ .

علاقته بالحكام والعلماء والعامة

(٣) علاقة ابن تيمية بالحكام والعلماء والعامة

" لا يخشى رجلٌ غيرَ الله الا لمرض فى قلبه " عبارة كانت محفورة فى قلب الشيخ ابن تيمية تسير معه أينما اتجه أو ارتحل تنير له الطريق ، وتسير به نحو الايمان الكامل فلا خوف من أحد أيا كان سلطانا أو حاكما أو قاضيا فما دونهم فى سبيل قول الحق ، فلو اجتمعوا جميعا لأيذائه فان الله يردهم عنه ولن يصيبه منهم شىء متمثلا بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم لابن عباس : " وان اجتمعوا على أن يضروك بشىء لن يضروك الا بشىء قد كتبه الله عليك "(١). لذلك لم يكن يخاف ابن تيمية فى الحق لومة لائم فكان اذا رأى منكرا سارع بتغييره كائنا من كان صاحبه مما جعل له كثيرا من الحساد والأعداء بالاضافة الى المحبين لدينه وعلمه وشجاعته ، ولم يكن ابن تيمية يمتاز عن أقرانه من العلماء بالعلم فقط وانما امتاز عنهم بالجرأة والصراحة فى ابداء آرائه وفتاواه وفى انكار البدع والخرافات ومهاجمة المتصوفين الدخلاء . مما أثار ضده كل من لم يوافقه فى ذلك ، كما أعجب به كثيرون ووقفوا بجانبه ، ومن هنا كان تعرضه

---

(١) نص الحديث عن أبى عبد الله بن عباس رضى الله تعالى عنهما قال : " كنت خلف النبى صلى الله عليه وسلم يوما فقال : (ياغلام أنى أعلمك كلمات : احفظ الله يحفظك ، احفظ الله تجده تجاهك ، اذا سألت فاسأل الله ، واذا استعنت فاستعن بالله ، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشىء لم ينفعوك الا بشىء قد كتبه الله لك وان اجتمعوا على أن يضروك بشىء لم يضروك الا بشىء قد كتبه الله عليك رفعت الأقلام وجفت الصحف) - رواه الترمذى ، وقال حديث حسن صحيح ، نقلا عن كتاب شرح الأربعين حديث النووية للامام ابن دقيق العيد ص ٥٠ .

لغضب الحكام، وحقد خصومه من بعض العلماء ومن العامة الذين كانت تثيرهم مواقف العلماء ضده ومحاولة بعض الحكام الضرب على يده .

منزلة الشيخ بين الحكام :

كان الشيخ ابن تيمية على علاقة حسنة مع الحكام الذين يقدرون العلم والدين فلم يستطع المغرضون أن يوغروا صدور الأمراء عليه بل على العكس نجدهم يسارعون لنجدته ويضربون بيد من حديد على المغرضين والواشين (١) .

أما بعض الأمراء الذين لا هم لهم سوى الحكم مع قلة العلم والمعرفة فقد وجد أصحاب النفوس المريضة من أعداء الشيخ الطريق الى نفوسهم لتنفيذ مآربهم وخططهم فنال الشيخ منهم الأذى عدة مرات .

ومن أمثال محبيه :

١ - الأمير سيف الدين جاغان :

من أمراء دمشق كان على درجة كبيرة من الديانة والخير ، يعرف لابن تيمية قدره وكان معجبا به يحاول جهده دفع الأذى عنه وعن أصحابه ، وحين وقعت للشيخ ابن تيمية المحنة سنة ٦٩٨ هـ ،

---

(١) مثل انتصار الأمير سيف الدين جاغان لابن تيمية ضد خصومه سنة ٦٩٨ هـ ، كما مر معنا في الصفحات السابقة .

حيث آذاه بعض العامة ، كما ألقي بعض أصحابه وتلامذته في السجون ، انتصر له هذا الأمير ودفع عنهم الأذى ، وشدد في عقاب المتسببين في ذلك وعزر جماعة منهم.(١)

٢ - الأمير جمال الدين آقوش الأفرم :

كان نائبا في الكرك ثم تنقل بين مصر والشام الى أن استقر بنيابة دمشق .

كان يكن للشيخ ابن تيمية محبة عظيمة ويحاول جهده أن يبعد الأذى عنه فحين طلب الشيخ ابن تيمية الى مصر سنة ٧٠٥ هـ توقع الأفرم حدوث الشر له فأشار عليه بعدم الذهاب على أن يراسل هو السلطان ويحاول اصلاح القضايا بينهما ، ورغم علمه بشدة المهمة التي سيواجهها الا أنه لم يبال بذلك ما دام فيها حماية ابن تيمية .(٢)

٣ - الأمير سلار :

من الأمراء المماليك ، كان نائبا في مصر وشريكا لبيبرس الجاشنكير في الحكم(٣) ، وكان كثير المحبة للشيخ ، استضافه في منزله

---

(١) ابن كثير : البداية والنهاية جـ ١٤ ص ٤ ، ابن عبد الهادى : العقود الدرية ص ٢٠١ .

(٢) ابن كثير : البداية والنهاية جـ ١٤ ص ٣٨ .

(٣) كان الأميران سلار والجاشنكير بيدهم مقاليد الأمور في عهد السلطان الناصر في فترة حكمه الثانية ثم حين خلع نفسه واتجه الى الكرك تسلطن الجاشنكير وأشرك معه سلار.
أنظر : ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة جـ ٨ ص ٢٣٢ - ٢٣٦ .

بعد خروجه من السجن سنة ٧٠٥ هـ ، ورغب في اقامته في مصر ليستفيد أهلها من علمه ودينه بدلا من ذهابه الى الشام[١] ، وكان يحاول بقدر استطاعته حماية الشيخ من غضب أعدائه وخصومه ، وتخفيف وطأة السجن عليه ، وحين استشاره بيبرس الجاشنكير في اصدار أمر بقتل ابن تيمية بعد فتواه بمنع الاستغاثة برسول الله صلى الله عليه وسلم وغيرها من الفتاوى التي لم تناسب حاسديه رفض سلار هذا القرار ودافع عن الشيخ ابن تيمية الى أن جعل الحكم السجن فقط لحمايته من كيد أعدائه ومؤامراتهم.[٢]

علاقة ابن تيمية بالسلطان محمد الناصر :

في بداية سلطنة الناصر لم يكن له رأى أو تصرف في الحكم لصغر سنه فقد كان له الاسم فقط فلم يكن يستطيع الدفاع عن ابن تيمية ، أو غيره أو حتى عن نفسه لتسلط الأمراء عليه واستئثارهم بالسلطنة دونه ، لذلك كان يراقب الأحوال والأوضاع من بعيد ، تطل من عينه نظرات الحزن والأسى على ابن تيمية وهو ملقى في السجن ، لذلك ما أن عاد الى السلطنة للمرة الثالثة[٣] ، واستقر في الحكم حتى كان أول أمر أصدره الافراج عن الشيخ واحضاره من سجن الاسكندرية واكرامه ، وقد بلغ من محبته للشيخ وتعظيمه له أنه كان جالسا في مجلس الحكم والقضاة والأعيان

---

(١) ابن كثير : البداية والنهاية جـ ١٤ ص ٤٥ .
(٢) الشرقاوى : الأهرام ص ١٣ - ٨/٩/١٩٨٢م .
(٣) المقريزى : الخطط جـ ٢ ص ٢٣٩ .

محيطون به فاذا به ينهض واقفا لاستقبال الشيخ واحتضانه ثم يأخذه الى الشرفه ويستفتيه في قتل أعدائه من العلماء ثم يعود به الى مجلسه ويجلسه بين يديه ويثني عليه أمام خصومه ثناء كثيرا مما زادهم غيظا وكمدا.[1]

لقد بلغ من كثرة محبة السلطان للشيخ واجلاله أنه كان يقبل يده وحين حاول ابن تيمية سحبها منه قال له: "ان لم نقبل يدك نقبل يد من؟ وأنا لم أقبل يد أحد سواك وابن دقيق العيد رحمه الله".[2] وكان اذا انقطع عنه ابن تيمية يرسل له السلطان يستدعيه اليه يطلب منه النصيحة فيقدمها له، وينكر كثيرا من المنكرات التى أحدثها الناس فيأمر السلطان بالعمل بما أشار عليه ابن تيمية،[3] لدرجة أن السلطان عزل والى دمشق باشارة ابن تيمية حين بلغه استبداده بأهل دمشق وانتزاعه الأموال الكثيرة منهم، وتنكيله بالعلماء الأفاضل حين نصحوه بالعدل.[4]

---

(١) ابن عبد الهادى: العقود الدرية ص ٢٧٩ - ٢٨١، ابن كثير: البداية والنهاية جـ ١٤ ص ٥٣ - ٥٤.

(٢) الشرقاوى: الأهرام، مقالة ص ١٣ - ٢٢/٩/١٩٨٢م.

(٣) ن.م.س: ومن المنكرات التى ذكرها الشيخ للسلطان ذهاب النساء الى العرافين لكتابة الأحجبة لاستبقاء حب الأزواج وليرزقن بالأولاد وهذا شرك بالله تعالى وذهاب للأموال والأعراض، فقد كان بعض العرافين رجالا يتزينون بزى نساء فيفسقوا فى بعض الأحيان بمن تأتيهن. كذلك خروج النساء الى الأسواق متبرجات وزيارتهن للقبور مما يغرى من فى قلبه مرض.

(٤) ابن كثير: البداية والنهاية جـ ١٤ ص ٦٢.

كان لهذه المكانة التى وصل اليها ابن تيمية لدى السلطان الناصر أن تألب عليه خصومه وزاد حسدهم له ، فقد صار له مكانة كبيرة لدى السلطان لدرجة أنه يعزل ويولى الولاة والقضاة ، فماذا سيفعل بهم السلطان لو شكاهم اليه ابن تيمية ،(١) فما عليهم الا أن يسيئوا العلاقة بينهما ، ويحاولوا ابعاد الشيخ ابن تيمية عنه ، فكذبوا عليه وأوغروا صدر السلطان ضده ، متهمين الشيخ بأنه يريد سلب الملك من السلطان ، مستدلين بجذبه لقلوب العامة ، ومحبتهم والتفافهم حوله ، فأحضر السلطان ابن تيمية وسأله عن مدى صحة هذا الخبر ، فلم يكترث ابن تيمية لهذا الكلام وأجابه بكل هدوء واطمئنان وثقة بالنفس ورفع صوته ليسمعه خصومه فقال : " أنا أفعل ذلك! والله ان ملكك وملك المغول لا يساوى عندى فلسين " فضحك السلطان كثيرا وصدقه ، لنزاهته وترفعه عن المناصب ، فلم يلِ للسلطه عملا أو أخذ منهم أجرا ، وكذب الواشين وردهم بغيظهم لم ينالوا من الشيخ شيئا ،(٢) ولولا المحبة العميقة التى يكنها السلطان للشيخ لأهلكه بكثرة ما يسعى ضده المغرضون ، من أقاويل زورا وبهتانا ينسبونها اليه .

فكر خصوم ابن تيمية فى طريقة جديدة يستطيعون بها أن يدسوا ضده لدى السلطان ، بحيث يبعده عنه ابعادا كليا ، فبحثوا ونقبوا

---

(١) الشرقاوى : الأهرام ، مقالة ص ١٣ ، ٢٢/٩/١٩٨٢م

(٢) البزار : الأعلام العلية ص ٦٥ ، ٦٦ ، البيطار : حياة شيخ الاسلام ابن تيمية ص ١٥ .

طويلا الى أن عثروا للشيخ على فتوى قديمة أخذوها وذهبوا بها الى السلطان وهم فرحون فقد نجحوا هذه المرة فى الكيد له لأن ابن تيمية هذه المرة قد مس اعتقاد السلطان ، وهو متمسك برأيه مهما حاول ابن تيمية اقناعه بعكس ذلك ، وابن تيمية كان يعرفه خصومه لا يمكن أن يتنازل عن رأيه ارضاء لخاطر السلطان طالما أنه على الحق والصواب ، فكان ان وجدوا له فتوى كان قد أصدرها بمنع الاستغاثة بالرسول صلى الله عليه وسلم بشخصه وان هذا شرك صريح بالله سبحانه وتعالى ، فيجوز الاستغاثة بالرسول صلى الله عليه وسلم والتوسل بدعائه وشفاعته يوم القيامة لا بذاته ، مستدلا بما حدث فى عهد عمر بن الخطاب رضى الله عنه حين تشفع بسيدنا العباس فلو كان يجوز التشفع بسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم بعد وفاته لما تركه عمر الى العباس[1] ، كذلك رأى ابن تيمية فى مسألة السفر لزيارة قبره الشريف عليه الصلاة والسلام وبقية قبور الأنبياء عليهم السلام والصالحين حيث منع ابن تيمية شد الرحال لزيارة القبور[2] .

أصدر السلطان مرسوما باعتقال الشيخ ، ووضعه فى قلعة دمشق ومنعه من الفتوى وملاحقة أصحابه وتلامذته وتعزيرهم ، وذلك فى سنة

---

(١) ابن تيمية : التوسل والوسيلة ص ٦٤ ودعاء أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه فى الاستسقاء المشهور قوله (اللهم انا كنا اذا أجدبنا نتوسل اليك بنبينا فتسقينا وانا نتوسل اليك بعم نبينا) .

(٢) اذ رأى ابن تيمية أن زيارة القبور للدعاء **والشفاعة من الميت كما** كان متفشيا بين العامة فى ذلك الوقت ، مدعاة للكفر بالله وطريق لاتخاذ القبور أوثانا تعبد من دون الله بينما رأى أن زيارتها للدعاء للميت والاستغفار له فهو جائز .

وللاستزادة فى هذا الموضوع نرجو مراجعة كتاب ابن تيمية التوسل والوسيلة ص ٢٣ - ٣٠ ... الخ .

٧٢٦ هـ وظل الشيخ ابن تيمية فى سجن القلعة الى أن انتقل الى رحمة الله [(١)] .

خصوم الشيخ :

كان الأمير بيبرس الجاشنكير يكن العداوة والكراهية للشيخ ابن تيمية وحين ارتقى الى السلطة لاقى منه ابن تيمية الأمرين بتحريض من شيخ الأمير بيبرس الجاشنكير الشيخ نصر بن المنبجى ، الذى كان أثيرا لديه ولا يرفض له طلب ، فسجن الشيخ عدة مرات [(٢)] ، **كان فى** احداها سيصدر أمر بقتل الشيخ ، فدافع الأمير سلار عنه فحماه الله ودفع عنه الأذى ، كما كان الجاشنكير يكره ابن تيمية لمحاربته للصوفية الذين يدعون أن الانسان مسير لا مخير حيث شجعهم الحكام فى ذلك ، اذ لاقى هوى فى نفوسهم فبذلك يستطيعون التحكم فى الشعب ، فيما أنهم مسيرون اذا فليقبلوا تحكم السلاطين المستبدين فهذه ارادة الله لا خيار لهم فيها فأخذ ابن تيمية يحارب هذا الفكر ومدعيه ، الى أن تنبه كثير من أتباع الصوفية فانشقوا على أنفسهم ورجع بعضهم الى طريق الحق والصواب ، [(٣)] فأيد الله سبحانه وتعالى عبده ابن تيمية ومكنه ودحر عدوه وأزال سلطانه [(٤)] .

---

(١) ابن كثير : البداية والنهاية جـ ١٤ ص ١٢٣ .
(٢) ن.م.س: جـ ١٤ ص ٤٩ - ٥٠ .
(٣) الشرقاوى : الأهرام ، ص ١٣ ، ١٩٨٢/٩/٨ م .
(٤) وذلك بعودة السلطان الناصر للحكم وقتله بيبرس الجاشنكير والافراج عن ابن تيمية ، ابن كثير : البداية والنهاية جـ ١٤ ص ٥١ - ٥٢ .

كان لابن تيمية خصوم من العلماء الكبار يكيدون له فى الخفاء ويعادونه ، بينما كان آخرون يؤيدونه ويدافعون عنه ، فأما خصومه فلم ينالوا منه وانتصر عليهم بوقوف كثير من الحكام الى جانبه ، وحين قويت شوكة ابن تيمية لم يعامل خصومه بمثل ما عاملوه به انما صفح عنهم وبرهن لهم على أن قلوب العلماء لا تحمل ضغينة لأحد انما تحمل النصح والصفح والمعاملة باحسان.

خصوم ابن تيمية من العلماء :

١ - المنبجى :

الامام القدوة العابد أبو الفتح نصر بن سليمان المنبجى المقرىء كانت له سيره حسنة ومحاسن كثيرة ، وكان محبا للعزلة بزاويته بالحسينية ، فكان يتردد عليه فيها الكبراء والأعيان والجند لزيارته ولاستفتائه فى شتى الأمور ، وكانت له محبة لمحي الدين بن عربى ومناصرة له ، تولى وزارة الأعيان بمصر وكانت له منزلة كبيرة لدى بيبرس الجاشنكير فكان لا يرفض له طلبا ، كان يناصب ابن تيمية العداء لرأيه فى ابن عربى حيث أرسل ابن تيمية للمنبجى رسالة يكفر فيها ابن عربى (1).

---

(1) عبد الرحمن بدوى : تاريخ التصوف الاسلامى ص ٧٨.

ولموقف ابن تيمية من غلاة الصوفية ، دس له عند الجاشنكير حيث سجنه عدة مرات ، الا أن ابن تيمية لم يعامله بالمثل لأن ذلك ليس من أخلاقه ، فحين زالت دولة الجاشنكير ، وأفرج السلطان الناصر عن ابن تيمية ، ذهب اليه المنبجي وطلب منه أن يشفع له لدى السلطان وانه سيلبي لابن تيمية جميع ما يطلبه منه ، حتى رأيه في ابن عربي سيوافقه فيه ، فقال له : " وأنا والله لن أخالفك أبدا ، وحتى رأيك في شيخنا ابن عربي أقسم بالله أن أسكت عنه ولن أفكر فيه " .(١)

أهي المساومة يطلبها المنبجي من ابن تيمية يتنازل فيها عن مبادئه وآرائه لمن كان سابقا بين يديه يفعل به كما يحلو له ، اذا فقد آن الأوان لكي ينتصر ابن تيمية لنفسه ويذيق خصمه بعض ما لاقى في سبيل الدعوة الى الله ، الا أن ابن تيمية لن يبادر بالانتقام وهو القائل أنا لا أنتصر لنفسي ، فهو وان ألقوه في السجون فهو شاكر لهم لأنه فهم أنهم لم يؤذوه بل بالعكس قدموا له فرصة عظيمة ، كان يرى أن الله منّ بها عليه للاستزادة من كتابه الكريم ، حيث كان كثيرا ما يتلو القرآن العظيم ويدون تفسير بعض الآيات القرآنية ، فلم يعامل ابن تيمية خصومه بالمثل بل سامحهم ، وفعل أكثر من ذلك ومازال بالسلطان الى أن عفى عنهم .

---

(١) الشرقاوي : الأهرام ص ١٣ ، ١٩٨٢/٩/٢٢م .

وقد أثبت ابن تيمية بعفوه ودفاعه عن خصومه عن ايمان قوى وأخلاق حميدة وترفع عن الثأر والحقد لم تتوفر فى خصومه.

وتوفى المنبجى رحمه الله بمصر عن بضع وثمانين سنة، سنة ٧١٩ هـ ودفن بزاويته بالحسينية.[1]

٢ - الصدر بن الوكيل:

هو العلامة أبو عبد الله محمد ابن زين الدين عمر بن مكى المعروف بابن المرحل شيخ الشافعية ، ولد سنة ٦٦٥هـ ، سمع الحديث على المشايخ ، أجاد معرفة المذهب الشافعى[2] الا أنه لم يكن قويا فى النحو فكان يقع منه اللحن ، تعلم الطب والفلسفة وعلم الكلام ، كان يرميه الناس بارتكاب العظائم ، واتهم بأنه يتعاطى الحشيشة وغيرها من المحرمات ، كان من ألد أعداء ابن تيمية يناظره فى المجالس الا أنه كان يعترف له بالتفوق والمقدرة الباهرة مع كراهيته لأصحاب الشيخ ، ولم يعامله ابن تيمية بالمثل بل كان يثنى عليه وعلى علومه وفضائله ويشهد له بالاسلام واذا سئل عنه وعن أفعاله القبيحة[3] كان يقول عنه الشيخ " كان مخلطا على

---

(١) ابن العماد : شذرات الذهب جـ ٦ ص ٥٢ .

(٢) ابن كثير : البداية والنهاية جـ ١٤ ص ٨٠ ، السبكى : طبقات الشافعية جـ ٦ ص ٢٣ .

(٣) حين رماه البعض بالقبائح والمنكرات ، حيث عمل له محضر وحكم بتعزيره أنظر : ابن كثير : البداية والنهاية جـ ١٤ ص ٥٨ .

نفسه متبعا مراد الشيطان منه يميل الى الشهوة "[١] ، توفى سنة ٧١٦ هـ بالقاهرة [٢] .

٣ - زين الدين ابن مخلوف:

زين الدين على بن مخلوف بن ناهض النويرى المالكى ، قاضى المالكية بمصر كانت ولايته القضاء ٣٣ سنة ، كان مشكور السيرة لا تأخذه فى الحق لومة لائم ، أخذ عليه معاداته الشديدة لابن تيمية بسبب فتواه الحموية ، ومسألة الاستغاثة بالنبى صلى الله عليه وسلم ، وشد الرحال الى قبره الشريف فلم يدخر وسعا فى عدائه له والنيل منه الا أن ابن تيمية لم يعامله بالمثل فيذكر لنا ابن مخلوف كريم خصال ابن تيمية فيقول : " ما رأينا مثل ابن تيمية حرضنا عليه فلم نقدر عليه ، وقدر علينا فصفح عنا وحاجج عنا " [٣] .
توفى رحمه الله وله من العمر ٨٧ سنة سنة ٧١٨ هـ [٤] .

محبى الشيخ ابن تيمية كثيرون ، فمهما كتبنا عنهم فلن نوفيهم ولن نحصيهم وسنذكر هنا بعض من وقف بجانبه ولم يرهب قوة ولا سلطانا :

---

(١) ابن كثير : البداية والنهاية جـ ١٤ ص ٨٠ .
(٢) ن ٠ م ٠ س: جـ ١٤ ص ٨٠ ، السبكى : طبقات الشافعية جـ ٦ ص ٢٥ .
(٣) ابن كثير : البداية والنهاية جـ ١٤ ص ٥٤ ، ٩٠ .
(٤) ابن العماد : شذرات الذهب جـ ٦ ص ٤٩ .

أنصار ابن تيمية من العلماء :

١ - ابن النجيح :

هو شرف الدين أبو عبد الله محمد بن سعد الله بن عبد القاهر بن عمر الحرانى المعروف بابن النجيح ، كان رحمه الله قد صحب الشيخ تقى الدين ابن تيمية فترة طويلة ، وكان معه فى مواطن عظيمة صعبة لا يستطيع الاقدام عليها الا الابطال فسجن معه عدة مرات وكان من أكبر خدامه وخواص أصحابه فناله الأذى لذلك عدة مرات فما زاده ذلك الا زيادة فى محبة الشيخ والصبر على الأذى واحتساب الأجر عند الله سبحانه وتعالى ، وكان رحمه الله حسن السيرة عند الناس عالما فقيها زاهدا ، توفى قرب المدينة المنورة فحمل اليها وغسل وصلى عليه بالروضة الشريفة ودفن بالبقيع سنة ٧٢٣ هـ.(١)

٢ - القاضى ابن النجيح :

زين الدين بن النجيح نائب قاضى الحنابلة بالجامع المظفرى بدمشق ، كان فيه علم ودين ونزاهة ، ولم تكن فيه محاباة فى القضاء ، مشهورا بالفضائل والعبادات ، يحب الشيخ ابن تيمية كثيرا ، ويحضر مجالسه ، توفى سنة ٧٤٩ هـ ودفن بسفح قاسيون.(٢)

---

(١) ابن كثير : البداية والنهاية جـ ١٤ ص ١١٠.

(٢) ن.م.س : جـ ١٤ ص ٢٢٧ ، قاسيون : جبل مشرف على مدينة دمشق فى سفحه مقبرة أهل الصلاح . أنظر: ياقوت : معجم البلدان جـ ٤ ص ٢٩٥.

٣ - قاضى القضاة الحريرى :

أبو عبد الله محمد بن صفى الدين الأنصارى الحنفى ولد سنة ٦٥٣ هـ . سمع الحديث ودرس الفقه فبرع فيه ، درس فى أماكن كثيرة فى دمشق ثم تولى قضاءها ، ثم طلب لقضاء مصر واستمر فى منصبه الأخير هذا فترة طويلة لنزاهته ، فلم يكن يقبل هدية من أحد ولا تأخذه فى الحق لومة لائم ، كان يحب الشيخ ابن تيمية كثيرا وله مكانة عظيمة فى قلبه ويقدره ويجله فكان يقول : " اذا لم يكن ابن تيمية شيخ الاسلام فمن يكون " ، وسأل أحد أصحابه أتحب الشيخ ابن تيمية فقال له : نعم، فقال له والله لقد أحببت شيئا مليحا ، وما ذلك الا لفرط محبته للشيخ . توفى رحمه الله سنة ٧٢٨ هـ ، ودفن بمصر (١) .

٤ - الشيخ عبد الله الجزيرى :

عبد الله بن موسى الجزيرى من كبار الصالحين العابدين القانتين كان رحمه الله وقورا مهيبا ، كثير المطالعة سريع الفهم ، كان لفرط محبته للشيخ ابن تيمية يلازمه كظله ، وينقل من كلامه أشياء كثيرة يفهمها فى حين يعجز غيره عن فهمها ، توفى سنة ٧٢٥ هـ (٢) .

---

(١) ابن كثير : البداية والنهاية جـ ١٤ ص ١٤٢ .
(٢) ن.م.س : جـ ١٤ ص ١١٩ .

٥ - الشيخ ابن دقيق العيد :

قاضي القضاة تقي الدين ابن دقيق العيد القشيري المصري الامام العالم - تفقه على والده على المذهب المالكي ، ثم أخذ الفقه الشافعي من الشيخ العز بن عبد السلام فجمع بين المذهبين وأفتى فيهما ، رحل في طلب الحديث ، وصنف فيه اسنادا ومتنا عدة مصنفات ، انتهت اليه رياسة العلم ، ورحل اليه طلاب العلم من كل مكان ، تولى قضاء مصر سنة ٦٩٥هـ .[1]

اجتمع بالشيخ ابن تيمية وتباحثا في عدة مسائل خرج منها ابن دقيق العيد معجبا بابن تيمية عارفا لقدرة وكثرة علمه وقال من اعجابه به " ما أظن بقي يخلق مثلك ".

وحين أراد الناس معرفة رأيه في ابن تيمية بعد مناظرتهما قال لهم : " رأيت رجلا سائر العلوم بين عينية يأخذ ما شاء ".[2]

توفي سنة ٧٠٢ هـ.[3]

---

(١) ابن كثير : البداية والنهاية جـ ١٤ ص ٢٧ ، السبكي : طبقات الشافعية جـ ٦ ص ٣ .

(٢) ابن العماد : شذرات الذهب جـ ٦ ص ٥ ، ٦ ، الألوسي : جلاء العينين ص ١١ .

(٣) السبكي : طبقات الشافعية جـ ٦ص ٤ ، ابن العماد : شذرات الذهب جـ ٦ ص ٦ .

علاقة ابن تيمية بالعامة :

مهما تحدثنا عن هذه النقطة فلن توفيها حقها اذ أن حب العامة لابن تيمية فاق الوصف ، فقد كان قريبا منهم يدافع عنهم ويبذل ما فى وسعه لابعاد الأذى عنهم فكان حبهم له كبيرا ، وكان لشخصية ابن تيمية أثر كبير فى حب العامة له فما كان ينزل مكانا الا ويلتف حوله الناس لجمال حديثه وطيب عشرته وغزارة علمه ودماثة خلقه .

ففى دمشق يخرج الناس جماعات لاستقبال الشيخ حتى تزدحم الطرقات بهم واذا خرج من البلد خرجوا أيضا لتوديعه ونفوسهم حزينة لفراقه .(١)

وحين وصل غزة وألقى فيها أحد دروسه فى الجامع التف الناس حوله وتجمعوا محبة فيه واعجابا به .(٢)

وحين قام حكام مصر بنفيه الى الاسكندرية رغبة فى اهلاكه وهو وحيد غريب حدث له العكس فالتف حوله الناس وأحبوه وأكثروا من زيارته .(٣)

وحين قام جماعة من الغوغاء بضرب الشيخ ابن تيمية حين رأوه وحيدا

---

(١) ابن كثير : البداية والنهاية جـ ١٤ ص ٢٧ .
(٢) ن.م.س: جـ ١٤ ص ٣٨ .
(٣) ابن عبد الهادى : العقود الدرية ص ٢٦٩ .

بجامع مصر ، هب لنجدته أهل الحسينية بعد أن سمعوا بالخبر وقالوا له لو أمرتنا بهدم مصر كلها لفعلنا فسألهم الشيخ لأى شيء فقالوا له لأجلك . فقال هذا ما يحق ، فقالوا نذهب لمن آذوك فنقتلهم ونخرب بيوتهم فنهاهم الشيخ عن ذلك ، وحين أكثروا من الكلام قال لهم الشيخ : " اما أن يكون الحق لى ، أو لكم ، أو لله ، فان كان لى فهم فى حل منه ، وان كان لكم فان لم تسمعوا منى ولا تستفتونى فافعلوا ما شئتم ، وان كان الحق لله ، فالله يأخذ حقه ان شاء كما يشاء ، فوافقوه على ما أراد وتبعه خلق كثير الى الجامع لحمايته حتى ازدحمت الطرقات .[1]

وأمثال ذلك كثير من محبة العامة للشيخ مما لا يمكننا أن نحصيه مهما حاولنا ، وذلك قليل فى حق ابن تيمية فقد كان هو أيضا كثير المحبة للناس يعود مريضهم ، وينفق على محتاجهم ، ويزيل الأذى عنهم فقد كان رحمه الله يخصص يوما فى الأسبوع لزيارة المرضى فى المارستان[2]، يدعو لهم ويرفع من معنوياتهم ، ويدفع لهم نفقات تعينهم كل بحسب حاجته .[3]

---

(١) ابن عبد الهادى : العقود الدرية ص ٢٨٦ - ٢٨٧ .

(٢) بيمارستان نور الدين محمود زنكى ، بناه بدمشق . أنظر : البزار : الأعلام العلية ص ٤٠ .

(٣) البزار : الأعلام العلية ص ٥٧ .

كما كان يعطى المحتاجين قبل أن يسألوه بما يتيسر له وان لم يكن معه شيء كان ينزع ثوبا من على جلده ويدفعه اليه ويقول له بعه بما تيسر وانفقه ، مع الاعتذار له لكونه لم يكن عنده نفقة ،[1] وأمثال ايثاره للناس بما عنده كثيرة مما لا يسعها المقام مما زاد تعلق العامة به ومحبتهم له .

.. ..

---

(١) البزار : الأعلام العلية ص ٥٧ ، البيطار : حياة شيخ الاسلام ابن تيمية ص ١٢ - ١٣ .

الفصل الثانى

الزحف المغولى على الدولة الاسلامية واحتكاكهم بدولة المماليك فى مصر والشام

- انهيار المقاومة الاسلامية أمام المغول
- قيام دولة المغول بالعراق
- علاقة المماليك بالمغول فى العراق

انهيار المقاومة الاسلامية امام المغول

(١) انهيار المقاومة الاسلامية أمام المغول

أصل التتر أو المغول :

يرجع التتر فى أصلهم الى بلاد الصين فى منطقة طفماج وهى تبعد عن بلاد التركستان بما يزيد على مسيرة ستة أشهر بالامكانيات فى زمنهم ، وهم لا يدينون بدين مع اعترافهم بالله تعالى بدون اعتقاد أو شريعة [١] ، وكانوا أقرب الى الوثنية ، انتشروا فى الصين وروسيا ، يقول عنهم ابن العماد : " انهم من الترك يسجدون للشمس عند طلوعها ، ولا يحرمون شيئا ولا يحصون كثرة " [٢]. استطاع أحد ملوكهم ويدعى جنكيز خان أن يوحد كلمتهم ويخضع جميع البلاد الى ما وراء النهر لسلطانه وذلك سنة ٥٩٩ هـ [٣].

أسباب الغزو المغولى لبلاد الاسلام :

كان من أسباب اجتياح السيل المغولى لبلاد الاسلام أن جنكيزخان احتاج الى كسوة وثياب من صنع بلاد المسلمين ، فأرسل مجموعة من

---

(١) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ جـ١٢ ص ٣٦١ ، المقريزى : السلوك جـ١ ق ١ ص ٢٤١ .
(٢) ابن العماد : شذرات الذهب جـ٥ ص ٦٥ .
(٣) الغياث : التاريخ الغياثى ص ٤١ ، ابن واصل : مفرج الكروب فى أخبار بنى أيوب جـ٤ ص ٣٦-٣٧ .

التجار الى بلاد خوارزم[1] لشراء ما يحتاجه من هناك ، وحين وصل التجار الى مدينة أتـــرار لفتوا اليهم الأنظار بثرائهم وما معهم من نفائـــس الجواهر فأرسل نائب المدينة الى سلطانه محمد خوارزم[2] يخبره بحالهـــم فأمره بقتلهم وارسال ما معهم اليه ، وحين وصلت النفائس الى خوارزم شاه باعها الى تجار بخارى وسمرقند.[3] فكان لهذا العمل أثر شديد في نفس جنكيزخان ازاء هذا الانتهاك الصارخ،لمكانته في دولته فأرسل رسالـــة الى السلطان خوارزم شاه يتهدده فيها ويتوعده لقتله التجار.[4]

ونحن لا نبرر فعلة خوارزم شاه هذه انما نرى أنه لعل الدافع الـــذى جعل خوارزم شاه يتصرف مع التجار بهذه الطريقة أن ذلك كان نابعـــا من الظروف التى كانت في ذلك العصر ، اذ أن طبيعة حياة المغـــول

---

(١) يطلق لفظ خوارزم على الناحية (الاقليم) بجملته ومدينته العظمـــى الجرجانية وهو يقع حول نهر سيحون وجيحون اللذان يصبان في بحـــر خوارزم - وأكثر ضيـاع خوارزم ومدنها ذات أسواق وخيرات ودكاكين.
- أنظر : ياقوت : معجم البلدان ج ٢ ص ٢٩٥ - ٢٩٧.

(٢) هو علاء الدين محمد بن علاء الدين تكش بن أرسلان حكم لمدة ٢١ سنة اتسع فيها ملكه من العراق الى تركستان وبعض الهند وغزنة كلهـــا وسجستان ...... كان عالما بالأصول والفقه و...... أنظر : ابن الوردى : تتمة المختصر ج ٢ ص ٢٠٩.

(٣) ابن كثير : البداية والنهاية ج ١٣ ص ٨٢ - ٨٣ ، ابن واصل : مفـــرج الكروب في أخبار بني أيوب ج ٤ ص ٣٨

(٤) ابن واصل : مفرج الكروب في أخبار بني أيوب ج ٤ ص ٤٠.

البدوية جملتهم مجموعة قبائل رحالة تعتمد فى رزقها على الترحال[1] مما جعلها تحتك ببلاد خوارزم شاه وتلتحم مع عساكره فى عدة مواقع عسكرية جعلت خوارزم شاه يعاملها معاملة قطاع الطرق فقطع الصلات الحسنة معهم ، كما منع نوابه فى الأقاليم من التعامل معهم أو امدادهم بما يطلبون أو يحتاجون اليه ، لذلك نرى نائبه فى أترار[2] حين وصله التجار يحتار فى طريقة تعامله معهم فيرسل للسلطان يستشيره فى أمرهم فكان ما ذكرناه .

ولعل الدافع الذى جعل خوارزم يتصرف معهم هذا التصرف هو العداوة التى كانت بين الفئتين حيث خشى خوارزم شاه أن يكونوا عيونا لأعدائه تزيونبرى تجارلا خفاء مآربهم وليسهل عليهم الحصول على ما يريدون من معلومات عن دولته والحصول على ما يحتاجون من كسوة وغذاء يتقووا بها ضده ، ومما يؤكد هذا الرأى ما أورده ابن الأثير حيث قال : " وصاروا يحاربون عساكر خوارزم شاه فلذلك منع الميره عنهم من الكسوات وغيرها "[3].

---

(١) فقد ذكر ابن واصل أنهم أهل خيام وعمد فهم قبائل بدوية تعيش على الأغنام والخيل كثيرى التنقل والترحال فى البرارى والقفار.
أنظر: ابن واصل : مفرج الكروب فى أخبار بنى أيوب جـ ٤ ص ٣٦.

(٢) أترار أو أطرار : اسم مدينة حصينة وولاية واسعة فى أول حدود الترك بما وراء النهر على نهر سيحون .
أنظر: ياقوت الحموى : معجم البلدان جـ ١ ص ٢١٨.

(٣) ابن الأثير: الكامل فى التاريخ جـ ١٢ ص ٣٦٢، والميره : الطعام يمتاره الانسان وقد (مار) أهله من باب باع .
أنظر: الرازى : مختار الصحاح ص ٦٤٠.

حين وصل تهديد جنكيزخان الى خوارزم شاه أمر بقتل الرســـــول وحلق لحى الجماعة التى صحبته وأعادهم اليه ليخبروه بما فعل بالرســـول وأنه سيعد له جيشا لا قبل له بمحاربته .[١]

جهز جنكيزخان جيشا كثيفا وسيره لمحاربة خوارزم شاه جزاء ما فعل بالتجار والرسول ، فالتقى الجيشان حيث استمات كل منهم فى القتـــال الى أن انتهى الأمر بتحاجز الفريقين وذهاب كل الى بلاده .[٢]

قام بعد ذلك خوارزم شاه بتحصين بخارى وسمرقند بالعسكر والعـدة والعتاد[٣] ، ثم سار الى خوارزم لتجميع الجيوش هناك استعدادا للموقعـــة الفاصلة[٤] ، الا أن تحصين المدينتين لم يجد نفعا ، فقد حاصرها جنكيزخان حصارا شديدا الى أن طلب أهلها منه الأمان فأعطاهم اياه[٥] ، وحين تمكن منهم أعمل فيهم السلب والنهب والقتل ، واستخدم فى ذلك جميع ضروب

---

(١) ابن واصل : مفرج الكروب جـ ٤ ص ٤٠ ، ابن الأثير : الكامل فى التاريخ جـ ١٢ ص ٣٦٣ - ٣٦٤ .

(٢) ابن الأثير : الكامل في التاريخ جـ ١٢ ص ٣٦٤ - ٣٦٥ ، ابن واصل : مفرج الكروب جـ ٤ ص ٤١ .

(٣) ابن واصل : مفرج الكروب جـ ٤ ص ٤١ ، ابن الأثير : الكامل فى التاريخ جـ ١٢ ص ٣٦٥ .

(٤) ابن واصل : مفرج الكروب جـ ٤ ص ٤١ ، ابن الأثير : الكامل فى التاريخ جـ ١٢ ص ٣٦٥ .

(٥) ابن واصل : مفرج الكروب جـ ٤ ص ٤٢ ، ابن الأثير : الكامل فى التاريخ جـ ١٢ ص ٣٦٥ .

الوحشية حيث أسروا النساء والصبيان وفعلوا بهم الفواحش أمام أهليهم.(١)

لم يقف المسلمون مكتوفى الأيدى أمام انتهاكات التتر الوحشية ، فقاتلوا بشجاعة دون نسائهم وأهليهم فقتل كثير منهم وأسر البعض فكثر الضجيج فى البلد وبكى النساء والصبيان والرجال لهول هذه الأيام.(٢)

كان جيش التتر يتصف بالهمجية والوحشية التى استخدموها فى مقاتلة أهل البلاد حيث كانوا يؤمنون أهل البلد ثم يغدرون بهم ويعملون فيهم السلب والنهب والقتل ويلقون النار فى الدور والمساجد والمدارس بل ويستخدمون أهل البلاد من الأسرى المخلصين فى مقاتلة اخوانهم فى الدين لارهابهم بكثرة عدد جيوشهم.(٣) وبطريقتهم هذه استطاعوا أن يستولوا على سمرقند ونيسابور ومازندران.(٤)

---

(١) ابن واصل : مفرج الكروب جـ ٤ ص ٤٣ ، ابن الأثير : الكامل فى التاريخ جـ ١٢ ص ٣٦٦.

(٢) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ جـ ١٢ ص ٣٦٦ - ٣٦٧ ، ابن واصل : مفرج الكروب جـ ٤ ص ٤٣ ، ابن كثير : البداية والنهاية جـ ١٣ ص ٨٣.

(٣) ابن واصل : مفرج الكروب جـ ٤ ص ٤٨ ، كما يذكر ذلك ابن الأثير فيقول أنهم استخدموا أسرى مدينة بخارى فى محاربة أهل سمرقند حيث جعلوا على رأس كل عشرة أسرى علم ليظن أهل سمرقند أنهم مقاتله أتوا مدد للتتر . الكامل فى التاريخ جـ ١٢ ص ٣٦٧.

(٤) سمرقند : بلد معروف مشهور ، وهو قصبة الصغد ، ياقوت : معجم البلدان جـ ٣ ص ٢٤٦ ، والصغد : كورة عجيبة قصبتها سمرقند وهى قرى متصلة بالأشجار والبساتين من سمرقند الى قرب بخارى . ياقوت (=)

قام جلال الدين بن خوارزم شاه بعد وفاة والده برفع لواء الجهاد ضد التتر من غزنة[١]، حيث جهز جيشا كثيفا التقى بالتتر فى بلق[٢]، وتقاتلوا قتالا شديدا لمدة ثلاثة أيام ثبت الله فيه المسلمين وأنزل عليهم نصره[٣].

بعد ذلك قام جنكيزخان بتجهيز جيش كبير وأرسله مع بعض أبنائه لمقاتلة جلال الدين فالتقى مع جيش المسلمين فى كابل[٤]، حيث استبسل المسلمون فى حربهم مع الكفار جهادا فى سبيل الله الى أن تحقق لهم النصر

(=) معجم البلدان جـ ٣ ص ٤٠٩.
نيسابور : مدينة عظيمة فى خراسان معدن الفضلاء ومنبع العلماء وهى دهليز المشرق . ياقوت : معجم البلدان جـ ٥ ص ٤١.
مازندران : اسم لولاية طبرستان . ياقوت : معجم البلدان جـ ٥ ص ٣٧٠ ، ابن الأثير : الكامل فى التاريخ جـ ١٢ ص ٣٧٠.

(١) غزنة : اسمها الصحيح عند العلماء غزنين ، وهى مدينة عظيمة وولاية واسعة وهى الحد بين خراسان والهند وهى قصبة زابلستان . ياقوت: معجم البلدان جـ ٤ ص ٢٠١ ، وزابلستان كوره واسعة جنوب بلخ وهى زابل والعجم يزيدون السين وما بعدها فى أسماء البلدان . ياقوت : معجم البلدان جـ ٣ ص ١٢٥.

(٢) بلق : ناحية بغزنة . ياقوت : معجم البلدان جـ ١ ص ٤٨٩.

(٣) ابن واصل : مفرج الكروب جـ ٤ ص ٦٢.

(٤) كابل : اسم يشمل الناحية ومدينتها العظمى أوهند وهى ولاية ذات مروج كبيرة بين الهند وغزنة (والآن عاصمة أفغانستان) . ياقوت : معجم البلدان جـ ٤ ص ٤٢٦.

فغنموا غنائم عظيمة ، وأنقذوا كثيرا من أسرى المسلمين من يد التتر.[(١)]

لم يذق المسلمون حلاوة انتصارهم طويلا فسرعان ما تفرقت كلمتهم ونشب بينهم الخلاف من أجل حطام الدنيا ، فقد اختلف صاحب هراه[(٢)] ، مع الأمير سيف الدين بغراق[(٣)] ، في الغنيمة وتقاتلوا من أجل ذلك مما أدى لمقتل أخ لبغراق ، فغضب وقرر الرحيل الى الهند وقال : أنا أهزم التتر ويقتل أخي لأجل هذا السحت[(٤)] ، فتبعه كثير من الجند ، ولم تجد محاولات جلال الدين في إثنائه عن عزمه.[(٥)]

---

(١) ابن الأثير : الكامل في التاريخ جـ ١٢ ص ٣٩٦ ، ابن واصل : مفرج الكروب جـ ٤ ص ٦٢.

(٢) هو ملك خان كان بينه وبين خوارزم شاه نسب .. ابن الأثير : الكامل في التاريخ جـ ١٢ ص ٣٩٦ ، وهراة مدينة عظيمة مشهورة من أمهات مدن خراسان . ياقوت : معجم البلدان جـ ٥ ص ٣٩٦.

(٣) هو أمير من الأتراك الخلج كان شجاعا مقداما ذا رأى ومكيدة في الحرب باشر الحرب مع التتر بنفسه ، وقال لعسكر جلال الدين تأخروا أنتم فقد ملئتم منهم رعبا ، وكان السبب بعد الله في كسرة التتر . ابن الأثير : الكامل في التاريخ : جـ ١٢ ص ٣٩٦ ، والخلج صنف من الأتراك ، وقعوا في قديم الزمان الى أرض كابل ، وهم أصحاب نعم على خلق الأتراك في لباسهم وزيهم . ياقوت : معجم البلدان جـ ٤ ص ٤٢٦.

(٤) السحت : كل حرام قبيح الذكر وقيل هو ما خبث من المكاسب وحرم . ابن منظور : لسان العرب جـ ٢ ص ٣٤٦ ، ويقصد بغراق أنه لأجل هذا الحطام يقتل أخوه .

(٥) ابن واصل : مفرج الكروب جـ ٤ ص ٦٢ - ٦٣.

ضعف موقف المسلمين برحيل بغراق وكثير من الجند الى الهند مما جعل جنكيزخان يسارع لاستغلال هذه الفرصة ، ليضرب المسلمين قبل أن يعاودوا التجمع مرة أخرى فضم اليه غزنة والرى ، ومراغة ، وهمذان ، وأذربيجان واللان[٢] .

حاول جلال الدين أن يوحد صفوف المسلمين بضم كثير من الولايات اليه كما راسل نائب خلاط[٣] يطلب منه المساعدة ضد التتر كما حاول تحذير الخليفة في بغداد من خطورة الموقف ويطلب منه المدد لوقف السيل المغولي[٤] .

---

(١) الرى : مدينة مشهورة من أعلام المدن،كثيرة الفواكه والخيرات بين نيسابور وقزوين . ياقوت : معجم البلدان جـ ٣ ص ١١٦ .

(٢) مراغة : بلدة عظيمة من أشهر بلاد أذربيجان ، ياقوت : معجم البلدان جـ ٥ص ٩٣ .

همذان : مدينة حصينة واسعة الأنهار ملتفة الأشجار وهى من أحسن البلاد وأنزهها . ياقوت : معجم البلدان جـ ٥ص ٤١٠ .

(٢) أذربيجان : مملكة عظيمة يغلب عليها الجبال فيها قلاع كثيرة وخيرات واسعة ، لا يحتاج السائر فيها الى حمل الماء معه اذ أن المياه جارية تحت أقدامه أينما توجه . ياقوت: معجم البلدان جـ ١ ص ١٢٨ . وقد استولى جنكيزخان عليها صلحا فأبقى ملكها أوزبك بن البهلوان على ملكه بعد أن قدم له فروض الطاعة والولاء ، وكان أوزبك هذا ملكا ضعيف الهمة في محاربة التتر ، ويقضى معظم وقته فى الشرب . ابن الأثير : الكامل فى التاريخ جـ ١٢ ص ٢٧٤ .

اللان : بلاد واسعة وأمة كثيرة،ليس فيها مدينة مشهورة فيها مسلمون والغالبية نصارى . ياقوت : معجم البلدان جـ ١ ص ٢٤٥ .

(٣) خلاط : بلدة عامرة مشهورة ذات خيرات واسعة وهى قصبة أرمينيه الوسطى بها بحيرة مشهورة . ياقوت : معجم البلدان جـ ٢ ص ٣٨٠ .

(٤) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ جـ ١٢ ص ٤٩٨ .

لم يمهل التتر جلال الدين لاستكمال خطته فقد سارعوا اليه والتقوا به في معركة فاصلة انتهت بهزيمته هزيمة منكرة ، تغرق فيها عسكره في كل ناحية ، بينما استطاع هو أن يفر من التتر بنفر قليل من عسكره.(١)

لم ينعم جلال الدين بنجاته طويلا اذ ما لبث أن وقع في أيدى قطاع الطرق من الأكراد فسلبوه ونهبوه ، وحين أراد زعيمهم القضاء عليه عرفه جلال الدين بشخصه ورغبه بالأموال والهدايا للابقاء على حياته فوافقه على ذلك ، الا أن أحد الأكراد كان له ثأر مع جلال الدين حيث قتل له أخاه من قبل فأسرع ورماه بحربة كانت في يده أجهزت عليه.(٢)

وبانتهاء حياة السلطان جلال الدين بن خوارزم شاه انهارت مقاومة المسلمين الفعلية كقوة رفعها هذا السلطان بعد وفاة والده في وجه التتر في بلاد المشرق الاسلامي ، حيث سقطت بعد ذلك المناطق الواحدة تلو الأخرى في أيدى المغول بدون مقاومة فسقطت في أيديهم قلعة

---

(١) ابن الأثير : الكامل في التاريخ جـ ١٢ ص ٤٩٨ .

(٢) النسوى : سيرة جلال الدين منكبرتي ص ٣٨١ - ٣٨٢ ، ابن كثير : البداية والنهاية جـ ١٣ ص ١٣٢ ، المقريزى : السلوك جـ ١ ق ١ ص ٢٨٠ .

ألموت[(١)] وخضعت معظم بلاد فارس للتتر وبذلك وصل الخطر المغولى الى عقر دار الخلافة العباسية فى العراق[(٢)] .

.. ..

---

(١) قلعة ألموت : مقر الاسماعيلية وهى قلعة حصينة جدا من نواحى قزوين قام الوزير نصر الدين الطوسى وزير ركن الدين خورشاه زعيم الاسماعيلية فى ذلك الوقت باقناعه بتسليمها لهولاكو ليأمن سلامته .. ففعل ذلك .

أنظر : المقريزى : السلوك جـ ١ ق ٢ ص ٤٢١ فى الحاشية .

(٢) نرجو الاطلاع على خريطة رقم ١ .

قيام دولة المغول بالعراق

أسباب الغزو المغولي للعراق :

اختلف المؤرخون في السبب الرئيسي الذي حدا بجنكيزخان لاكمال تسديد ضرباته المدمرة للعالم الاسلامي ليصل الى قلبه النابض ، ونعني به الوصول الى بغداد عاصمة الخلافة الاسلامية في ذلك الوقت ، وقد ساعده على اتمام هذا المشروع بعد المسلمين عن دينهم وانتشار اللهو والعبث والترف فيهم من أقصاهم الى أدناهم ، والخليفة المستعصم(١) وما دونه في غفلة عما يحاك خارج بغداد بل وفي داخلها ، فالمغول يتجولون في بلاد المشرق الاسلامي شرقا وغربا بدون رادع ، وفي الداخل كان الوزير ابن العلقمي(٢) يحيك المؤامرات ويدبر الوسائل للانتقام من الخليفة العباسي ومن حوله من أهل السنة لأقامة خلافة علوية ، وللأخذ بثأر الشيعة من السنيين نتيجة للمذابح التي كانت بينهما(٣) ، فقام بارسال الرسل الى التتر يرغبهم في دخول بغداد ، ويهون عليهم أمرها حتى تم

---

(١) هو أمير المؤمنين أبو أحمد عبد الله ابن المستنصر بالله أبي جعفر المنصور بن الظاهر بأمر الله ... ابن المعتصم بن هارون الرشيد بن المهدي بن أبو جعفر المنصور ، كان فيه لين ورقة وانقياد وضعف رأى أمام الوزراء ولم يكن رجل ذلك الوقت. أنظر: السبكي : طبقات الشافعية جـ ٥ ص ١١٠ .

(٢) مؤيد الدين محمد بن علي العلقمي كان أديبا شيعيا رافضيا في قلبه حقد وكراهية للاسلام وأهله . السبكي : طبقات الشافعية جـ ٥ ص ١١٠ .

(٣) وذلك حين اعتدى الشيعة على السنيين في بغداد فقام أهل السنة بالتالي بمذابح عظيمة ضدهم مما أغضب ابن العلقمي الا أنه لم يستطع حيالها أن يفعل شيئا فأضمر في نفسه شرا . السبكي : طبقات الشافعية جـ ٥ ص ١١٠ ، ابن كثير: البداية والنهاية جـ ١٣ ص ١٩٦ .

له ما أراد[1].

بينما نجد أن ابن الطقطقى يدافع عن ابن العلقمى وينفى عنه تهمة التواطوء مع التتر وخيانته للاسلام والمسلمين[2]، الا أن أكثر المراجع تذكر خيانته ، ونحن نرجح ذلك لكراهته لأهل السنة ورغبته فى اقامة خلافة علوية .

الا أنه بالاضافة الى ترغيب ابن العلقمى للتتر بدخول بغداد ، كان هناك الرغبة فى التوسع لدى هولاكو بن جنكيزخان وعدم اقتناعه بما كان تحت يده وذلك لحياة البداوة التى كان يعيشها التتر وكثرة التنقل والترحال اذ أنهم بعد أن يفتحوا المدن ويدمروها ينتقلوا الى غيرها فلم يكونوا طلاب حضارة انما طلاب مال وغنائم ، الا أنه بدون دعوة ابن العلقمى ما كانوا احتلوها بهذه السهولة كما سنرى ، وقد ساعدهم فى ذلك أن الخلافة العباسية قد غرقت فى الترف والنعيم والتطاحن فى سبيل الوصول الى المناصب والملذات الدنيوية فتكاسلوا وضمرت نفوسهم وهممهم عن التناصح ورفع لواء الجهاد فى سبيل الله لنصرة دينه[3]. وحين أحست الخلافة العباسية بالخطر الذى دنا منها ندموا على ما فرطوا ، ولما وصل المتتوج

---

(١) السيوطى : تاريخ الخلفاء ص ٤٦٦ ، ابن العماد : شذرات الذهب ج ٥ ص ٢٥٥ ، المقريزى : السلوك ج ١ ق ٢ ص ٤٠٠ ، السبكى : طبقات الشافعية ج ٥ ص ١١٠ ، شوقى أبو خليل : عوامل النصر والهزيمة ص ٩٤ .

(٢) ابن الطقطقى: الفخرى فى الآداب السلطانية ص ٢٧١ .

(٣) ابن خلدون : العبر ج ٥ ص ٣٧١ ، شوقى أبوخليل : عوامل النصروالهزيمة ص ٩٣ - ٩٤ .

الكاسح الى أطراف العراق حيث الموصل لم يجد صاحبها[1] بدا من مدافعة التتر بالمداهنة وبذل الأموال والعطايا لهم وارسال الرسائل فى الخفاء الى الخليفة العباسى لطلب النجدة حيث لم تكن لديه القدرة الكافية لصدهم وحده ، لأن الأمراض والبلايا قد أصابت العالم الاسلامى كله فضلا عن دار الخلافة ، وحين وصلت رسائل صاحب الموصل للخليفة[2] فاق من سباته ليجد نفسه والمسلمين فى خطر محدق وقد ذهبت منه فرصة عظيمة لأنه لو تدارك هذا الخطر منذ بداية أمره لما وصل اليه فى عقر داره ، اما الآن والدولة فى انهيارها دينيا ببعدها عن شرع الله ، ومعنويا بتخاذل الناس عن لقاء العدو ، فكان من الصعب الوقوف فى وجه هذا الخطر.

وقد لعب ابن العلقمى دوره فى تضليل وغش الخليفة بما فيه مصلحة التتر[3] ، حيث كان يهون على الخليفة أمرهم حين رآه يعمل على توحيد الجهود[4] ، ويشير عليه بمصانعتهم لحفظ دماء المسلمين ومحاولة تقليل

---

(١) الملك الرحيم بدر الدين لؤلؤ الأرمنى الأتابكى كان صارما شجاعا مدبرا ، توفى سنة ٦٥٧ هـ وقد نيف على الثمانين .
أنظر: ابن العماد : شذرات الذهب جـ ٥ ص ٢٨٩ .

(٢) السبكى : طبقات الشافعية جـ ٥ ص ١١٤ .

(٣) شوقى أبو خليل : عوامل النصر والهزيمة ص ٩٤ .

(٤) حيث أرسل الخليفة رسولا الى الملك الناصر الأيوبى صاحب دمشق يطلب منه مصالحة الملك المعز أيبك التركمانى صاحب مصر وأن يجتمعا معا على محاربة التتر. السبكى : طبقات الشافعية جـ ٥ ص ١١٣ .

عدد الجيش العباسى اقتصادا فى النفقات لارسال المال المقتصد كهدايا لمداهنة هولاكو ليكف يده عن البلاد فوافقه الخليفة على ما أراد.[١]

لم تكن الأموال العظيمة التى بذلها الخليفة لهولاكو لتشبع شهيته ولترده عن رغبته فى فتح بغداد بل على العكس زادت منها،ولم ترو ظمأه للدماء فقد استولى على ماجاءه وتقدم بعساكره متقويا بها بعد أن أرهق الخليفة نفسه فى سبيل ارسالها اليه ، فسار هولاكو الى بغداد لمحاصرتها ، فلم يستطع عسكر بغداد الاستمرار فى تجاهل المغول وقد قدموا اليهم فى عقر دارهم فخرج ركن الدين الدويدار فى مجموعة من العسكر لملاقاة المغول فالتحموا معهم على بعد مرحلتين من بغداد انكسر فيها المسلمون[٢] ولحقهم التتر بالسيوف فقتل البعض وهرب آخرون وغرق الكثيرون فى الماء.[٣]

اتجه التتر الى محاصرة بغداد واخضاعها لسلطان هولاكو فنزلوا على نهر دجلة فى مواجهة دار الخلافة وضرب هولاكو سورا على عسكر بغداد وأحاط بها حتى لا تستطيع فكاكا منه ،منتظرا أى فرصة للانقضاض والتهام فريسته بأسرع وقت.[٤]

---

(١) السيوطى : تاريخ الخلفاء ص ٤٦٦ ، المقريزى : السلوك جـ ١ق ٢ص ٤١٢ ابن كثير : البداية والنهاية جـ ١٣ ص ٢٠١ ، شوقى أبو خليل : عوامل النصر والهزيمة ص ٩٤ .

(٢) شوقى أبو خليل : عوامل النصر والهزيمة ص ٩٤ .

(٣) السبكى : طبقات الشافعية جـ ٥ ص ١١٤ .

(٤) السبكى : طبقات الشافعية جـ ٥ص١١٤ ، ١١٥ ، شوقى أبوخليل : عوامل النصر والهزيمة ص ٩٤ .

بعد انهزام جيش بغداد قطع الخليفة الأمل فى أى مقاومة عسكرية لدفع المغول عن بغداد لذلك حين أشار عليه ابن العلقمى بالذهاب لمصانعة التتر واقرار الصلح بينهم سارع بالموافقة [١]، فسارع الوزير وخرج الى هولاكو وأخذ منه المواثيق والعهود بعدم الاضرار به وجعله نائبا له على بغداد مقابل تسليمه اياها بدون جهد ولا تعب بل وأكثر من ذلك تعهد له الوزير بأن يسلمه الخليفة فى يده مع كبار رجال دولته، فوافقه هولاكو على ما أراد فرجع الى خليفته وأخبره زورا وبهتانا بأن هولاكو أراد حقن الدماء وابقاء الخلافة على ماهى عليه شريطة أن يصاهره الخليفة فيتزوج ولده وولى عهده من ابنة هولاكو، تحير الخليفة قليلا الا أن الوزير حبب اليه هذا العمل لما فيه حقن دماء المسلمين وصلاحهم فهى الطريقة المأمونة لكى يكف عنهم خطر التتر فوافقه الخليفة على ما أراد [٢] وكان كما قال السيوطى [٣] "كان خليا من الرأى والتدبير، فأشار عليه الوزير بأن مصانعة للتتر واكرامهم يحصل به المقصود ففعل ذلك".

استمر الوزير فى اكمال خطته فأشار على الخليفة بالخروج بنفسه الى أهل العروس ونعنى به هولاكو مع كبار رجال دولته من قضاة وفقهاء وعلماء وحاشية لكى يزف ابنه اليها وعمل مراسيم عقد النكاح. وحين وصلت

---

(١) السبكى : طبقات الشافعية جـ ٥ ص ١١٤.

(٢) السبكى : طبقات الشافعية جـ ٥ ص ١١٥، شوقى أبو خليل : عوامل النصر والهزيمة ص ٩٤.

(٣) السيوطى : تاريخ الخلفاء ص ٤٦٦.

قافلة الزواج الى المعسكر المغولي كانوا يدخلونهم طوائف كلما دخلت طائفة ضربوا أعناقها ولم يبقوا على أحد منهم[١] الى أن أتى دور الخليفة فأمر هولاكو بقتله ، فقيل له أن هذا أن أريق دمه كان سبب خراب ديارك لأنه خليفة الله فى أرضه وابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم فتحير هولاكو من هذا الأمر فأنقذه من ذلك الموقف المحير نصر الدين الطوسي[٢] حيث أشار عليه بطريقة لقتل الخليفة بأن يوضع فى طست ثم يقتل وبذلك يضمن عدم اراقة دمه[٣] .

حين انتهى هولاكو من القضاء على الخليفة وكبار رجال دولته التفت الى بغداد وأهلها غافلون عما تم للخليفة وبطانته ، فأخذهم هولاكو على حين غرة ، ويصف لنا ابن كثير حالهم فيقول " ومازال السيف يقتل أهلها أربعين يوما . فبقيت بغداد خاوية على عروشها ليس بها أحد الا الشاذ من الناس،

---

(١) السبكي : طبقات الشافعية جـ ٥ ص ١١٤ ، ابن كثير : البداية والنهاية جـ ١٣ ص ٢٠١ ، شوقي أبو خليل : عوامل النصر والهزيمة ص ٩٤ .

(٢) نصير الدين الطوسي ولد سنة ٥٩٧ هـ كان بارعا فى شتى العلوم خاصة فى علم الفلك أقام مدة عند الاسماعيليين فى قلعة ألموت حيث أغرى صاحبها ركن الدين خورشاه بتسليمها الى هولاكو ثم دخل هو بعد ذلك فى خدمة هولاكو فكان مسموع الكلمة لديه فبنى له فى مراغه دار للرصد . للاستزادة من ترجمته أنظر : المقريزي : السلوك جـ ١ق ٢ وأيضا : ابن كثير : البداية والنهاية جـ ١٣ ص ٢٠١ .

(٣) وقيل أن الخليفة غم فى بساط وقيل رفسوه حتى مات لكي لا يراق دمه . أنظر : السبكي : طبقات الشافعية جـ ٥ ص ١١٥ ، ابن كثير : البداية والنهاية جـ ١٣ ص ٢٠١ ، شوقي أبو خليل : عوامل النصر والهزيمة ص ٩٥ .

والقتلى فى الطرقات كأنها التلول ، وقد سقط عليهم المطر فتغيرت صورهم وانتنت من جيفهم البلد وتغير الهواء فحصل بسببه الوباء الشديد حتى تعدى وسرى فى الهواء الى بلاد الشام فمات خلق كثير من تغير الجو وفساد الريح فاجتمع على الناس الغلاء والوباء والفناء[(١)]. وبذلك سقطت بغداد سنة ٦٥٦ هـ فى أيدى التتر بدون مقاومة تذكر، بعد أن قتل من أهلها أكثر من مليون نسمة[(٢)].

قام هولاكو بعد ذلك بالاستيلاء على الكنوز والأموال العظيمة كما انتهك حرمة بيوت الله ومنع من بقى فيها من المسلمين من اعلان الاذان[(٣)]. ويقول السبكى معلقا على ما حدث لبغداد: " هذه بغداد التى لم تكن دار كفر قط وجرى عليها هذا الذى لم يقع قط منذ قامت الدنيا مثله "[(٤)].

---

(١) ابن كثير: البداية والنهاية جـ ١٣ ص ٢٠٣ .
(٢) شوقى أبو خليل : عوامل النصر والهزيمة ص ٩٥ .
(٣) السبكى : طبقات الشافعية جـ ٥ ص ١١٤ - ١١٥ ، ابن العماد : شذرات الذهب جـ ٥ ص ٢٧٠ - ٢٧١ ، ابن كثير: البداية والنهاية جـ ١٣ ص ٢٠٢ .
(٤) السبكى : طبقات الشافعية جـ٥ص ١١٦ .

ملوك العراق من بني جنكيزخان :

ذكرنا فيما سبق سقوط بغداد بيد هولاكو بن جنكيزخان[(١)] سنة ٦٥٦ هـ وباستيلائه على هذه المدينة خضع له كثير من المناطق المجاورة لها اما صلحا واما عن طريق المقاومة البسيطة التى لا تذكر فخضعت له بذلك بلاد العراق وفارس[(٢)] وأصبح هو الحاكم الفعلي فى البلاد بدلا من خلفاء بني العباس فكان أول ملوك التتر فى العراق حيث حكمها حوالى عشر سنوات كان يرسل منها الجيوش لمحاربة بلاد الشام فى محاولة لاخضاعها تحت سيطرته فأخضع بعض المناطق لسلطانه الى أن تمت هزيمة جيشه فى موقعة عين جالوت بقيادة الملك المظفر قطز سلطان المماليك فأصيب هولاكو بالصرع الى أن مات فى سنة ٦٦٣ هـ فانتقل الأمر الى ابنه أبغا الذى استمر على خطة أبيه فأكمل ارسال الجيوش لمحاربة المسلمين الذين أنزلوا به الهزيمة فى موقعة حمص ثم توفى سنة ٦٨١ هـ[(٣)] بعد أن دام فى الحكم حوالى ١٨ ثمانية عشر سنة ، فانتقل الملك بعده الى أخيه تكدار بن هولاكو فأسلم وحسن اسلامه وتلقب بأحمد سلطان وكانت بينه وبين سلطان

---

(١) هولاكو هو مقدم التتار وقائدهم ، أباد البلاد والعباد ، خرج مع جيش المغل فأخذ المماليك وطوى حصون الاسماعيلية وأذربيجان من الروم والعراق ، فكان ذا سطوة ومهابة وعقل وحزم ودهاء وخبرة بالحروب وشجاعة وكرم ، مع فرط ومحبة لعلوم الأوائل من غير أن يفهمها مات على كفره بعد أن خلف سبعة عشر ولدا .
أنظر : ابن العماد : شذرات الذهب جـ ٥ ص ٣١٦ ، ٣١٧ .

(٢) نرجو الاطلاع على ملحق الخرائط ، خريطة رقم ٢ .

(٣) الغياث : التاريخ الغياثي ص ٤٢ - ٤٣ .

مصر علاقات حسنة وتبادل هدايا الا أنه لم يدم فى الحكم طويلا[(١)] اذ أنه أجبر العسكر المغولى على الاسلام فلم يرضوا بذلك فثاروا عليه وقتلوه ، ثم قاموا بتولية ابن أخيه بدلا منه فقفز على الحكم أرغون بن ابغا بن هولاكو وذلك سنة ٦٨٣ هـ[(٢)] فاستمر فى الحكم لمدة سبع سنين الى أن توفى سنة ٦٩٠ هـ[(٣)] ، فانتقل الملك بعده الى أخيه كيختو فخرج عن الياسه[(٤)] وأفسد السيرة فأصاب المغول منه البلايا فوثب عليه أبناء عمه وقتلوه وتولى بدله بيدو بن طوغاى بن هولاكو ، وذلك سنة ٦٩٤هـ ، الا أنه لم يستمر طويلا فى الملك فقد دارت الحرب بينه وبين غازان بن أرغون ابن أبغا بن هولاكو فانتصر عليه غازان وقتل بيدو فدانت البلاد لغازان فوطد أمره بها وكان سياسيا محنكا[(٥)] ، فبعد أن استتب الأمر له فى العراق أخذ يجهز الجيوش لمحاربة المماليك فى مصر وأعلن اسلامه فتبعه بقية الجيش وكان الغرض من اسلامه أن يضمن النصر على حكومة المماليك فجرت بينهما معارك حربية انتصر فى بعضها وهزم فى الآخر مثل موقعة وادى الخازندار التى انتصر فيها وموقعة تل شقحب التى هزم فيها فلم تقم بعدها له قائمة فتوفى سنة ٧٠٣ هـ .

---

(١) ابن كثير : البداية والنهاية جـ ١٣ ص ٢٩٩ ، القلقشندى : صبح الأعشى جـ ٤ ص ٤٢٠ .

(٢) ابن كثير : البداية والنهاية جـ ١٣ ص ٣٠٤ .

(٣) القلقشندى : صبح الأعشى جـ ٤ ص ٤٢٠ .

(٤) الياسة : أصل كلمة سياسة وهى مجموعة قوانين وضعها جنكيزخان لتسيير شئون المغول . أنظر : المقريزى : الخطط جـ ٢ ص ٢٢٠ .

(٥) القلقشندى : صبح الأعشى ، جـ ٤ ص ٤٢٠ .

تولى الملك بعده أخوه خدابندا أو خربندا ابن أرغون فلم يستمر طويلا فتولى الملك بعد موته ابنه أبو سعيد وهو آخر ملوك المغول الأقوياء وكانت بينه وبين الناصر قلاوون مراسلات وتبادل هدايا[١] بالود بعد الوحشة التي كانت بينهما ، سنتناولها في الفصل القادم.

بعد وفاة أبي سعيد هذا تفرقت المملكة بيد عدة أشخاص وصارت مملكة طوائف فتفرقت كلمة التتر بعد اجتماعهم ، فبعد أن كانت بيد سلطان واحد أمره مطاع ، أصبحت في أيدي متفرقة كل طائفة تقيم لها حاكما وتدعي أنه من سلالة القان ، وهكذا الى أن انتهت دولتهم بقدرة الله[٣].

... ..

---

(١) ابن كثير : البداية والنهاية جـ ١٤ ص ٣٤٠.
(٢) ن.م.س : جـ ١٤ ص ٩٨ ، ٩٩.
(٣) القلقشندي : صبح الأعشى جـ ٤ ص ٤٢١.

علاقة المماليك في مصر
بالمغول في العراق

علاقة المماليك فى مصر بالمغول فى العراق

ذكرنا فيما سبق دخول العراق تحت سيطرة ونفوذ هولاكو ، وسنتناول هنا علاقة التتر فى العراق بالمماليك فى مصر وهى علاقة جوار حيث أن منطقة الشام كانت منطقة جذب وطرد بينهما لأنه كانت حالة عداء مستحكم بينهما أدى الى نشوب الحرب عدة مرات بينهما الى أن أراد الله أن يهدى هؤلاء القوم حيث هذبهم بالاسلام بعد همجيتهم فانقادوا مستسلمين اليه وهم الذين دكو الحصون والقلاع ليقضى الله أمرا كان مفعولا ، وسنتناول هنا ابتداء العلاقة بين أول ملوك المغول وهو هولاكو بن جنكيزخان بدولة المماليك فى مصر فبعد سقوط بغداد بأيدى التتر قام هولاكو باخضاع المناطق المجاورة فكانت خطته ارسال بعض الجيوش الصغيرة لاخضاع بعض القلاع والحصون[1] أوبارسال رسائل تهديد للملوك الكبار فى محاولة منه لادخالهم تحت سيطرته بدون حرب ، واراقة دماء وإن لم يذعنوا له فليس لهم الا السيف[2]. ومما ساعد هولاكو على تجرئه هذا ، أن بلاد الشام فى تلك الفترة كانت خاضعة لنفوذ سلاطين مصر المماليك وان كان فيها عدة ملوك أيوبيين يتولون حكم المناطق ويكيد بعضهم لبعض كما سنرى ، بل وأدهى من ذلك أن معظم المسلمين

---

(١) وذلك حين أرسل ابنه على رأس جيش الى حلب حيث استولوا عليها . أنظر : ابن الوردى : تتمة المختصر جـ ٢ ص ٢٩١ ، ابن كثير : البداية والنهاية جـ ١٣ ص ٢١٨ .

(٢) حيث أرسل ثلاث رسائل للملك الناصر صاحب دمشق سنذكر رسالة واحدة فى الملاحق ان شاء الله تحت رقم (١) كما أرسل رسالة للسلطان الملك قطز .

كانوا في لهو وعبث كل أمير يريد الظفر بأكبر قدر من الممالك ولو استعان في سبيل ذلك بأعداء الاسلام لكي يكيد لأخيه ففترت الهمم وسلط الله عليهم شر خلقه ، والمماليك في مصر لم تكن حالهم أحسن من حكام الشام فكل أمير يريد أن يستأثر بالسلطة ، خاصة وأن سلطان مصر كان صبيا صغيرا هو علي ابن المعز[١]، وقد خرج أمر مصر من يد الأيوبيين بموت الملك الصالح أيوب بينما نجد أن بلاد الشام مازالت بأيديهم وكل ملك يكيد للآخر فالملك الناصر[٢] في دمشق وحلب ضد الملك المغيث[٣] في الكرك وهم جميعا ضد سلطان مصر بل تعدى الأمر أكثر من ذلك حيث أرسل الملك الناصر صاحب دمشق ابنه الملك العزيز الى هولاكو بالهدايا والأموال ويطلب منه نجدة تعينه على أخذ مصر من المماليك ، فيجيبه هولاكو الى طلبه بأنه سيرسل اليه عشرين ألف فارس وحين وصل هذا الخبر الى دمشق

---

(١) هو الملك المنصور نور الدين علي بن المعز أيبك كان عمره خمسة عشر سنة حين تولى السلطنة سنة ٦٥٥ هـ بعد مقتل والده الملك المعز أيبك التركماني . أنظر : ابن الوردي : تتمة المختصر جـ ٢ ص ٢٨٠ .

(٢) هو الملك الناصر صلاح الدين يوسف ابن العزيز محمد ابن الظاهر غازي بن الناصر صلاح الدين الأيوبي كان ملكا على دمشق وحلب وأعمالهما جرت له عدة أحداث الى أن وصل به آخر الأمر أن قبض عليه هولاكو وأمر بقتله بعد انهزامه في عين جالوت سنة ٦٥٨هـ .

أما ابنه العزيز هذا فقد كان مع والده في أسر التتر وظل عندهم الى أن مات . أنظر : ابن كثير : البداية والنهاية جـ١٣ ص ٢٤٠ ابن الوردي : تتمة المختصر جـ ٢ ص ٣٠٤ .

(٣) الملك المغيث عمر ابن العادل أبي بكر بن الكامل كان ملكا على الكرك كاتب هولاكو وحثه على القدوم للشام مرة أخرى بعد موقعة عين جالوت فأجابوه بأنهم قادمون في عشرين ألف لفتح مصر، وحين وقع الخبر (=)

كان بها بعض المماليك البحرية فسارعوا بالخروج من دمشق خوفا من الملك الناصر واتجهوا الى المغيث بالكرك وحرضوه على أخذ مصر لنفسه بدلا من الناصر.(١)

لقى هذا الأمر هوى فى نفس المغيث فجهز جيشا لمحاربة الملك قطز صاحب مصر ، فسار اليه قطز وهزمه هزيمة منكرة فر على أثرها المغيث الى الكرك.(٢)

وقد كان لاضطراب الملوك والأمراء فى بلاد الشام أثر كبير فى استغلال هولاكو لهذه الفرصة لضرب العالم الاسلامى قبل أن يفيق من سباته العميق ، فأرسل رسالة الى الملك قطز سلطان مصر مع رسله يتهدده فيها ويتوعده هذا نصها :

" من ملك الملوك شرقا وغربا القان الأعظم : باسمك اللهم باسط الأرض ورافع السماء يعلم الملك المظفر قطز الذى هو من جنس المماليك

(=) للسلطان الظاهر اعتقله سنة ٦٦١ هـ ثم أعدمه بعد أن أخرج فتاوى الفقهاء بقتله . أنظر: ابن كثير: البداية والنهاية جـ ١٣ ص ٢٣٨ ، ابن الوردى : تتمة المختصر جـ ٢ ص ٢١٠ .

(١) المقريزى : السلوك جـ ١ ق ٢ ص ٤١٠ - ٤١١ .

(٢) ابن الوردى : تتمة المختصر جـ ٢ ص ٢٨٥ ، ٢٨٦ والكرك قلعة حصينة جدا فى طرف الشام من نواحى البلقاء فى جبالها بين ايله وبحر القلزم وبيت المقدس ، وهى على سن جبل عال تحيط بها الأودية . أنظر: ياقوت الحموى : معجم البلدان جـ ٤ ص ٤٥٣ .

الذين هربوا من سيوفنا[١] الى هذا الاقليم يتمتعون بأنعامه ويقتلون من كان سلطانه بعد ذلك .

يعلم الملك المظفر وسائر أمراء دولته وأهل مملكته بالديار المصرية وما حولها من الأعمال ، أننا جند الله فى أرضه خلقنا من سخطه وسلطنا على من حل عليه غضبه فسلموا الينا أموركم تسلموا ، قبل أن ينكشف الغطاء فتندموا وقد عرفتم أننا ضربنا البلاد ، وقتلنا العباد ، فلكم منا الهرب ، ولنا خلفكم الطلب ، فما لكم من سيوفنا خلاص ، خيولنا سوابق وسيوفنا قواطع وقلوبنا كالجبال وعددنا كالرمال ومن طلب حربنا ندم ، ومن قصد أماننا سلم ، فان أنتم لشرطنا وأوامرنا أطعتم فلكم مالنا وعليكم ما علينا ، فقد أعذر من أنذر وقد ثبت عندكم أننا كفرة وثبت عندنا أنكم الفجرة ، فأسرعوا الينا بالجواب قبل أن تضرم الحرب نارها وترميكم بشرارها فلا يبقى لكم جاه ولا عز ، ولا يعصمكم منا جبل ولا حرز ، فما بقى لنا مقصد سواكم والسلام علينا وعليكم ، وعلى من اتبع الهدى وخشى عواقب الردى وأطاع الملك الأعلى" .[٢]

---

(١) اشارة الى أن المظفر قطز هو ابن الأمير ممدود ابن عم جلال الدين بن خوارزم شاه وهو فى نفس الوقت ابن أخت جلال الدين ، هرب أثناء غزو التتر لبلاد خوارزم ثم أسر الى أن وصل مصر . كما سبق أن ذكرنا ذلك فى فصل سابق .

(٢) القلقشندى : صبح الأعشى جـ ٨ ص ٦٣ ، ٦٤ ، المقريزى : السلوك جـ ١ ق ٣ ص ٤٢٧ ، ٤٢٨ .

حين وصلت هذه الرسالة الى السلطان قطز غضب للاسلام والمسلمين فان هولاكو لم يتجرأ بارسال هذه الرسالة لولا المهانة التى وصل اليها المسلمون لبعدهم عن شريعة الله فجمع الأمراء وشاورهم فى هذا الأمر الخطير فأجمعوا على قتل الرسل ما عدا صبى صغير كان معهم ضمه قطز الى مماليكه ثم المسير الى الصالحية[1] بعد تجهيز الجيوش لملاقاة التتار.

كان امام قطز كثير من المهام فأسرع فى بداية الأمر بتوحيد كلمة المسلمين وأعلن رفع راية الجهاد فى سبيل الله فراسل الملك الناصر فى أمر الصلح بينهما وتسوية الخلافات من أجل توحيد الصفوف أمام الخطر المغولى مذكرا اياه بفضل الجهاد والأجر والمثوبة الكبيرة التى يجنونها منه فاطمأن الملك الناصر لهذا التصرف وتقرر جمع الشمل لمواجهة هذا الخطر.[2] سار هولاكو بنفسه من بغداد الى حران للوصول الى الشام ومنها الى مصر بعد أن بلغه ما فعله قطز برسله فحاصر حران بالمجانيق حتى سقطت فى يديه ثم انتقل منها الى حلب وهنا سارع الملك الناصر يستنجد بالملك

---

(١) قرية قرب الرها من أرض الجزيرة ، ياقوت: معجم البلدان جـ ٣ ص ٣٨٩ والرها مدينة بالجزيرة بين الموصل والشام ، ياقوت : معجم البلدان جـ ٣ ص ١٠٦ ، والصالحية أيضا قرية كبيرة ذات أسواق وجامع فى جبل قاسيون من غوطة دمشق فيها يسكن جماعة من الصالحين وفيها قبورهم ، ياقوت : معجم البلدان جـ ٣ ص ٣٩٠ ، وهذه الأخيرة هى التى سار اليها المظفر قطز ، والله أعلم.

(٢) المقريزى : السلوك جـ ١ ق ٢ ص ٤١٧.

قطز ويعلن له عن عزمه على لقاء التتار .[١]

كان قطز حين وصله استنجاد الملك الناصر به قد بدأ بتجميع الجيوش من أجل الجهاد فى سبيل الله . وحين تكامل جنده سار بهم حتى وصل الى الصالحية وكان معه مجموعة من الأمراء كرهوا الخروج للقاء التتار والمسير معهم فجمعهم قطز وقال لهم : " يا أمراء المسلمين لكم زمان تأكلون أموال بيت المال وأنتم للغزاة كارهون وأنا متوجه فمن اختار الجهاد يصحبنى ومن لم يختر ذلك يرجع الى بيته فان الله مطلع عليه ، وخطيئة حريم المسلمين فى رقاب المتأخرين " . ثم قال لهم : " وأنا سألقى التتر بنفسى " فسار معه بعض الأمراء الموافقين له فلم يسع المعارضين الا الموافقة .[٢]

ونلاحظ من هذا الموقف مدى بعد بعض أمراء المماليك عن مفهوم الجهاد فى سبيل الله فقد كانت تجرى عليهم الأموال من بيت المال للدفاع عن الاسلام والمسلمين لرفع راية الجهاد وحين دنا الأمر الفعلى رغب أكثرهم فى التقاعس والتخاذل عن نصرة الاسلام ، فكان ذلك الموقف يتطلب رجالا أمثال قطز والظاهر بيبرس لرفع راية الجهاد خفاقة بعد أن دنس المغول بأقدامهم بغداد وغيرها من بلاد المسلمين .

---

(١) المقريزى : السلوك جـ ١ ق ٢ ص ٤١٩ ، ٤٢٠ ، ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة جـ ٧ ص ٧٣ .

(٢) المقريزى : السلوك جـ ١ ق ٢ ص ٤٢٩ ، ٤٣٠ .

أرسل قطز الأمير بيبرس البندقدارى في مجموعة من العسكر للتعرف على أخبار التتر فنزل غزة وملكها بعد هرب التتر منها.[(١)]

وصل السلطان المظفر قطز الى غزة ثم سار الى عكا فخرج اليه الفرنج ورحبوا به وعرضوا عليه المساعدة والمسير معه الى التتر الا أنه رفض ذلك وطلب منهم أن يكونوا لا له ولا عليه وأقسم لهم بالله أنه متى تبعه أحد منهم لينال من عسكر المسلمين فسيعود أدراجه اليهم ويحاربهم قبل أن يلقى عدوه.[(٢)]

وقام بعد ذلك الملك المظفر قطز بجمع الأمراء والعسكر وخطب فيهم خطبة بليغة مؤثرة ذرفت منها العيون ، حضهم فيها على رفع راية الجهاد في سبيل الله مذكرا اياهم بما أعده الله لهم من جنات عدن ، ومحذرا لهم عقوبة الله عز وجل ان خافوا وجبنوا عن لقاء العدو ومذكرا اياهم بما وقع للمسلمين من قبل على يد التتر من قتل وسبى وحرق وان ذلك سيصيبهم ان لم يخلصوا النية لله سبحانه وتعالى في دفع التتر عن البلاد واستنقاذ بلاد الشام منهم ، فوافقه الجميع وتحالفوا على الاجتهاد في محاربة التتر وبذل دمائهم وأموالهم رخيصة في سبيل الله .

---

(١) كان التتر حين علموا بقدوم جيش مصر قد تركوا غزة لعدم رغبتهم في الاشتباك معهم ، محمد عبد الله عنان : مواقف حاسمة ص ١٦٥ .

(٢) المقريزى : السلوك جـ ١ ق ٢ ص ٤٢٩ ، ٤٣٠ .

حين قوى المظفر قطز الوازع الدينى لدى العسكر الاسلامى ورفع معنوياتهم وأشعل حماسهم الدينى حين بلغت فى نفوسهم أقصى درجات التضحية ببذل النفس والمال حينما أرسل الأمير ركن الدين بيبرس البندقدارى على رأس مجموعة من العسكر لمناوشة التتر ثم لحقه هو ببقية العسكر الى عين جالوت[١]

عين جالوت[٢] :

قام كتبغا نائب هولاكو فى الشام حين بلغه نبأ مسير العسكر الاسلامى بتجميع التتر فى بلاد الشام وكونوا جيشا لمحاربة المسلمين[٣]، وساروا به الى عين جالوت فالتقت طليعة التتر بطليعة المسلمين فلم تستطع الثبات أمامها فانكسرت ، وفى يوم الجمعة الخامس والعشرين من رمضان التقى الجيشان وجها لوجه حيث اضطرب جناح عسكر السلطان فتخاذل طرف منه وكان السلطان قطز قائدا محنكا ومتيقظا فحين لاحظ ما حدث لجناحه رمى خوذته عن رأسه الى الأرض وصرخ بأعلى صوته واسلاماه لاستثارة الحماس الدينى واشعاله فى نفوس العسكر وحمل بنفسه على جموع التتر حملة صادقة تبعه فيها بقية الأمراء والجند فحملوا على التتر حملة واحدة

---

(١) المقريزى : السلوك جـ ١ ق ٢ ص ٤٣١ ، ٤٣٢ ، عين جالوت : بليدة لطيفة من أعمال فلسطين بين بيسان ونابلس . أنظر : ياقوت : معجم البلدان جـ ٤ ص ١٧٧ .

(٢) نرجو الاطلاع على ملحق الخرائط خريطة رقم ٣ .

(٣) ابن كثير : البداية والنهاية جـ ٣ ص ٢٢٠ .

أيدهم الله سبحانه وتعالى فيها بنصره(١) فالله سبحانه وتعالى يقول فى كتابه العزيز " ان تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم "(٢) ، وقتل كتبغا قائد التتر وأسر ابنه فحدث الاضطراب فى صفوفهم فانهزموا لا يلوون على شيء(٣). فتبعهم الجيش الاسلامى(٤) الى قرب بيسان(٥) فتجمعوا مرة أخرى وسووا صفوفهم والتحم الجيشان مرة أخرى فحدثت بلبلة فى صفوف عسكرالمسلمين عرف قطز دواءها فصرخ مرة أخرى واسلاماه ثلاث مرات وقال يالله أنصر عبدك قطز على التتار .

فأيد الله المسلمين بنصره وهزم التتر هزيمة منكرة وقتل كثير منهم(٦) وقضى على الاسطورة التى تقول : " ان قيل أن التتر هزموا فلا تصدق "، فقد حدثت حقيقة وأيد الله جنده،،هناتتجلى لنا فى هذه المعركة صورة رائعة للعبودية الكاملة لله سبحانه وتعالى ، فبعد أن أيد بنصره عبده قطز والمسلمين ينزل السلطان عن فرسه ولا يغتر بالنصر ومكانته كسلطان للمسلمين فيمرغ وجهه لله بالتراب ويصلى ركعتين شكرا لله تعالى على ما أنعم به

---

(١) ابن خلدون : العبر جـ ٥ ص ٣٧٩. (٢) سورة محمد ، آية ٤٧ .

(٣) محمد عبد الله عنان : مواقف حاسمه ص ١٦٥ ، ١٦٧ ، د . أحمد شلبى : الموسوعة جـ ٥ ص ٢٠٢.

(٤) أبو الفدا : المختصر فى أخبار البشر جـ ٣ ص ٢٠٥ ، ابن الوردى : تتمة المختصر جـ ٢ ص ٢٩٧ ، ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة جـ ٧ ص ٧٩.

(٥) مدينة بالأردن بالغورالشامى بن حوران وفلسطين : ياقوت : معجم البلدان جـ ١ ص ٥٢٧.

(٦) ابن كثير : البداية والنهاية جـ ١٣ ص ٢٢١.

عليهم من نصر على أعداءهم[١] اذ أن الله سبحانه وتعالى لم ينساهم حين أخلصوا النية له خاصة وانهم جاهدوا فى سبيله وهم جياع فلم ترهبهم قوة التتر ، ولما كانت بطونهم خالية من الطعام كان زادهم التقوى ومرضاة الله وحسبهم بهذا زادا يعينهم على المسير فى درب الحياة خاصة وأنهم يعلمون بأن الله على نصرهم لقدير ، وهنا تقتبس ما قاله د . ابراهيم حيث قال: " وقد عود الله عباده من أمة محمد أن يهبهم النصر على عدوهم اذا تحداهم فى رمضان وتصدى لهم وهم جياع ، ولعل السر فى ذلك أن للصائمين نفوسا طائعة وقلوبا ضارعة وأرواحا شفافة . . تعلم أن الله يدافع عن الذين آمنوا ".[٢]

ويصف لنا السيوطى حالة التتر بعد الهزيمة فيقول : " فهزم التتار شر هزيمة وانتصر المسلمون ولله الحمد ، وقتل من التتار مقتله عظيمة ، وولوا الأدبار ، وطمع الناس فيهم يتخطفونهم وينهبونهم[٣] "، وغنم المسلمون الغنائم الكثيرة والأسرى مما لا يعد ولا يحصى .

كتب السلطان الى د . خطابا يعلمهم بأمر الانتصار فى عين جالوت ففرح المسلمون بذلك فرحا شديدا وأسرعوا الى دور النصارى تخربها وهدما ، وقتلوا الكثير منهم ، بعد ذلك قاموا بتطهير المدينة من الخونة المسلمين الذين

---

(١) المقريزى : السلوك جـ ٢ ق ٢ ص ٤٣٣ ، ٤٣٤ .

(٢) د . ابراهيم شعوط ، مقاله فى مجلة الوعى الاسلامى العدد ٣٣ السنة الثالثة ص ٢٠ .

(٣) السيوطى : تاريخ الخلفاء ص ٤٢٥ .

انضموا الى التتر وأعانوهم على اخوانهم المسلمين ، فقتلوهم وأنقذوا البلاد من شرهم .(١)

حين بلغ هولاكو خبر الهزيمة التي مني بها جيشه غضب وانزعج حيث لم يكسر له عسكر من قبل فتم أمر الله الذى لا مرد له فرحل عائدا أدراجه من بلاد الشام ثم الى خراسان . . فخضعت بلاد الشام كلها من الفرات الى مصر لحكم الملك المظفر ، الا أنه لم تطل فترة حكم المظفر فقتل على يد الأمير بيبرس البندقدارى(٢) الذى أصبح سلطانا على المماليك حيث استمرت سلسلة الصراع بين الدولتين كانت فى معظمها لصالح المسلمين .

الملك الظاهر ركن الدين بيبرس البندقدارى :

عاود التتر جمع فلولهم المتبقية وحشدوها لمحاربة المسلمين لاعادة ماء وجههم بعد عين جالوت ، فالتقوا مع المسلمين بظاهر حمص ولم تنفعهم حشودهم فقد أنزل الله تعالى سكينته على المسلمين وأيدهم بنصره رغم قلتهم ، فقد كان عدة التتر ستة آلاف وعدة المسلمين ألف وأربعمائة ،

---

(١) المقريزى : السلوك جـ ١ ق ٢ ص ٤٣٤ ، ونعنى بالمسلمين الذين انضموا الى التتر وأعانوهم على المسلمين مثل حسين الكردى طبردار الملك الناصر صاحب دمشق وحلب ، حيث سلم الناصر صاحب دمشق الى التتر وغيره من الخائنين . أنظر : ابن الوردى : تتمة المختصر جـ ٢ ص ٢٩٨ ، ابن كثير : البداية والنهاية جـ ١٣ ص ٢٢١ .

(٢) كان الخلاف على أشده بين المماليك البحرية ومنهم بيبرس ومن انضم (=)

حيث ولى التتر منهزمين وتبعهم المسلمون قتلا وأسرا .[1]

كان لحالة العداء المستحكم بين دولة المماليك فى مصر ودولة المغول فى العراق أن نشأت علاقات ودية بين السلطان الظاهر بيبرس وبركة خان[2] سلطان مغول القبيلة الذهبية[3] الذى أعلن اسلامه فتبادلوا

(=) اليه والملك المظفر قطز الا أنهم نسوا خلافاتهم هذه أمام الخطر المغولى ، وبعد عين جالوت قرروا تصفية الحساب بينهما فاتفق بيبرس مع مجموعة من المماليك على قتل المظفر قطز قبل أن يغدر بهم ، وحين خرج للصيد وبعد عن المعسكر اقتربوا منه وبحيلة استطاع بيبرس أن يضربه بالسيف ثم رمى به عن فرسه ، وحين وصل الخبر بمقتل قطز لنائب السلطنة فارس الدين أقطاى سألهم من قتله قيل له بيبرس فقال له ياخوند أجلس فى مرتبة السلطنة .
أنظر : ابن الوردى : تتمة المختصر جـ ٢ ص ٣٠٠ - ٣٠١ ، ابن كثير : البداية والنهاية جـ ٣ ص ٢٢٢ - ٢٢٣ .

(١) ابن الوردى : تتمة المختصر جـ ٥ ص ٣٠٢ ، ابن كثير : البداية والنهاية جـ ١٣ ص ٢٣٠ ، أبو الفدا : المختصر فى أخبار البشر جـ ٣ ص ٢٠٩

(٢) ابن الوردى : تتمة المختصر جـ ٢ ص ٣٠٢ ، ابن كثير : البداية والنهاية جـ ١٣ ص ٢٣٠ ، أبو الفدا : المختصر فى أخبار البشر جـ ٣ ص ٢٠٩ ، ابن العماد : شذرات الذهب جـ ٥ ص ٣٠٥ .

(٣) تكونت القبيلة الذهبية سنة ١٢٣٥م حيث خرج باتو بن جوجى بن جنكيزخان لاخضاع أوربا الشرقية ففتح عاصمة البلغار ثم الروسيا وبولندا والمجر ودلماسيا . واستقر فى منطقة الفولغا فقامت مملكة جديدة للمغول فى هذه المنطقة منفصلة عن الامبراطورية الأم التى أنشأها جنكيزخان .
أنظر : بروكلمان : تاريخ الشعوب الاسلامية ص ٣٨٨ - ٣٨٩ .

الرسائل الودية والهدايا ، كما قام السلطان بيبرس بتكريم بعض رعايا بركه خان حين التجأوا اليه فرارا من هولاكو لحالة العداء التى كانت مستحكمة بين ملكهم وهولاكو[(١)] كما قام بارسال وفود التهنئة الى بركه خان بعد انتصاره على هولاكو[(٢)] مما يبين لنا مدى فرحه بانهزام هولاكو لأن فى هذا اضعافا له وكسرا لشوكته .

بعد وفاة هولاكو قام أبغا بارسال الرسل الى السلطان الظاهر برسالة خطية وأخرى شفهية وجاء فى الأخيرة : " أنت مملوك بعت

---

(١) المقريزى : السلوك جـ ١ ق ٢ ص ٤٩٧ ، توماس أرنولد : الدعوة الى الاسلام ص ٢٥٨ ، ٢٥٩ .
وقد كان سبب العداوة بين بركه خان وهولاكو أن العادة المتبعة عند المغول أن يقوم هولاكو بتقسيم الغنائم بعد كل معركة ينتصر فيها الى ثلاثة أقسام قسم له وآخر لبركه خان وآخر لدولة المغول فى وسط آسيا ، الا أن هولاكو خالف هذا النظام المتبع فمنع بركه خان حقه فنشب العداء بينهما لذلك .
بينما يرى البعض أن سبب الخلاف أمر غير ذلك وهو أن بركه خان كان مخالفا لهولاكو فى توسعة فى بلاد المسلمين واسقاطه للخلافة العباسية ، فمن هنا نشب العداء بينهما وهذا الرأى هو ما نرجحه خاصة وأن بركه خان قد اعتنق الاسلام عن تبصر فليس غريبا أن يخالف هولاكو فى توسعه على حساب بلاد الاسلام .

(٢) حيث جرت بينهما معركة هائلة قتل فيها كثير من أتباع هولاكو .
أنظر :
ابن العماد : شذرات الذهب جـ ٥ ص ٣٠٥ .

بسيواس فكيف يصلح لك أن تخالف ملوك الأرض ، واعلم أنك لو صعدت الى السماء ، أو هبطت الى الأرض ما تخلصت منى ، فاعمل لنفسك على مصالحة السلطان ابغا ، فلم يلق السلطان الظاهر بالا الى هذا الازدراء والتهديد من ابغا فقال لرسله أعلموه أنى من ورائه بالمطالبة ولا أزال على ذلك حتى أنتزع منه جميع البلاد التى استحوذ عليها من بلاد الخليفة وسائر أقطار الأرض.(١)

فى سنة ٦٧٩ هـ جهز المغول جيوشهم للمسير الى بلاد الشام ومعاودة الهجوم على المسلمين ، افترقوا ثلاث فرق من أجل الاطباق على المسلمين ، فسارت فرقه من جهة بلاد الروم وفرقة سارت من جهة الشرق وفرقة كبيرة جدا بها شرار المغول بقيادة منكو تمر بن هولاكو أخ أبغا والمدبر لمسير الجيش .

وصلت هذه الأنباء للمسلمين فخرج عسكر دمشق بقيادة الأمير ركن الدين اياجى(٢) ولحق به عسكر مصر بقيادة الأمير بدر الدين بكتاش النجمى(٣)

---

(١) ابن كثير: البداية والنهاية جـ ١٣ ص ٢٥٤ .

(٢) الأمير ركن الدين اياجى بن عبد الله الحاجب من مماليك الأمير عزالدين أيبك بن عبد الله الحلبى الكبير ، توفى ٦٨٦ هـ . أنظر:
ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة جـ ٧ ص ٥٦ .

(٣) الأمير ركن الدين بكتاش بن عبد الله الفخرى النجمى أمير سلاح ، توفى سنة ٧٠٦ هـ . أنظر:
ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة جـ ٧ ص ٢٩٨ ، جـ ٨ ص ٢٢٤ .

واجتمعوا مع بقية العساكر الشامية فى حماه .

قام المغول بالهجوم على أعمال حلب فاستولوا على : عين تـــاب [١] ، وبغراص [٢] ، ووصلوا حلب وهى خالية من العسكر حيث اجتمع الجيـــش الاسلامى فى حماه كما أسلفنا ، فاعمل فيها المغول القتل والسلب وأحرقـوا المدارس ودار السلطنة ودور الأمراء وتطاولوا على بيوت الله فأحرقوهـــا وأقاموا فى المدينة يومين أكثروا فيها الفساد ولم يسلم أحد من شرهم الا من اختفى عن أعينهم فى المغائر ، ثم رحل المغول الى بلادهم بما أخـــذوا قانعين بهذا الانتصار [٣] .

السلطان المنصور قلاوون :

فى سنة ٦٨٠ هـ عاود المغول هجومهم على بلاد الشام ، فقـام أبغـا بجمع الجيوش وسار بها نحو الشام قاصدا حمص فبادر السلطـــان المنصور بتجهيز العساكر الاسلامية وسار يريد بها حمص ليقطع دابر المغول

---

(١) عين تاب : قلعة حصينة بين حلب وأنطاكية .
أنظر : ياقوت : معجم البلدان جـ ٤ ص ١٧٦ .

(٢) بغراص : وتكتب بغراس وهى مدينة بينها وبين أنطاكية أربعـــة فراسخ على يمين القاصد الى أنطاكية من حلب.
أنظر : ياقوت: معجم البلدان جـ ١ ص ٤٦٧ .

(٣) المقريزى : السلوك جـ ١ ق ٣ ص ٦٨١ ، ٦٨٢ ابن تغرى بـــردى : النجوم الزاهرة جـ ٧ ص ٣٠٣ - ٣٠٥ ، ابن كثير : البداية والنهايـــة جـ ١٣ ص ٢٩٤ .

ويردهم على أدبارهم (١). في هذه الأثناء وصلت الأنباء الى الجيش الاسلامى بانقسام المغول الى فرقتين فسارت فرقة مع ملكهم أبغا بن هولاكو الى الرحبة (٢) ومعه صاحب ماردين (٣)، وفرقة أخرى أرسلها الى حمص بقيادة أخيه منكوتمر.

استغل المسلمون هذه الفرصة فبادر السلطان المنصور بالمسير بعساكره الى حمص فالتقى الفريقان بظاهر حمص فاستطاعت ميمنة وقلب الجيش الاسلامى أن تنزل الهزيمة بالتتر وطاردوهم يقتلونهم فانهزم منكوتمر والقلب، أما ميسرة المسلمين فقد لحقت بها الهزيمة وهربت عساكرها الى دمشق، فسار التتر فى أثرهم الى أن وصلوا حمص، فقتلوا كثيرا من العامة والغلمان والعسكر فاجتمع الناس رجالا ونساءا وأطفالا فى جامع دمشق وتضرعوا الى الله سبحانه وتعالى لفك وازاحة هذه الغمة عنهم وضجوا بالبكاء وحطوا المصاحف على الرؤوس وخرجوا الى المصلى خارج البلد سائلين الله النصر على الأعداء (٤).

---

(١) ابن كثير: البداية والنهاية جـ١٣ ص ٢٩٥.

(٢) الرحبة : قرية بحذاء القادسية على مرحلة من الكوفة على يسار الحجاج اذا أرادوا الكوفة . ياقوت : معجم البلدان جـ ٣ ص ٣٣.

(٣) ماردين : قلعة مشهورة على جبل الجزيرة أمامها ربض عظيم به أسواق كثيرة وخانات ومدارس وربط ، ياقوت : معجم البلدان جـ ٥ ص ٣٩.

(٤) المقريزى : السلوك جـ ١ ق ٣ ص ٦٩١ ، ابن كثير : البداية والنهاية جـ ١٣ ص ٢٩٥.

كان السلطان المنصور ثابتا فى المعركة رغم قلة من حوله حيث لم يكن معه سوى ألف فارس مما دفع بقية الأمراء الذين أرادوا الهرب من المعركة أن يعودوا مرة أخرى ويحملوا على التتر حملة رجل واحد حتى كسروهم باذن الله [(١)]، ثم وصل الى ميمنة التتر انهزام جيشهم بعد انتصارهم فبادروا بالهرب فتبعهم عسكر المسلمين قتلا وأسرا ، وكانت عدة التتر ثمانين ألف فارس ، خمسين من المغل والبقية جموع من أجناس مختلفة من أصحاب البلاد التى استولى عليها المغول مثل الكرج والأرمن والعجم وغيرهم الا أن كثرتهم لم تغن عنهم شيئا فشتت الله شملهم وأنزل سكينته على المؤمنين [(٢)].

لم ييأس التتر من انهزامهم وقرر ملكهم أبغا أن يعاود الكرة ويجهز جيشا ضخما أكثر من السابق لكى يثأر لكرامته ويعيد اعتباره بعد هزيمة حمص الا أن المنية قد سبقته فتوفى قبل أن يسير الجيش الى بلاد الشام.

كان موت أبغا وتولية أخيه تكدار بداية مرحلة جديدة فى تاريخ العلاقة بين المماليك والمغول فى العراق ، فباعتلاء تكدار العرش بدأ

---

(١) أبو الفدا : المختصر فى أخبار البشر جـ ٤ ص ١٤ ، ابن كثير: البداية والنهاية جـ ١٣ ص ٢٩٥.

(٢) أبو الفدا : المختصر فى أخبار البشر جـ ٤ ص ١٤ ، ١٥ ، المقريزى : السلوك جـ ١ ق ٣ ص ٣٩١ ، ٣٩٢ ، ابن الوردى : تتمة المختصر جـ ١ ص ٣٢٦ ، ٣٢٧ ، ابن كثير: البداية والنهاية جـ ١٣ ص ٢٩٥.

علاقته الودية مع المنصور قلاوون فيأمر بوقف مسير الجيش المغولي الى الشام ويأمر بارسال الرسل الى المنصور قلاوون من أجل اقرار الصلح بينهما [(١)]، فما الذى استجد ؟ بحيث انقلبت الموازين البشرية فيرسل المغول بأنفسهم يطلبون المصالحة ووقف حالة الحرب مع المصريين فيأتينا الجواب .

دخول الايلخان تكدار أحمد دين الاسلام :

لنا أن نتعجب كيف أن هذا الشعب المتبربر والذى أذاق المسلمين صنوف العذاب والقهر ولم يسمح لهم بآداء مشاعرهم الدينية يدخل فى دين هذا الشعب المقهور ، فيكون جوابنا أن الاسلام دين الفطرة ودين الحائرين المتعطشين لله ، فرغم الانتصارات وسفك الدماء وخراب المدن والديار الا أن التتر كان ينقصهم ملء فراغ أرواحهم وقلوبهم فوجدوا ضالتهم فى الاسلام [(٢)].

كان تكدار أول من أسلم من ايلخانات المغول فى العراق ، ويذكر لنا أرنولد أنه شب على المسيحية حيث تعمد فى صباه وتسمى باسم نيقولا وحين بلغ سن الرشد اتصل ببعض المسلمين فشرح الله صدره للاسلام فاعتنقه وتسمى باسم أحمد [(٣)].

---

(١) ابن كثير : البداية والنهاية ج ١٣ ص ٢٩٩ .

(٢) باقتباس من كتاب الدعوة الى الاسلام لتوماس أرنولد ص ٢٥٥، ٢٥٨ .

(٣) توماس أرنولد : الدعوة الى الاسلام ص ٢٦٠ ، ٢٦١ .

وحين تولى العرش كان مسلما يخاف الله ويخشاه ويعمل على مرضاته ويحاول بكل جهده أن يهدى قومه الى طريق الحق والصواب بعد أن أحس بحلاوة الايمان الا أنه فشل في مجهوده هذا فلم يوافقه المغول على طريقه هذا حيث كانوا شديدى التمسك بشريعة سلاطين المغول فنقموا عليه ذلك وثاروا ضده والتفوا حول ابن أخيه ويدعى أرغون الذى استغل الفرصة فقتل عمه وارتقى العرش بدلا منه سنة ٦٨٣هـ / ١٢٨٤ م (١) فشن حربا شعواء على الاسلام والمسلمين متبعا لمختلف الطرق والوسائل للتنكيل بهم لكى يكسب المغول الى صفه فبعد اقرار الصلح بين الدولتين لم يدم الحال الا حوالى سنتين مدة حكم السلطان أحمد تكدار لتعود العلاقات المتوترة من جديد وتشتد الحرب بينهما لاختلاف خط سير سلطان المغول، الى أن ارتقى العرش السلطان غازان وكان سياسيا محنكا وقائدا مجربا أخذ يراجع حساباته ويقلب الأمور فى أسباب الهزائم المتكررة التى لحقت بالتتر فمنذ موقعة عين جالوت الى موقعة حمص والتتر فى هزائم متكررة ، فرأى أنه يحكم شعبا مسلما يدين بالاسلام ، وينظر الى حكامه المغول الوثنيين نظرة ريب وتشكك فلا يتعاونون معهم فى حروبهم ضد اخوانهم المسلمين، لذلك رأى أن أفضل طريقة يستطيع بها أن يكسب شعبه الى صفه والوقوف الى جانبه فى حروبه ضد المماليك هى أن يدخل فى دين شعبه ويعلن اسلامه فى سنة ٦٩٤ هـ (٢) ، ولكى يزيد من التفاف شعبه حوله أظهر الفرح

---

(١) ابن كثير : البداية والنهاية جـ ١٣ ص ٣٠٤ .

(٢) ن.م.س: جـ ١٣ ص ٣٤٠ .

والسرور بذلك فنثر الذهب والفضة عليهم وشهد الجمعة وصام رمضان، للامعان فى تضليل المسلمين تسمى باسم رسول الله صلى الله عليه وسلم فأطلق على نفسه اسم محمود غازان ، وقام بالانتصاف للمسلمين من المسيحيين بعد مانالهم الأذى والاضطهاد فى عهد سلفه (١) فنجحت خططه كما سنرى فيما بعد فى موقعة وادى الخازندار ان شاء الله اذ لم يقتصر الأمر على كسبه لشعبه فقط بل تعداه الى جيش الشام ومصر الذى ألقى السلاح حين علم أثناء المعركة باسلام غازان لحرمة دم المسلمين ، ولعلم المسلمين بحديث الرسول صلى الله عليه وسلم : " اذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول فى النار ".

لم يستطع غازان أن يستمر فى خداع المسلمين باسلامه المزيف فلم يلبث أن كشف عن خبيثة نفسه وسطحية اسلامه من خلال الأعمال التى قام بها جيشه فى مسلمى الشام والتى لا يمكن أن تصدر عن مسلم مؤمن بالله مصدق بالاسلام حيث قتلوا وسرقوا ونهبوا وانتهكوا حرمة بيوت الله ، فيقول المقريزى : " واتخذوا الجامع حانة يزنون ويلوطون ويشربون الخمر فيه ..." (٢).

---

(١) مما يؤكد لنا عدم اعتناق غازان للاسلام عن اقتناع وعقيدة أنه حين أراد التزوج باحدى زوجات أبيه وشريعتهم لا تحرم ذلك أعلمه أحد العلماء بتحريم ذلك فى الاسلام ففكر أن يرتد عنه لكى ينال بغيته . أنظر: ابراهيم شعوط : مقالة فى الوعى الاسلامى ص ٢٢ .

(٢) المقريزى : السلوك جـ١ ق ٣ ص ٨٩٣.

هنا تنبه المسلمون الى عدم صحة اسلام التتر وكان على رأسهم ابن تيمية فأخذ يحرض الناس ويعلن أن التتر ليسوا مسلمين انما هم كجنس الخوارج يجب محاربتهم مستشهدا بأفعالهم القبيحة[(١)] هذه فأحدث بذلك صحوة لدى المسلمين ليراجعوا مشاعرهم ومواقفهم من هؤلاء الغزاة.

أراد غازان التمويه على المسلمين وتبرير فعلته تلك حين رأى تنبه المسلمين لمكيدته فأرسل رسالة الى السلطان الناصر قلاوون يدعى فيها الاسلام ويبرر فعلته تلك بأنها محاولة رد اعتبار بعد غزو عسكر ماردين له[(٢)]، وانه كان ينتظر اعتذار السلطان له فلم يفعل فأرسل اليه يتهدده ويتوعده مستشهدا بآيات قرآنية تجعل من يقرأ الرسالة يصدق كاتبها ان لم يقرأ أفعاله بالشام الا أن السلطان والمسلمين لم تنطل عليهم هذه الحيلة الجديدة ، فان عبث التتر فى البلاد وفسادهم لا يمكن أن تغطيه رسالة فردوا له الجواب وكالوا له الصاع صاعين بعد أن تأكدوا من عدم صحة اسلام التتر فتدربوا على القتال وأعلنوا رفع راية الجهاد فى سبيل الله ضد الكفرة والملحدين المتلبسين بلباس الدين .

---

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية جـ ٢٨ ص ٥٢٠ - ٥٢١ ، جمع عبد الرحمن بن محمد بن قاسم .

(٢) سيأتى شرح لهذه النقطة فى بداية موقعة وادى الخازندار وسنورد نص الرسالة فى الملاحق ان شاء الله تحت رقم ٤ .

وفى سنة ٧٠٢ هـ اشتبك الفريقان فى الموقعة الفاصلة فى تل شقحب السـتى لم يقم بعدها للتتر قائمة .(١)

بعد موت غازان ارتقى عرش التتر خدابندا بن أرغون حيث أظهر الرفض فى بلاده وقدم الروافض على المسلمين السنيين وساءت العلاقات بينه وبين المماليك فى مصر الى أن انتهى أمره بموته مسموما ، فارتقى العرش بعده ابنه أبو سعيد فمال الى العدل واقامة السنة حيث كان من الجيل الذى تربى على الاسلام فدخل فيه حقيقة لا رياء وسمعة فأقام الخطبة فى بلاده بالترضى عن الشيخين أبى بكر وعمر رضى الله عنهما ثم عثمان وعلى رضى الله عنهما ففرح الناس بذلك وأخمد الفتن والثورات والحروب وأرسل للسلطان الناصر سنة ٧٢٠ هـ يبعث اليه لطلب الصلح بين الدولتين وتسوية الخلافات فثبت للناصر صدق اسلامه ونيته فى الصلح خاصة وقد علم أنه أزال المنكرات التى كانت متفشية فى الدولة منذ عهد أسلافه كالخمارات والحانات ومواضع الزنا وتشدد فى عقوبة من ثبت عنده ارتكابها(٢) فأجابه الى ما أراد وأرسل له رسالة لكى يسود الحب والوئام بينهما بدلا من الحروب واراقة الدماء فتبادلوا الهدايا والتحف عدة مرات وبدأت صفحة جديدة فى تاريخ العلاقة بين الدولتين .

---

(١) سيكون هناك فصل فى هذه الموقعة ان شاء الله .

(٢) ابن كثير : البداية والنهاية جـ ١٤ ص ٩٧ ، ٩٨ ، ٩٩ .

وبعد وفاة أبى سعيد سنة ٧٣٦ هـ [1] تولى سلطنة المغول أحد خلفائه وهو موسى خان حيث واصل طريقه سلفه فى كسب ود وصداقة المماليك خاصة وأنه كان مسلما شديد التمسك بدينه ويعمل على نصرته فخرج على رأس جيش لمحاربة أحد الخارجين عليه وعلى الاسلام فنصره الله سبحانه وتعالى فأرسل الى السلطان الناصر يخبره بانتصاره على عدوه وقد كان للعلاقات الودية بين البلدين واتحادهم بالاسلام أن تجهز السلطان الناصر محمد بن قلاوون لنصرة السلطان موسى خان الى أن وردته أخبار هذه الانتصارات فعاد أدراجه وأكرم رسل سلطان المغول وأحسن اليهم وأرسل الى موسى خان رسالة تنطق بالود والصفاء والمحبة لتظهر لنا فى النهاية الفرق بين أول رسالة وصلت المماليك من جنكيز خان وآخر رسالة على حسب المعلومات التى وصلتنا من السلطان الناصر محمد بن قلاوون الى السلطان موسى خان .

.. ..

---

(١) ابن كثير : البداية والنهاية جـ ١٤ ص ١٧٤

الفصل الثالث

ابن تيمية ودوره في إصلاح المجتمع الإسلامي

- جهاد ابن تيمية في ميادين مختلفة
- دور ابن تيمية بعد موقعة وادي الخازندار

جهاد ابن تيمية في ميادين مختلفة

الفصل الثالث

جهاد ابن تيمية

كان ابن تيمية رحمه الله فقيها عالما من أعظم علماء عصره ، امتاز عنهم بجهاده في جميع الميادين لرفع راية الاسلام والرجوع بالمسلمين الى المنبع الصافي الى الكتاب والسنة فلم يكن رجل دين وعلم ، يلقي دروسه ويحث على الجهاد ليتقاعس و وقت الأزمان بل كان مسلما حقيقيا يعرف رسالته ودوره في هذه الحياة ويستغل مقدرته التي وهبه الله اياها ، فحمل السيف والقلم والعلم جنبا الى جنب ، وهو في صفوف المجاهدين يذود عن حمى الاسلام والمسلمين ، فقد وجد ابن تيمية في السلف الصالح القدوة الحسنة ، فرسول الله صلى الله عليه وسلم نبي الامة مربيا وقائدا عظيما يقود الجيوش والغزوات وتبعه صحابته رضوان الله عليهم ومن تبعهم وهم حفظة القرآن الكريم والحديث الشريف ففتحت على أيديهم بلاد فارس والروم ، واستمر العمل على منهج السابقين من المبادرة الى الجهاد وفي مقدمة المجاهدين كان العلماء ورجال الدين . ومن أجل ذلك ظلت راية الاسلام مرفوعة طالما كان العلماء في مقدمة المقاتلين . ولعل آخر من عرفنا ممن حملوا السلاح من كبار العلماء هو العلامة القائد المحنك .، أسد بن الفرات[1] كان قاضي قضاة

---

(١) أسد بن الفرات بن بشر الاندلسي من غرناطة رحل شابا لطلب العلم الى المشرق فأخذ عن مالك بن أنس في المدينة مذهبه ، ثم عاد الى أفريقية تولى قضاء القيراوان ، ألف كتاب (المختلطة) في الفقه المالكي ، قام بعدة غزوات ، توفي بآخرها في صقلية بوباء كان بها سنة ٢١٣ هـ . عنان ، مواقف حاسمة ص ٨٩ ، ٩٠ .

القيروان وكان من أعظم علماء عصره علما وفقها كان جنديا جريئا وبحارا مغامرا قاد جيشا كبيرا لفتح صقلية فعبر البحر المتوسط واستطاع أن يستولى على عدة حصون فيها (١) ،فلا عجب أن يعيد ابن تيمية سيرة السلف الصالح حين بعد الناس عن فهم العقيدة الاسلامية الصحيحة وبعد بهم العهد عن عصر اسلافنا الامجاد فتكاسلوا وتخاذلوا واصابهم الوهن فقام ابن تيمية واعاد الى الاذهان صورة اولئك العلماء العاملين حيث حمل السيف بنفسه قبل أن يأمر الناس به فكان رجل وقته فاذا ما دعته الحاجة الى محاربة المنكرات والموبقات وجدناه على رأس القائمين بذلك والداعين له ،واذا اعرضت مسألة أو مناظرة انبرى لها والف فيها كراريس عدة تبهر السامعين والمفكرين فهو فى كل علم يتحدث فيه كانه لا يعرف غيره من العلوم لكثرة تبحره فيه ومعرفة بدقائقه وخصائصه ،واذا ما تعرضت سلامة الاسلام والمسلمين للخطر رأيته فى مقدمة المجاهدين حاملى راية الجهاد فهو كما قال السيد الجليند: (وقف ابن تيمية من مجتمعه موقف الطبيب الماهر يأتى المرض وكيفية علاجه) (٢) .

لذلك كان امام ابن تيمية أن يجاهد تارة بقلمه وتارة بكلمته واخرى بيده بحسب مايقتضيه الحال .

---

(١) عنان : مواقف حاسمة ،ص ٨٩ ، ٩٠ .
(٢) ابن تيمية وموقفه من قضية التأويل ص ٢٠ .

- جهاده بالكلمة :

عرف الناس فى ابن تيمية علمه الكثير وبراعته فى كل علم يخوض فيه فى المساجد والمدارس ، وقد كان رحمه الله لا تأخذه فى الحق لومة لائم فاذا ما رأى أخطاء مستشرية فى مجتمعه بادر بمحاربتها و بين خطأها فيعقد لذلك كثيرا من المجالس الكبار حيث يحضرها كثير من العامة وطلاب العلم والعلماء ، فكان يتصدى فى أيام الجمع لشرح القرآن الكريم فى الجامع الاموى بدمشق حيث كان يعقد فيه اكبر حلقات الدروس[1] فقد كان يرى العامة من المسلمين بعيدين عن النبع الصافى ، قد تفشت فيهم أمور بدعية منكرة سببها هذا البعد فيتحمل على عاتقه مع بقية العلماء توعية الناس بكتاب الله العزيز وسنة نبيه الكريم عليه افضل الصلاة والسلام .

ولم يقتصر أمره على القاء الدروس فقد كان على أتم استعداد للمناقشة فى أمور الشريعة الاسلامية ولو أدى به الامر الى الاصطدام بمفاهيم الناس وآراء العلماء وان ناله الاذى فى سبيل ذلك . فعقد مجالس للمناظرة فى العقيدة الواسطية [2] حيث حضر فيها كثير من القضاة والعلماء والمفتين والمشائخ والامراء فى دمشق دافع فيها ابن تيمية

---

(١) ابن كثير : البداية والنهاية جـ ١٣ ص ٣٠٣ .

(٢) كان سبب كتابة هذه العقيدة ان احد قضاة واسط واسمه رضى الدين الواسطى قدم للحج وكان فيه خير ودين ، شكا للشيخ ابن تيمية مدى بعد الناس فى بلاده وتحت ظل حكم التتر فى العراق من بعد عن الشريعة الاسلامية وكثرة تفشى الجهل والظلم فيهم فسأل الشيخ ابن تيمية ان يكتب له عقيدة تكون عمدة له فاستعفاه الشيخ من ذلك الا ان الواسطى أصر على ذلك فكتب له هذه العقيدة وهى عقيدة اهل السنة والجماعة . ابن عبد الهادى : العقود الدرية ، ص ٢١٠ ، ٢١١ .

عن معتقده الذى هو اعتقاد اهل السنة والجماعة وتصدى له الشيخ كمال الدين ابن الزملكانى فتناظرا وكل منهما بحر فى علمه وسعة اطلاعه الا أن ابن تيمية أفحم مناظره بالحجة والبرهان فانتهى الامر بقبول كلام ابن تيمية والاعتراف له بالعلم والتفوق وصحة المعتقد (١) .

كما كان رحمه الله يعقد المجالس لصرف الناس عن الشرك بالله مبينا لهم أحوال كثير من المتفلسفة والصوفية الذين يدعون أنهم أولياء لله وأن مرتبتهم أفضل من مرتبة الانبياء مدعمين ذلك باعمال خارقة للعادات ليسلبوا بها عقول العامة ، فأخذ ابن تيمية فى التصدى لامثال هؤلاء مبينا للناس أن مايقوم به هؤلاء ليس من الكرامة انما هو احوال شيطانية يعينهم عليها الشياطين لابعاد الناس عن عبادة الله وحده (٢) فتاب بعض شيوخهم عن ذلك حين تبين لهم الحق واستغفروا لذنبهم (٣) كما عقد مجالس لرد ملابسات الجهمية وادعاءاتهم الكاذبة التى يرمون من ورائها الى الطعن فى الاسلام وابعاد الناس عن عبادة الله وحده (٤) لتمزيق وحدة

---

(١) ابن كثير : البداية والنهاية جـ ١٤ ص ٣٦ ، ٣٧ ، ابن عبد الهادى : العقود الدرية ص ٢٠٣ : ٢٤٨ .

(٢) ابن تيمية : الفرقان بين اولياء الرحمن واولياء الشيطان ص ٧٢ ، والصفحات التى تليها الى ص ١٣٥ .

(٣) المصدر السابق ص ١٥٨ .

(٤) وذلك بادعائهم أن الايمان مجرد تصديق القلب وعلمه وليست الاعمال من ضمن الايمان فقالوا قد يكون الانسان مؤمنا يملأ الايمان قلبه وهو مع هذا يسب الله ورسوله ويعادى اولياءه الخ .... (ابن تيمية : الايمان ص ١٦٠ : ١٦٥) .

المسلمين وصرفهم عن الاسلام فقعد مجالس تبين حقيقة الايمان بالله وانه ماوقر في القلب وصدقه العمل فأبطل بدع أمثال هؤلاء .

- جهاده بالقلم :

اتخذ ابن تيمية سياسة جديدة في جهاده بالقلم حيث خرج به عن نطاق بلده الذى هو فيه الى الخارج الى ملوك المسيحية يعلمهم بمحاسن الاسلام ، ويبين لهم حقيقة النصرانية الحقة ، ومدى بعدهم عنها ، مما يبين لناسعةعلمه وجرأته وقدرته على مخاطبة الملوك في الخارج .

فرسالته الى ملك قبرص وهو يعرض عليه فيها محاسن الاسلام ومزاياه التى انفرد بها عن النصرانية المحرفة المتبعة في ذلك الوقت ، وطالبا منه الاحسان الى الاسرى المسلمين الذين بحوزته ، وأن معاملته السيئة لهم لن تكون عاقبتها حسنة له ، فهى ليست من السياسة في شيء ، اذ ان بلاد المسلمين مليئة بالاسرى من الذميين ولكن المسلمين يعاملونهم وفق تعاليم الشريعة الاسلامية الغراء ، فيحسنوا اليهم ويفدوا عنهم ويحاولوا اطلاق سراحهم من الاسر أسوة بالمسلمين ، مستشهدا بذلك بما حدث في أيام غزو التتر للشام حين خاطب ابن تيمية بولاى في فك أسرى المسلمين والذميين الذين بحوزته ، كما حذر ابن تيمية في رسالته الى ملك قبرص من خطورة سياسته تلك والتى ستنعكس على رعاياه من النصارى الذين في بلاد المسلمين في محاولة منه للضغط عليه واستنقاذ الاسرى منه ، ونلاحظ ان ابن تيمية بعمله هذا لم يسبقه أحد اليه ماعدا رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أرسل المقوقس والى ملوك ورؤساء القبائل عارضا عليهم الاسلام ، فقام ابن تيمية بهذا العمل مقام ولى الامر حين تقاعس عنه .

كذلك حمل ابن تيمية على عاتقه الجهاد الفكرى فى الداخل والخارج[(١)] فكان اذا رأى منكرا سارع بازالته مسجلا ذلك فى كراريس ايمانا منه بأن الكلمة المكتوبة اكثر رسوخا فى الاذهان وباقية على مر الازمان فجمع بين القاء الكلمة فى دروسه وكتابتها ، خاصة وقد كثرت فى عصره كتب الملاحده والفلاسفة والروافض واخذت تروج بين العامة وفيها الطعن والدس على الاسلام مما استلزم من ابن تيمية ان يسجل رده على أمثال هؤلاء ليكشف خططهم أمام المسلمين ويرد على بدعهم وضلالاتهم ومؤلفاته كثيرة جدا لا يمكننا أن نحصيها فى هذا البحث . لذلك سنكتفى بذكر بعض آثاره ومؤلفاته[(٢)] التى منها :

أولا : الاعمال العامة : ومنها :

مجموع الفتاوى وهى عبارة عن فتاوى ابن تيمية التى انفرد بها عن غيره وكانت فى غالبها اجابة لاسئلة موجهة اليه امثال : التفاوى الكبرى ،

---

(١) فى الداخل بمحاربة اهل البدع والفسق وغيرهم . وفى الخارج الدسائس التى كانت تحاك ضد الاسلام امثال رد ابن تيمية على الرسالة القبرصية التى كتبها بولص الراهب اسقف صيدا الانطاكى حيث كتبها الى بعض اصدقائه فوقعت فى يد ابن تيمية فوجد فيها ٦ دعاوى مضمونها ان الرسول صلى الله عليه وسلم لم يرسل اليهم وانه عليه السلام اثنى على دينهم فوجب عليهم التمسك به وغيره مما فيه الكذب على الاسلام فانبرى لهم ابن تيمية وتصدى لهم بالحجة والبرهان فالف فى ذلك كتابه الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ص ٣-٤ .

(٢) للاستزادة م من اسماء مؤلفاته يرجى الاطلاع على : الكتبى : فوات الوفيات جـ١ ص ٧٥ : ٨٠ ، ابن عبد الهادى : العقود الدرية ، ص ٢٦ : ٨٧ ، Qameruddin Khan, The Political Thought, p. 186 - 205.

وهى من خمس مجلدات[1] ، ومنها مجموع فتاوى ابن تيمية فى سبعة وثلاثين مجلد نسقت وجعلت فى ابواب : فى توحيد الربوبية ـ الاسماء والصفات ـ المنطق ـ اعتقاد السلف ـ الزكاة ـ الجهاد .. الخ[2] .

ثانيا : الاعمال الخاصة :

١ ـ فى القرآن الكريم والتفسير

وهو شرح لبعض السور القرانية والايات مثل :

تفسير سورة البقرة[3] ، وتفسير سورة النور[4] .

" والرسالة العبودية " : تناول فيها الايات المتعلقة بالعبودية فى كل القرآن الكريم والاثار الشارحة لذلك من كلام سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم والسلف الصالح[5] .

٢ ـ فى الحديث الشريف ومنها :

اربعون حديثا رواية شيخ الاسلام ابن تيمية عن اربعين من كبار مشايخه[6] .

---

(١) تحقيق محمد حسنين مخلوف .

(٢) مجموع فتاوى ابن تيمية جمع وترتيب عبد الرحمن محمد بن قاسم وابنه محمد .

(٣) البغدادى : ايضاح المكنون جـ ١ ص ٣٠٦

(٤) المصدر السابق ص ٣٠٨ ، صبرى المتولى ، منهج ابن تيمية ص ٢٥٦ .

(٥) صبرى المتولى منهج ابن تيمية ص ٢٥٦ .

(٦) المصدر السابق ص ٢٧٦ .

٣ - في العقيدة : ومنها :

قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة : تحدث فيها ابن تيمية عن معنى التوسل وحارب فيه ما انتشر في زمانه من التوسل بالرسول صلى الله عليه وسلم وبقبور الانبياء والصالحين مستشهدا بالايات القرانية والاحاديث النبوية وآثار السلف الصالح [١] .

٤ - في علم الكلام : ومنها :

اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة اصحاب الجحيم وهي رسالة في مخالفة اعياد اليهود والنصارى وسائر امورهم التي تخالف الشريعة الاسلامية [٢] .

٥ - في التصوف والمتصوفة ومنها :

مناظرة ابن تيمية العلنية لدجاجلة "البطائحية الرفاعية" وقد كانت الرفاعية طائفة صوفية معروفة في عصر ابن تيمية خلطوا الايمان الحقيقي بالسحر والاسطورة وشتى ضروب الاباطيل ، ويعد تصدى ابن تيمية لهم احد الملامح البارزة في حياته [٣] .

٦ - في علم الفلسفة ومنها :

نصيحة الايمان في الرد على منطق اليونان . وقد لخصه السيوطي في كتابه جهد القريحة في تجريد النصيحة [٤] .

---

(١) ابن تيمية : التوسل والوسيلة .
(٢) ابن تيمية : اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة اصحاب الجحيم .
(٣) صبري المتولي : منهج ابن تيمية ص ٢٧٧ .
(٤) المصدر السابق . ص ٢٧٧ .

٧ - فى علم الفقه : ومنها :

السياسة الشرعية فى اصلاح الراعى والراعية . تعرض فيها للشروط الواجب توافرها فى ولى الامر وانها تشمل القوة والامانة كما تكلم فيه عن حقوق كل من الراعى والرعية مستشهدا فى ذلك بالايات القرآنية والاحاديث النبوية (١) .

٨ - فى الاخلاق والسلوك : ومنها :

جوامع الكلم الطيب فى الادعية والاذكار : وهو فى الحث على ذكر الله وذكر لاشهر الادعية عند النوم - وفى دخول المسجد - وفى دعاء الاستخارة (٢) ... الخ .

٩ - القصائد : ومنها :

منظومة فى القدر فى الرسائل المنيرية وهى رد على رسالة وجهت اليه شعرا حول الجبر والاختيار وقد آثر ابن تيمية ان يجيب عليها شعرا (٣) .

...

---

(١) ابن تيمية : السياسة الشرعية فى اصلاح الراعى والرعية .

(٢) ابن تيمية : الكلم الطيب .

(٣) ابن عبد الهادى : العقود الدرية ص ٣٨٣ : ٣٥٢ ، ذكر فيها نص السؤال شعرا وجواب ابن تيمية عليه فى مائة وخمسة ابيات .
صبرى المتولى : منهج ابن تيمية ص ٢٨٠ .

- جهاده باليد :

يمكننا أن نقسم جهاد ابن تيمية باليد الى :

أ - جهاد بالفعل :

حين قام بنفسه بمحاربة البدع والخرافات والمعاصي والموبقات المتفشية في جسم الدولة الاسلامية في محاولة منه لا رجاع المسلمين الى الكتاب والسنة والدفاع عن الاسلام وبذل ارواحهم في سبيل الله لان تفشي المعاصي والموبقات دليل على هوان الامة وتكاسلها وتخاذلها وبعدها عن شريعة الله فكيف والحال كذلك تبغي النصر على أعداء الله وقد كان لا وضاع الدولة الاسلامية في ذلك الوقت - نتيجة لغارات المغول على الشام وكيد أعداء الامة في داخل الدولة - ان انتشرت كثير من البدع والضلالات اخذت تنخر في جسم الامة فكان أن هب ابن تيمية بنفسه لا يقاف التيار ومحاولة اصلاح ما فسد فقام مع تلامذته بعملية تمشيط للبلاد دار فيها على الخمارات والحانات واماكن الرذيلة وأزال اثارها وعزر من وجده فيها (١) . كما قضى ابن تيمية على آفة كبيرة كادت أن تهلك الامة الاسلامية ، فقد كان البعض يتوجه الى صخرة بظاهر دمشق يتبركون بها وينذرون لها النذر فقطع الصخرة وازالها فاراح المسلمين من شرها وشركها (٢) .

---

(١) ابن كثير : البداية والنهاية جـ ١٤ ص ١١ ، عبدالسلام حافظ : ابن تيمية ص ٢٧ .

(٢) ابن كثير : البداية والنهاية جـ ١٤ ص ٣٤ ، عبد السلام حافظ : ابن تيمية ص ٢٧ .

رأى ابن تيمية اقواما ضالين مضلين يهدفون الى ابعاد المسلمين عن دينهم بطرق متعددة بحجة عبادته حق العبادة فبين بعد هؤلاء عن أساس العقيدة الاسلامية وأن افعالهم هذه اباطيل لا أساس لها من الصحة فقام بتعزير احد الفقراء يدعى الدين وهو متسخ الثياب طويل الشعر والاظافر مسبل الشارب مخالفا بذلك السنة الواردة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فحلق ابن تيمية راسه وقلم اظافره وحف شاربه ومنعه من أكل الحشيشة وما يغير العقل (١) .

وكان لحالة الاضطراب فى الدولة الاسلامية ان اخذ المشعوذون ، والمضلون ينتشرون بصورة كبيرة ويلاقون استعدادا كبيرا من العامة لبعدهم عن شرع الله كما كثر تشبه الصبيان بالنساء فكان لابد لابن تيمية من ان يتصدى لهؤلاء ويضرب على أيديهم بيد من حديد (٢) فقام بحلق رؤوس الصبيان وتعزيرهم لكى يقضى على هذه البدعة كما قام باحضار شيخ يدعى تفسير الاحلام ويتناول المحرمات فاستتابه الشيخ عن هذه الافعال (٣) .

كما انتشرت فى عهده الزندقة فعمل على ازالتها فأحضر شيخا اشتهر باهانته لكتاب الله وبالاسلام فاستتابه ونصحه الا انه لم يقبل ذلك فكان ان نفذ فيه حكم الحاكم بالقتل ليكون رادعا لامثاله وتنبيها للمسلمين من هذه الافعال ومدى بعدها عن الاسلام (٤) .

---

(١) ابن كثير : البداية والنهاية جـ ١٤ ص ٣٤ .
(٢) المصدر السابق ص ١٩ .
(٣) المصدر السابق ص ٣٤ .
(٤) المصدر السابق ص ١٢٢ : ١٢٣ .

وقد كان للصوفيه اثر كبير على عقول الناس فكان ابن تيمية رحمه الله يقف لهم بالمرصاد ويكشف احوالهم وكلما ارادوا أن يخدعوا العامة بحيلهم افسد عليهم وفضحهم وأعلن سرائرهم بمساعدتهم للكفار من التتر وغيرهم ضد المسلمين فاجتمعوا لدى نائب الشام وشكوا اليه كثرة تعرض ابن تيمية لهم وطلبوا ان يدعهم وحالهم وكعادتهم ارادوا خداع النائب والحاضرين بحيلهم المعروفة الا ان ابن تيمية كشف حالهم حين أرادوا الدخول في النار لكي يدللوا على انهم من اولياء الله فقال لهم ابن تيمية من أراد الدخول في النار فليغتسل بالماء والخل ثم يدخل النار ولو خرج سليما فلا يدل ذلك على ولايته انما هي احوال شيطانية فقالوا له بعد ان كشف طريقهم: انما تتفق احوالنا عند التتر لا عند هؤلاء فكشفوا بذلك عن خبيئة انفسهم وكشفهم لعورات المسلمين فاستتابهم النائب ورجع بعضهم عما كان فيه (١) .

وقد كان لاعمال ابن تيمية تلك تأثير كبير على الامة الاسلامية فان كان لم يستطع ان يزيل كل آثار هذه البدع والضلالات الا أنه رفع راية ابطالها فأخذ المسلمون يمتنون بأمور دينهم ويميزون بين السقيم والصحيح خاصة اذا علمنا مدى تأثير هذه المعاصي والقائمين بها لو تركوا على ما هم عليه من اصابة الامة الاسلامية كلها بهذه الادواء ، كما كان ابن تيمية نبراسا لمن جاء بعده من دعاة الاصلاح (٢) ، ونلاحظ ان انكار ابن تيمية

---

(١) ابن كثير : البداية والنهاية جـ١٤ ص ٣٦ ، ابن عبد الهادى : العقود الدرية ص ١٩٤ — ١٩٥ .

(٢) امثال الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله وغيره .

للبدع وازالته للمنكرات بيده بدون اذن ولى الامر كان فى فترة الشباب والحماس وفى الوقت الذى سادت فيه الاضطرابات فى الامة الاسلامية نتيجة لغارات المغول وخروج كثير من المخربين من السجون حيث عاشوا فى الارض فسادا فلم تكن هناك سلطة ضابطة دائمة نتيجة لتلك الاوضاع المضطربة فقام ابن تيمية بنفسه لازالة المنكرات واقامة الحدود من تعزير وجلد وحبس وغيره ، اما بعد استتباب الامن فى البلاد اى بعد حوالى سنة ٧٠٥ هـ حيث كانت فيها المعركة التى قطع فيها دابر الكسروانيين والروافض فقد راى ابن تيمية ان دوره فى ازالة المنكر بدون اذن من ولى الامر أمر مرفوض شرعا وجهل منه بحقوق الراعى ،فذكر أن ماكان يفعله خطأ منه وهو يرجع عنه ويستغفر الله سبحانه وتعالى من ذنبه لانه تعدى على حقوق ولى الامر فقال (اما ماكنا نقوم به منذ عشرين عاما فهو غلط سببه نقص العلم وقد أوقعتنا فيه الغيرة على السنة وحمية الشباب وشدته والجهل بما للراعى على الرعية من حقوق فعفا الله عما سلف ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا أو أخطأنا) (١) .وهو يرى ان الامر بالمعروف والنهى عن المنكر لا يجب على كل احد بعينه بل هو على الكفاية (٢) .

وهنا نلاحظ ان اعتراف ابن تيمية بخطئه لم يكن لينقص من قدره فالاعتراف بالحق فضيلة انما يزيده هذا الامر رفعة ومكانة لنزاهته وتشدانه للحق والعدل واعلانه وان كان على حساب سمعته .

---

(١) عبدالرحمن الشرقاوى : الاهرام مقالة ص ١٣: ١٨/٨/٨٢م . سورة البقرة من اية ٢٨٦ .

(٢) ابن تيمية : الحسبة فى الاسلام ص ٦١ . وهو يقول فى ص ٦٢ : وليكن امرك بالمعروف ونهيك عن المنكر غير منكر .

الا أننا نتساءل حول هذا الموضوع فهل كان ابن تيمية يقصد منع العلماء من الامر بالمعروف والنهى عن المنكر حتى ولو لم يقم ولى الامر بهذا العمل ، فيتركون واجبهم الذى فرضه الله عليهم حيث قال عز وجل " ولتكن منكم امة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر واولئك هم المفلحون ..[1] " الاية . فينتشر المنكر فى المجتمع الاسلامى بدون رادع او وازع بحجة ان هذا الامر من اختصاصات ولى الامر؟

أم ان الهدف الذى كان يقصده ابن تيمية من الرجوع عن رايه هو ان ولى الامر اذا كان ممن يقوم على الامر بالمعروف والنهى عن المنكر ففى هذه الحالة لا ينبغى للعلماء ان يتولوا هذا الامر بانفسهم .

اما اذا كان ولى الامر لا يأمر بمعروف ولا ينهى عن منكر ففى هذه الحالة يجب على العلماء ان يقوموا بالدعوة الى الامر بالمعروف والنهى عن المنكر بالوسائل التى أمر بها رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله : (من راى منكم منكرا فليغيره بيده فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه وذلك اضعف الايمان) .

ب ـ جهاده بالسيف :

كانت المهمة الملقاة على عاتق ابن تيمية مهمة عظيمة وجليلة وكان ابن تيمية بما وهبه الله من قدرات قادرا على حمل اعبائها والقيام بها على اكمل وجه فقد كانت الامة الاسلامية الى جانب انتشار المعاصى والموبقات بها كانت فى نفس الوقت تتعرض لهجمات شرسة من داخل الدولة وخارجها تهدف الى تقويض اركان الامة الاسلامية بينما نجد ان المسلمين فى سبات

---

(١) سورة آل عمران ، آية ٣ .

عميق لا يدركون ماهم فيه ، لذلك كان لابد ان يقوم رجل بهزها هزات عنيفة لكي تستيقظ قبل فوات الاوان فكان ذلك الرجل هو ابن تيمية الذى راى الطوائف التى تدعى انها تدين بالاسلام وهى ليست منه امثال النصيرية والروافض وسكان الجبال ممن يغيرون على المسلمين ويسلبونهم ويبيعونهم للكفار ومساعدتهم للتتر وشماتتهم بالمسلمين ، كما راى الخطر المغولى الذى يدعى الاسلام والاسلام منه برئ يزحف كالموج الكاسح بدون أن يجد أمامه أحدا يصده لذلك قرر أن يتصدى لهذين الخطرين معا ويعمل على تهيئة نفوس المسلمين لمجاهدة هؤلاء بعد هزيمة المسلمين فى وادى الخازندار مع تبيين عدم صحة اسلامهم وادعائهم له ليتخذوه وسيلة لخداع المسلمين وتثبيط عزائمهم لذلك كان عليه أن يبدأ مع المسلمين من نقطة الصفر فقام بتوعية الناس بوجوب رفع راية الجهاد فى سبيل الله فقام بعقد جلسات عدة مبينا فضل الجهاد في سبيل الله (١) وان جهادا ورباطا فى سبيل الله خير من الف صلاة ،كما استشهد بالايات القرآنية وبما اعده الله من الجزاء الكبير لهم ان خرجوا من ديارهم لنصرة دينه واعلاء كلمته (٢) فالتف الناس حول القائد المربى وأخذ يدب فيهم الحماس لرفع لواء الجهاد ،وحين تهيأت نفوس المسلمين للجهاد أخذ ابن تيمية ينتقل من طور الناحية النظرية الى الحالة العملية فقام بنفسه بالتدريب وتدريب المسلمين على حمل السلاح وركوب الخيل وعلم الفقهاء حرب السهام

---

(١) ابن كثير : البداية والنهاية جـ١٣ ص ٣٥٢ .

(٢) ابن عبد الهادى : العقود الدرية ص ١٢٠ — ١٧٥ .

والمقاتلة استعدادا ليوم المعركة المرتقب (١) فكان لمشاركته الفعلية اثر كبير فى تدفق الناس لشراء السلاح والتدريب عليه كما قام بعد ذلك بالدوران على الاسوار بين المجاهدين لتثقيفهم ومشاركتهم فى رباطهم فى سبيل الله (٢) مذكرا اياهم بما أعده الله لهم من أجر كبير مع ملازمته لعقد حلقات فى المساجد لتثبيت الناس وحضهم على القتال والانفاق فى سبيل الله بالمال والانفس (٣) .

لم يكتفى ابن تيمية بحلقات المساجد والدوران على المجاهدين بل كان يخرج بنفسه الى خارج البلد لكى يمتد نشاطه الى أولئك الذين خرجوا لمقاتلة التتر فمكث عندهم عدة ايام غير هياب ولا وجل وهو الرجل الشجاع فى كل موطن فسبتهم وقوى جأشهم وطيب قلوبهم وخواطرهم ووعدهم بالنصر والظفر على أعداء الله مستدلا بقوله تعالى : "(ذلك ومن عاقب بمثل ماعوقب به ثم بغى عليه لينصرنه الله ان الله لعفو غفور) (٤)

فلم يهرب من أرض المعركة حين استدعى الامر وجوده ، حيث كان على العكس على رأس القائمين باستثارة الهمم والعزائم لمجاهدة المشركين وكان رحمه الله سريع الحركة اذا استدعى الأمر منه الرحيل بأقصى سرعة لاستثارة همم سلطان مصر لمحاربة التتر فرحل مسرعا وادى المهمة على أكمل وجه (٥) .

---

(١) انور الجندى : نوابغ الفكر الاسلامى ص ٣٢٣-٣٥٥ .
(٢) ابن كثير : البداية والنهاية جـ١٤ ص ١١ ، انور الجندى : نوابغ الفكر
(٣) الاسلامى ص ٣٢٣ .
(٣) أنور الجندى : نوابغ الفكر الاسلامى ص ٣٢٣ .
(٤) سورة الحج آية ٦٠ .
(٥) ابن عبد الهادى العقود الدرية ص ١٧١ ، عبد السلام حافظ ابن تيمية ص ٢٥

كان فى امكانه ان يبقى بمصر بعيدا عن المعارك بعد ان ادى مهمته مع سلطان مصر ، ولكننا نجده يعود على جناح السرعة لتطمين جيش الشام بقرب وصول امدادات السلطان لهم ليرفع بذلك من معنوياتهم ثم قام بمشاركة العسكر فى رباطهم استعدادا ليوم المعركة الفاصلة حيث كان همه الجهاد والاستشهاد فى سبيل الله .

ومن قبل ذلك حين قام فى سنة ٦٩٠ هـ بالاشتراك مع الجيش المسلم لقتال الفرنجة فى عكا حيث أظهر فى هذه المعركة من ضروب الشجاعة ما يعجز عنه الابطال (١) فحمل لواء الجهاد ضد الكفرة فكانت هذه المعركة بداية للشيخ فى التمرس فى القتال استعدادا لخوضها من جديد ضد التتر فى سنة ٦٩٩ هـ وقد أظهر الشيخ فى هذه المعركة حنكة وسياسة فى فتح المدينة (٢) ، وفى ذلك يقول البزار (ولقد كان السبب فى تملك المسلمين اياها بفعله ومشورته وحسن نظره) (٣) .

وحين لاحت بوادر قرب وقوع المعركة الفاصلة بين المسلمين والتتر بدأ التخاذل فى صفوف المسلمين فى مدى مشروعية مقاتلة هؤلاء ومن أى جنس هو فهم ليسوا بغاة على الامام فلم يكونوا يوما فى طاعته فسارع ابن تيمية لتوضيح هذه المسألة خاصة وان كثيرا من العلماء تحيروا ازاء هذا الموقف

---

(١) البزار : الاعلام العلية ص ٦٣ ، انور الجندى : نوابغ الفكر الاسلامى ص ٢٢٣ .

(٢) يقصد بها مدينة عكا .

(٣) البزار : الاعلام العلية ص ٦٣-٦٤ .

فالتتر أعلنوا اسلامهم وأقاموا بعض شعائر الاسلام فى بلادهم فانبرى ابن تيمية بتوضيح هذه المسألة مستشهدا بسيرة التتر بعد موقعة وادى الخزندار فى اهالى الشام ففى سنة ٦٩٩ هـ وبعد اعطائهم الامان لأهل دمشق رآهم يسبون ذرارى المسلمين حيث اسروا اكثر من مائة ألف مسلم وفعلوا بالصالحية ونابلس وداريا وبيت المقدس مثل ذلك كما فجروا بنساء المسلمين فى المساجد كالمسجد الاموى وغيره من المساجد وهذه أفعال لا تصدر من مسلمين مؤمنين بالله بالاضافة الى أنهم قاموا بهدم بعض المساجد وازالة آثارها (١) .

ثم نظر الى عسكر التتر الذين يدعون الاسلام فوجد أنهم لا يصلون ولم يصاحبهم مؤذنون ولا امام بل كان رجال دولة غازان من شرار خلق الله فكانوا بين كافر أو منافق او زنديق لان من لا يعتقدون الاسلام فى الباطن انما هم روافض وجهمية واتحادية . ولانهم تاركوا الصلاة والصيام ولم يبالوا بالحج رغم قدرتهم عليه (٢) .

ثم بحث ابن تيمية فى أصل خروج التتر لمحاربة المسلمين فوجد أن قتالهم للملك على سيرة ملكهم جنكيزخان وليس لرفع راية الاسلام وأن من أطاعهم قربوه وأدنوه منهم ومن عصاهم عادوه ولو كان من خيار المسلمين ثم رأى انهم لا يعظمون رسول الله صلى الله عليه وسلم بل يساوون بينه وبين ملكهم الكافر جنكيزخان ولم يكتفوا بذلك بل رجحوا دين اليهود والنصارى

---

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية جـ ٢٨ ص ٥٢٠ – ٥٢١ .

(٢) المصدر السابق ص ٥٢١ .

على دين الاسلام واستشهد ابن تيمية بفعلهم هذا على اثبات كفرهم وخروجهم عن ملة الاسلام خاصة وقد اظهروا الرفض ومنعوا ذكر الخلفاء الراشدين على المنابر وقربوا اليهم القرامطة والملاحدة والزنادقة وحكموهم فى رقاب المسلمين فجعلوا منهم قضاة ووزراء ليوافقوهم فى احكامهم ومعاملاتهم مع التظاهر باقامتهم لشرع الاسلام ليخدعوا المسلمين باسلامهم المزيف فاقاموا الجمع والصلوات فى المساجد ولم يمنعوا المسلمين من أدائها (١) .

حين استمع المسلمون والعلماء لاستنتاجات ابن تيمية هذه تنبه كثير منهم وقرروا التضامن والاتحاد ضد الكفرة والملحدين أعداء الملة والدين والتفوا حول ابن تيمية لرفع راية الجهاد وشحذ الهمم لمقاتلة الاعداء ، الى أن تم لهم التجمع فى تل شقحب جهادا فى سبيل الله فحقق الله لهم وعده ونصرهم وهزم أعداءهم وشتت شملهم . (٢)

• • •

---

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية ج ٢٨ ص ٥٢٢ : ٥٢٧ .

(٢) عبد السلام حافظ : ابن تيمية ص ٢٦ ، انور الجندى : نوابغ الفكر الاسلامى ص ٣٢٤ .

دور ابن تيمية بعد موقعة وادي الخازندار

- موقعة وادي الخازندار:

- مقدمات الموقعة:

شمر غازان (١) عن ساعديه لقصد البلاد الشامية وذلك حين قدم عليه بعض أمراء المسلمين امثال قبجق نائب الشام ورفقته (٢) فسير جيشا مكونا من خمسة وعشرين ألف من الفرسان الى بلاد الروم بقيادة ابن عمه سلامش بن أبا جوبن هولاكو ليستولي على بلاد الروم ثم يتوجه بعد ذلك مع بقية عسكره الى الشام من جهة بلاد سيس (٣) ، فيلحقه غازان بعد ذلك بسائر العسكر من ديار بكر وينزلوا الفرات ويجتمعون على مدينة حلب حيث ستكون نقطة لانطلاقهم للاستيلاء على بقية مدن الشام (٤) .

---

(١) غازان بن ارغون بن ابغا بن هولاكو بن جنكزخان صاحب العراقين وخرسان وفارس واذربيجان والروم ملك سنة ٦٩٣ هـ فحسن له نائبه توزن الاسلام فاسلم سنة ٦٩٤ هـ وباسلامه فشا بين التتر الاسلام وكان قد تسمى محمود حين اسلم ونثر الذهب والفضة على رؤوس الناس . (ابن تغرى بردى : النجوم جـ ٨ ص ٢١٣ ، الكتبي : فوات الوفيات جـ ٤ ص ٩٧) .

(٢) كان الامير سيف الدين قبجق نائب السلطنة فى الشام خرج على رأس جيش كبير قاصدا بلاد السيس بأمر السلطان لاجين وحين وصل حمص بلغه وجماعة الامراء عن تغير السلطان من ناحيتهم فاتفق مع جماعة من الامراء على الدخول الى بلاد التتر والنجاة بأنفسهم وهم قبجق وبكتمر السلحدار والاليكي .. ورجع بقية الجيش الى دمشق . (ابن كثير البداية والنهاية جـ ١٤ ص ٢) .

(٣) يقال لها سيسة من اعظم مدن الثغور الشامية بين انطاكية وطرسوس. الحموى : معجم البلدان جـ٣ ص ٢٩٧ .

(٤) المقريزى : السلوك جـ١ ق ٣ ص٨٧٦ ، ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة جـ ٨ ص ١١٧ .

لم تجبر الأمور كما أراد غازان ، فما ان استطاع سلامش أن يدخل بلاد الروم حتى داخله الطمع فى الاستقلال بالملك فخلع طاعة غازان وملك بلاد الروم ولكى يكسب الجند اليه أنفق عليهم الاموال الكثيرة ، كما خلع على أكابر الامراء الروم الذين دخلوا فى طاعته وكان عددهم فوق العشرة آلاف فارس فأرسل سلامش الى مصر يطلب النجدة ضد غازان ويعلمهم بتملكه بلاد الروم (١) .

حين وصل خبر سلامش الى غازان غير خطة سيره الى الشام وشرع فى تجهيز العسكر فبلغ عدده خمسة وثلاثين الف فارس وسيره الى الروم بقيادة بولاى لقتال سلامش ، ثم رحل هو الى تبريز ومعه الامير قبجق المنصورى والامير بكتمر السلاح دار الالبكى، وصل بولاى الى الروم فوجد سلامش قد جمع له جيشا كثيفا قوامه أكثر من ستين ألف فارس فلما تقارب الجيشان فر التتر والروم من جيشه وانضموا الى بولاى كذلك تركه التركمان الذين كانوا فى جيشه وصعدوا الى الجبال فتلفت سلامش حواليه فوجد نفسه فى جمع دون الخمسمائة فارس وكان السلطان الناصر قد أصدر مرسوما الى نائب الشام بارسال خمسة عشر اميرا مع عساكره لنجدة سلامش فلما انكسر ورجع منهزما توقف العسكر عن المسير ثم وصل سلامش الى دمشق حيث تلقاه نائب الشام بالحفاوة والترحيب واقيم احتفال كبير لملاقاته كما أكرمه النائب اكراما

---

(١) المقريزى : السلوك جـ١ ق ٣ ص ٨٧٦ ، ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة جـ ٨ ص ١١٨ .

زائدا (١) ثم سار سلامش الى الديار المصرية فأكرمه السلطان الناصر وأنزله في ضيافته بضعة أيام التقى فيها باركان دولة الناصر وتحادثوا عن الوضع ومدى خطورة التتر وغزوهم لبلاد الشام وغيره من احداث تلك الساعة(٢) .

ثم رجع سلامش الى حلب ليعدها لتكون المنطلق في دفع الخطر المغولي عن بلاد الشام .

بعد خروج سلامش من مصر جهز السلطان الناصر خلفه أربعة آلاف فارس من عسكر مصر لمساعدته في قتال التتار وجعله كمقدمة لجيشه حيث أزمع السلطان على الخروج بنفسه لوقف الخطر المغولي (٣) .

وصلت العساكر الى حلب فتلقاها سلامش وخرج مع الامراء لمقاتلة التتر الذين أعدوا كمينا لسلامش وهزموه هزيمة منكرة ففر منهم الى بعض القلاع فتلاحق فرسان التتر لمطاردته الى ان تمكنوا من القبض عليه وارساله الى غازان حيث أمر بقتله (٤) .

---

(١) المقريزى : السلوك ، جـ ١ ق ٣ ص ٨٧٦ : ٨٧٧ .
(٢) ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة جـ ٨ ص ١٢٠ .
(٣) المصدر السابق ص ١٢٠ .
(٤) المقريزى : السلوك جـ ١ ق ٣ ص ٨٧٨ .

- موقعة وادى الخزندار :

- أسبابها :

١ - رغبة التتر التوسع وامتلاك البلاد واكمال خطتهم بالسيطرة الكاملة على العالم الاسلامى واخضاعه لنفوذهم .

٢ - غزو سلامش بعسكر حلب الاسلامى لماردين وهى تحت حماية غازان والى ذلك يشير المقريزى حيث قال : وكان سلامش هذا من أكبر الاسباب فى حركة غازان الى بلاد الشام ، وذلك انه نهب بعسكر حلب ماردين فى شهر رمضان حتى أخذ ماكان بجامعها وفعل افعالا قبيحة فحرك فعله ماعند غازان وجعله حجة لسيره(١) .

فاذا كان الامر كما ذكرنا كان سلامش من الاسباب وان كانت ذريعة تذرع بها غازان لكى يغزو البلاد الشامية ويخضعها لسيطرته .

...

---

(١) السلوك جـ١ ق ٣ ص ٨٧٨ ومما يوضح لنا هذه النقطة ماجاء فى نص الرسالة التى بعثها غازان قبل الموقعة للسلطان الناصر قلاوون المقريزى . السلوك ، جـ١ ق ٣ ص ١٠١٦ : ١٠١٨ وماردين قلعة مشهورة على قمة جبل الجزيرة مشرفة على دارا ونصيبين امامها ربض عظيم فيه أسواق كثيرة وخانات ومدارس وربط .
(ياقوت : معجم البلدان جـ٥ ص٣٩) .

- سير المعركة : (١)

كانت العلاقة بين التتر وحكام مصر علاقة عداء مستحكم ووقائع حربية كما ذكرنا فى فصل سابق ، كان النصر فيها يحالف جيش المسلمين مما جعل التتر يراجعون انفسهم باتباع خطة جديدة فى حربهم ضد المسلمين فوجدوا أنهم يحكمون شعبا مسلما يطيل الى اخوانه من المسلمين فى مصر والشام فلا يتعاون مع الحكام الوثنيين ضد اخوانه المسلمين فقرر غازان الدخول فى دين الاسلام حين أشار عليه نائبه توزون بذلك فنثر الذهب والفضة على الناس ففرح الناس بذلك كثيرا (٢) وكان ذلك فى عام ٦٩٤ هـ .

فلما كانت سنة ٦٩٩ هـ كان السلطان قد تحرك بعساكره من مصر الى الشام حين بلغه أن التتر قصدوا تلك البلاد فوصل دمشق بعسكره فخرج أهلها لتلقيه رغم الامطار الشديدة والبلل والوحل لشدة فرحتهم بحضور السلطان لحمايتهم من المغول وصدهم عن دخول بلاد الشام (٣) .

---

(١) نرجو مراجعة ملحق الخرائط الخريطة رقم (٤) .
(٢) ابن كثير : البداية والنهاية جـ١٣ ص ٣٤٠ .
(٣) ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة جـ٨ ص ١٢١ .

كان الناس في بلاء عظيم وهم كبير ومحنة شديدة فأخذوا يتضرعون بالدعاء لله سبحانه وتعالى لنصر الاسلام والمسلمين . ومن الطبيعي أنه عند الشدة يلجأ العباد الى الله ، فاشتدت صلتهم به وكثر الدعاء والابتهال والتضرع الى الله سبحانه وتعالى لكشف هذه الغمة بقلوب خاشعة خاضعة متذللة مؤمنة بأن الله قوى عزيز قادر على ان يخزى عدوهم وينصرهم ان أخلصوا النية له وجاهدوا باموالهم وانفسهم في سبيله (١) .

تحرك السلطان الناصر وعساكره من دمشق لملاقاة غازان فوصل بجيوشه الى وادى الخزندار عند وادى سلمية (٢) حيث ظهرت له طوالع التتر الكثيفة بعد أن كان قد أشيع أن غازان عزم على الرجوع عن الشام لمابلغه من كثرة الجيوش الشامية ومسير السلطان من مصر لمساعدتها ضد التتر وكانت هذه مكيدة من غازان لكى يفت في عضد الجيش المسلم (٣) .

أصدر السلطان أوامره للجيش فأمر العساكر برمى الرماح وعدم استخدامها والاعتماد على ضرب السيف والدبوس (٤) ، فامتثل العساكر

---

(١) ابن كثير : البداية والنهاية جـ ١٤ ص ٦ ، ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة جـ ٨ ص ١٢١ .

(٢) سلمية بليده من ناحية البرية من اعمال حماه بينهما مسيرة يومين ياقوت : معجم البلدان جـ ٣ ص ٢٤٠ .

(٣) ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة جـ ٨ ص ١٢١ .

(٤) آلة حربية عرفها محيط المحيط (الدبوس هراوة مد ملكة الراس كالابرة من النحاس في طرفها كتلة صغيرة) . المقريزى : السلوك جـ ١ ق ٣ ص ٨٨٦ حاشية رقم ٢ .

للاوامر ثم تم ترتيبهم في المرج وكان عددهم بضعة وعشرين الف فارس بينما كان عدد التتر نحو مائة الف فارس . كان جيش المسلمين يتألف من ميمنة وميسرة وقلب ، وكان راس الميمنة الامير عيسى بن مهنا امير العرب ومعه سائر العربان ثم يليهم الامير بلبان الطباخي نائب حلب بعسكر حلب وحماة وفي الميسرة وقف الامير بدر الدين بكتاش أمير سلاح ومعه مجموعة من الامراء بعساكرهم بينما وقف في القلب الامير سلار ومعه بقية الامراء بعساكرهم اما مقدمة الجيش فكانت تتألف من ٥٠٠ خمسمائة مملوك من الزراقين .(١)

أما السلطان الناصر فقد كان على بعد من المعركة يراقب سيرها بحيث تصله اخبار المعركة وذلك حتى لا يعرف مكانه فيقصده التتر .

قام ابن تيمية والعلماء والفقهاء بالتجول في المعسكر الاسلامي والالتقاء بالجند لتثبيتهم ولتقوية عزائمهم على الجهاد ذاكرين لهم ما أعده الله لهم من جنان الخلد ان رزقوا الشهادة والعز والتمكين في الارض ان هم انتصروا على التتار الى أن كثر بكاء الجند من كثرة الوعظ وصمموا على الجهاد في سبيل الله (٢) .

---

(١) المقريزي : السلوك ، جـ١ ق ٣ ص ٨٨٦ .
(٢) المصدر السابق ، ص ٨٨٧ .

أمر غازان جيشه بعدم التحرك مهما تكن الاسباب الا اذا رأوه قد تحرك فيتحركون بذلك يدا واحدة مما يؤدى الى اضعاف الجيش المسلم .

تحرك المسلمون لملاقاة التتر فاشعل الزراقون النفط الا ان غازان لم يتحرك لملاقاتهم مما اضطر المسلمين لقطع مسافة طويلة حتى يصلوا اليهم ففترت خيولهم لسرعة العدو وحيث طال عليها المدى (١) كما ان النفط فى ايدى الزرافين خمدت ناره .

هنا تحرك غازان هو وجيشه مستغلا هذه الفرصة وحملوا على المسلمين حملة واحدة بعد ان جعل فى مقدمة جيشه عشرة الاف من المشاة يرمون عساكر المسلمين بالنشاب فاصابوا بها كثيرا من خيول المسلمين حيث سقطت عنها فرسانها فاضطربت ميمنة المسلمين وتكبدت خسائر فادحة نتيجة لرمى النشاب فانهزمت وولى العربان هاربين من المعركة ثم تبعهم جيش حماة وحلب فانتصرت ميسرة غازان على ميمنة المسلمين (٢) .

رأى المسلمون ما حل بالميمنة فقامت الميسرة بشن حملات قوية ومركزة على ميمنة غازان ففرقت شملها وهزمتها عن اخرها وقتلت منها حوالى خمسة الاف جندى او اكثر بينما لم يقتل من المسلمين الا القليل (٣) . ثم عاد

---

(١) ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة جـ٨ ص ١٢٢ .
(٢) المقريزى : السلوك : جـ١ ق ٣ ص ٨٨٧ .
(٣) ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة جـ٨ ص ١٢٢ ، المقريزى : السلوك جـ١ ق ٣ ص ٨٨٧ .

غازان وجمع فلول جيشه وهاجم المسلمين هجوما قويا مركزا ادى لاضطراب صفوفهم وانهزام العسكر الاسلامى الى دمشق (١) ، فأخذ التتر فى تجميع الغنائم ما لا حصر له اذ أن الجيش الاسلامى حين ولى هاربا ترك جميع أثقاله وعدده وسلاحه ملقى على الارض كما ان الجند رموا خوذهم عن رؤوسهم وسلاحهم تخفيفا عن الخيل لكى تنجيهم بانفسهم . ويصور لنا ابن تغرى بردى ارض المعركة بعد فرار المسلمين منها فقال (وتركوا جميع الاثقال ملقاة فبقيت العدد والسلاح والغنائم والاثقال ملأت تلك الاراضى حتى بقيت الرماح فى الطرق كأنها القصب) (٢) .

انتهت المعركة بمقتل كثير من امراء المماليك ونحو الف من الجنود اذ أن غالبية الجيش الاسلامى قد فر من المعركة كما ذكرنا ، أما من المغول فقد قتل منهم نحو اربعة عشر ألفا (٣) .

أما غازان فقد نزل حمص بعد أن كف عن مطاردة جيش المسلمين وغنم مخلفاتهم وكثيرا من الاموال والنفائس السلطانية التى كانت بخزانة حمص بالاضافة الى من وقع بايديهم من الاسرى . وعلى العموم فقد خرج التتر من هذه الموقعة بالغنائم والأرض (٤) .

---

(١) المقريزى : السلوك جـ١ ق ٣ ص ٨٨٧ ، ٨٨٨ ، ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة جـ ٨ ص ١٢٢ .

(٢) ابن تغرى بردى : النجوم جـ٨ ص ١٢٢ .

(٣) المقريزى : السلوك جـ١ ق ٣ ص ٨٨٨ .

(٤) المصدر السابق ص ٨٨٨ : ٨٨٩ .

أسباب انهزام الجيش الاسلامي :

لقد تضافرت عدة اسباب في انهزام المسلمين في هذه الموقعة أهمها :

١ - اشاعة اسلام غازان وجيشه مما جعل كثيرا من عسكر المسلمين يلقي سلاحه ويمسك عن محاربة التتر (١) لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم (اذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار) .

٢ - استهتار المسلمين بالتتر لانهم هزموهم في عدة مواقع سابقة بعد عين جالوت .

٣ - فساد النيات وانضمام بعض الامراء المسلمين الى غازان امثال قبجق وغيره .

حالة البلاد بعد هزيمة المسلمين في وادي الخازندار :

حين بلغ اهل دمشق ما حل بعسكر المسلمين في وادي الخزندار خافوا خوفا شديدا من التتر لما كان قد بلغهم من شدة قسوتهم وتنكيلهم باصحاب البلاد المفتوحة ، فلم يكونوا يتركون لا اخضر ولا يابسا فترك كثير من الناس اموالهم وممتلكاتهم وهربوا نجاة بانفسهم الى مصر والحجاز وكان لهول الموقف ان خرجت النساء سافرات لا يعرفن اين يذهبن مع أطفالهن (٢) .

---

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية جـ ٢٨ ص ٤٣١ .
(٢) ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة جـ ٨ ص ١٢٢ .

فعظم ضجيجهن وبكاؤهن وتزاحمهن مع الرجال على الابواب للخروج فمات الكثير منهم على الابواب (١) .

كان لهذا الوضع المضطرب في البلد أن فقد الحكام القدرة على السيطرة على البلاد فكسر العابثون ابواب السجون وخرج منها المفسدون فعاثوا في الارض فسادا فسرقوا ونهبوا وانتشرت الفوضى في كل مكان حتى اصبح المسلم لا يأمن على نفسه وأهله وماله (٢) . ونحن نلاحظ دوما ان في وقت الازمات والاضطرابات التي تحل بالبلاد تنتشر الفوضى وينعدم الامن ويفقد الحكام القدرة على السيطرة على البلاد .

وكان سبب ذلك هو البعد عن شرع الله حيث ان المسلمين ضعفت صلتهم بالله وضعفت العقيدة الاسلامية في نفوسهم فحل بهم هذا البلاء ، وأخذ كل منهم يكيد للاخر بدلا من اتحادهم ضد عدوهم وصور الخيانة منتشرة بينهم في سبيل الرياسة والوصول اليها مثل انضمام قبجق وبعض الامراء الى صفوف غازان ضد السلطان بمصر ، ومثل تحاسد الامراء المماليك فيما بينهم من اجل الوصول للسلطة حتى في اثناء سير الجيش الاسلامي لمحاربة التتر (٣) .

---

(١) ابن كثير : البداية والنهاية جـ ١٤ ص ٧ ، المقريزى : السلوك ، جـ ١ ق ٣ ص ٨٨٩ .

(٢) ابن كثير : البداية والنهاية جـ ١٤ ص ٧ ، ابن خلدون : العبر ، جـ ٥ ص ٤١٣ .

(٣) المقريزى : السلوك جـ ١ ق ٣ ص ٨٨٣ ، ٨٨٤ .

وصلت الاخبار لاهل دمشق بقرب وصول التتر اليهم فخافوا خوفـــا عظيما وتوقعوا شرا كبيرا فاصبح كل واحد فى شغل شاغل عن صاحبه بل وحتى عن اهل بيته (١) ، الى أن وردهم قصة اسلام غازان المزيف وانه لم يتعـــرض للمسلمين بسوء ولم يتعقب فلولهم المنهزمة ،فاستكانوا واطمأنوا بعد خـــوف وكانت هذه مكيدة من التتر حتى لا تكون هناك امامهم مقاومة من المسلميـــن اذ بالفعل ما ان علم الناس باسلامهم حتى سكنوا وتوقعوا خيرا تحت ظـــل حكمهم فماداموا مسلمين فسيان عندهم ان يبقوا تحت حكم المماليك او المغول بل نجدهم حين راوا نائب قلعة دمشق يتحصن بها ويرفض تسليمها يراسلوه عدة مرات للصلح مع التتر وفتح ابواب القلعة لهم . بل اكثر من ذلك قـــرروا ارسال وفد من كبار علماء ورجال مدينة دمشق لطلب الامان لأهلها (٢) .

ـ دور ابن تيمية فى مجاهدة التتر بعد الموقعة :

تكون على عجل مجلس من كبار العلماء والفقهاء للمسير الى غـازان بطلب الامان فخرج العلماء وكان منهم قاضى القضاة بدرالدين ابن جماعة (٣)

---

(١) ابن خلدون : العبر جـ ٥ ص ٤١٣ ،ابن تغرى بردى : النجـــوم الزاهرة جـ٧ ص ١٢٢ .

(٢) المقريزى : السلوك جـ١ ق ٣ ص ٨٨٨ ، ٨٨٩ ،ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة جـ ٨ ص ١٢٣ . ،ابن خلدون : العبر جـ ٥ ص ٤١٣

(٣) بدرالدين محمد بن ابراهيم بن جماعة الحموى الشافعى ولـــد سنة ٦٣٩ هـ كان اماما عالما مصنفا اخذ النحو عن ابن مالك افتـــى وعرض فتواه على محى الدين النووى فاستحسن ما جاء به ولى قضـــاء القدس والخطابة بها ثم نقل الى قضاء مصر. توفى ٧٣٣هـ . ابـــن تغرى بردى : النجوم الزاهرة جـ٩ ص ٢٩٨ .

والشيخ زين الدين الفارقى (١) والشيخ تقى الدين ابن تيمية وقاضى قضاة الشافعية نجم الدين صصرى (٢) وغيرهم من العلماء والقراء وعند النبك (٣) ، حيث كان غازان معسكرا هناك تمت المقابلة مع العلماء (٤) والقراء وطلب ابن تيمية الامان لاهل دمشق فأعطاه غازان وعدا بالامان بعد ان تكلم معه الشيخ كلاما شديدا موضحا له فيه العدل والاحسان فى المعاملة مستشهدا بذلك بآيات من القران الكريم وأحاديث من سنة الرسول صلى الله عليه وسلم ، مثل قوله تعالى : " اعدلوا هو اقرب للتقوى " (٥)

---

(١) سبق تقديم ترجمته .

(٢) ابوالعباس احمد بن عماد الدين بن محمد بن امين الدين بن هبة الله بن صصرى الشافعى قاضى قضاة الشام ولد سنة ٦٥٥ هـ سمع الحديث وكتب عن القاضى شمس الدين بن خلكان وفيات الاعيان ، وسمعها عليه . تفقه على الشيخ تاج الدين القزازى . توفى سنة ٧٢٣ هـ . ابن كثير : البداية والنهاية جـ ١٤ ص ١٠٦ .

(٣) النبك : قرية بين حمص ودمشق . ياقوت : معجم البلدان ، جـ ٥ ص ٢٥٨ .

(٤) المقريزى : السلوك ، جـ ١ ق ٣ ص ٨٨٩ ، ابن كثير : البداية والنهاية جـ ١٤ ص ٧ ، ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة جـ ٨ ص ١٢٣ .

(٥) سورة المائدة آية ٨ .

وكان الشيخ أثناء كلامه مع غازان يقرب منه ويخاطبه بصوت عال وغازان مصغى اليه بكليته رغم شدة لهجته فيسأل عنه ليتعرف عليه فأخبره المترجم بانه رجل العلم والعمل وكان مما قال ابن تيمية لغازان معترضا على طريقته فى معاملة المسلمين بالشام حيث قال له : ابوك وجدك كانا كافرين ولم يفعلوا ما فعلت فعاهدوا ووفوا وأنت عاهدت وما وفيت وأنت تدعى الاسلام وشهرت سيفك فى وجه المسلمين (١) .

أراد غازان أن تناله بركة دعاء الشيخ ابن تيمية فطلب منه أن يدعى له فأجابه ابن تيمية الى طلبه فقال (اللهم ان كان هذا عبدك محمود انما يقاتل لتكون كلمتك هى العليا وليكون الدين كله لك فانصره وأيده وملكه البلاد والعباد وان كان انما قام رياء وسمعه وطلبا للدنيا ولتكون كلمته هى العليا وليذل الاسلام واهله فأخذله وزلزله ودمره واقطع دابره) (٢) .

ورغم شدة هذا الدعاء الا أن غازان كان يؤمن على دعائه ولم يفعل شيئا للشيخ لان الله سبحانه وتعالى ألقى فى قلبه محبته والهيبة منه ، وما ذلك الا لأن الشيخ قام بعمله لله ولم يخش سواه وبلغ من فرط محبة

---

(١) ابن كثير : البداية والنهاية جـ١٤ ص ٨٩ ، الجليند : الامام ابن تيمية ص ١٩ .

(٢) ابن كثير : البداية والنهاية جـ١٤ ص ٨٩ ، محمد بهجة البيطار : حياة شيخ الاسلام ص ١٣ ، ١٤ .

غازان للشيخ أن عرض عليه أن يعمر له حران بلد آبائه واجداده وأن ينتقل اليها الشيخ وتكون تحت يده الا أن ابن تيمية رفض هذا الموضوع ولم يرغب به عن دمشق[١] ، ثم قام المغول بتقريب طعام الى وفد دمشق فأكل الجميع ما عدا ابن تيمية حيث لم يرض أن يطعمه وحين سأل عن سبب عدم أكله من الطعام قال : كيف آكل من طعامكم وكله مما نهبتم من اغنام الناس وطبختموه بما قطعتم من أشجار الناس[٢] .

حين انتهت مهمة الوفد قرر العودة الى دمشق خاصة وان الله بلغ ابن تيمية ما اراد فحقن دماء المسلمين وخلص كثيرا من الاسرى من يد قازان وردهم الى أهاليهم .

اعترض بعض العلماء المصاحبين لابن تيمية على طريقته فى مخاطبة غازان خوفا من بطش غازان وشعبه وقالوا : كدت تهلكنا معك . فرفضوا مصاحبته فى طريق العودة واختاروا طريقا اخر غير طريقه . فخرج ابن تيمية مع مجموعة من اصحابه فتسامع بعض افراد التتر وبطانتهم به فصحبوه الى أن أوصلوه الى قرب دمشق تبركا بدعائه[٣] وقال الشيخ البالسى[٤] وكان

---

(١) البزار : الاعلام العلية ص ٦٥ .
(٢) ابن كثير: البداية والنهاية جـ١٤ ص ٨٩ .
(٣) المصدر السابق ص ٨٩ .
(٤) الشيخ الصالح العابد الناسك ابوعبدالله محمد بن عمر بن ابى بكر البالسى ولد سنة ٦٥٠ هـ كان شيخا جليلا كثير الوقار عليه سيما العبادة والخير توفى سنة ٧١٨ هـ . ابن كثير: البداية والنهاية جـ١٤ ص ٨٩-٩٠ .

من ضمن الوفد : (والله ماوصل الى دمشق الا فى نحو ثلثمائة فارس فى ركابه . . . اما اولئك الذين أبوا ان يصحبوه فقد خرج عليهم جماعة من التتر فشلحوهم عن آخرهم(١) . وكان هذا من نعم الله تعالى على ابن تيمية لانه نصر دينه ولم يخشى غازان ولم يداهنه ليصل الى ما يريد . وقد كان يقول رحمه الله (لا يخشى رجل غيرالله الا لمرض فى قلبه) .

فطبق هذا القول على نفسه ولم يخش الا الله سبحانه وتعالى فكان مثال العالم العامل الذى يشعر ان الله مراقبه فى قوله وعمله كيف لا وهو أعرف الناس بقول سيد الخلق : " ليس الايمان بالتحلى ولا بالتمنى ولكن ماوقر فى القلب وصدقه العمل " او كما قال .

بعد انتصار التتر فى موقعة وادى الخزندار وفرار الجيش الاسلامى من أمامه أكمل الجيش المصرى الفرار الى ان عاد الى بلاده وتركوا بلاد الشام بدون مقاومة فخضعت لنفوذ التتر فأصدر غازان اوامره بتعيين قبجق نائبا عنه فى بلاد الشام بعد ان اصدر فرمان الامان لهم حيث قرئ على الناس يوم الجمعة(٢) وقام قبجق بنثر الذهب والفضة على الناس لكى يكسبهم اليه والى التتر ففرح الناس بذلك كثيرا وتوقعوا من فترة حكمه خيرا كثيرا (٣) .

---

(١) ابن كثير : البداية والنهاية جـ١٤ ص ٩٠ .

(٢) المقريزى : السلوك جـ١ ق ٣ ص ٨٩٠-٨٩١ ، ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة جـ٨ ص ١٢٥ .

(٣) ابن كثير : البداية والنهاية جـ١٤ ص ٧ ، المقريزى : السلوك جـ١ ق ٣ ص ٨٩١ .

لم يف غازان بوعده بتأمين اهل دمشق اذ نجده ثانى يوم المناداة بالامان قام التتر بالاستيلاء على الخيول والاموال والاسلحة المخبأة عندهم بل قام جيشه باشاعة الفوضى والاضطراب خارج دمشق قتل على اثرها جماعة من المسلمين . (١)

هنا أخذ ابن تيمية يفكر مليا فى امر غازان وقصة اسلامه وهذه الافاعيل التى تصدر من جيشه خرج منها بكون ذلك مكيدة من غازان لكى يخمد صوت المقاومة الاسلامية التى يمكن ان تقوم فى وجهه فأراد ابن تيمية أن يتدارك الموقف قبل استفحاله فسارع وارسل الى ارجواش(٢) نائب قلعة دمشق حيث كان قد تحصن بها بأن لا يسلمها لهم وان يستميت فى الدفاع عنها ولو لم يبق فيها الا حجر واحد (٣) .

بعد أن استتب الامر لقبجق فى دمشق أرسل الى ارجواش يطلب منه التسليم فرفض ارجواش طلبه فارسل اليه مجموعة من اعيان دمشق لكى يؤثروا عليه ليغيروا موقفه الا انه كان مصرا على عدم التسليم وكان ابن تيمية

---

(١) ابن خلدون : العبر جـ ٥ ص ٤١٤ ، المقريزى : السلوك جـ١ ق ٣ ص ٨٩٠ .

(٢) علم الدين ارجواش بن عبد الله المنصورى نائب قلعة دمشق كان ذا همة عالية وهيبة وشهامة قدر الله على يديه حفظ معقل المسلمين أثناء غزو التتر للشام توفى سنة ٧٠١ هـ . ودفن بسفح قاسيون رحمه الله . ابن كثير : البداية والنهاية جـ١٤ ص ٢٠ .

(٣) ابن كثير : البداية والنهاية جـ١٤ ص ٧ ، الجليند : الامام ابن تيمية ص ١٩ .

يشجعه على الثبات مما يدلنا على بعد نظر ابن تيمية وحنكته الحربية لان الاستبسال فى الدفاع عن القلعة سيكون له أثر كبير فيما بعد لاسترداد بقية بلاد الشام من يد التتر ، بل نجده يقوم مع ارجواش بتحصين الدروب ، والاسوار ووضع المقاتلة فيها تحسبا لاى هجوم على القلعة من قبل التتر(١) .

واصل التتر نقض الفرمان الذى أصدره غازان بتأمين الناس فى أرواحهم واموالهم وممتلكاتهم فقاموا بالسلب والنهب والتعرض للمسلمين فنهبوا الصالحية(٢) وعددا من المساجد وأنزلوا فى الناس النكبات قتلا وتشريدا وسلبا ونهبا (٣) فهرب كثير منهم الى رباط الحنابلة من شدة الخوف ، فتبعهم التتر وحاصروا الرباط ، ثم اقتحموه وسبوا كثيرا من الناس وبنات المشائخ وأولادهم ، وأصيب الناس بأذى كثير على يد التتر ، ابتداء بالانفس والاموال وانتهاء بالمساكن والكتب حيث سرقوا الكتب وبيعت رغم انه مكتوب عليها الوقفية ، وبلغ عدد القتلى من الصالحية وحدها اربعمائة وعدد الاسرى حوالى أربعة آلاف(٤) .

---

(١) ابن كثير : البداية والنهاية جـ١٤ ص ٧ ، ٨ .
(٢) قرية كبيرة ذات اسواق وجامع فى غوطة دمشق فيها قبور جماعة من الصالحين . ياقوت : معجم البلدان جـ٣ ص ٣٩٠ ، وقد سبق تعريفها .
(٣) ابن خلدون : العبر جـ٥ ص ٤١٤ .
(٤) المقريزى : السلوك جـ١ ق ٣ ص ٨٩٢ ، ابن كثير : البداية والنهاية جـ ١٤ ص ٨ .

كان يساعد التتر فى أفعالهم القبيحة هذه ضد المسلمين صاحب سيس والكرج والارمن من النصارى فقد استغلوا هذه الفرصة ليكيدوا للمسلمين وينفسوا عن أنفسهم فى عداوتهم للمسلمين فنال أهل الشام منهم أذى كثير (١) .

لم يكتف التتر ومن والاهم بالصالحية ورباط الحنابلة بل امتد أذاهم وخطرهم الى مناطق اخرى مثل المزة (٢) ،وقد نالها ما نال الصالحية ثم توجهوا بعد ذلك الى داريا (٣) فأسرع الناس الى الجامع فتحصنوا داخله حتى لا ينالهم التتر بأذى وهم يظنون بأنهم سيكونون بمأمن منهم ، الا أن التتر لم يراعوا حرمة بيوت الله رغم ادعائهم الاسلام فاقتحموا المسجد وقتلوا كثيرا من الناس داخله وسبوا كثيرا من النساء والاولاد . فانا لله وانا اليه راجعون (٤) .

---

(١) ابن كثير : البداية والنهاية جـ ١٤ ص ٨ . ابن عبد الهادى : العقود الدرية ص ١٧٣ .

(٢) المزة قرية كبيرة غناء فى وسط بساتين دمشق بينها وبين دمشق نصف فرسخ (ياقوت : المعجم جـ ٤ ص ١٢٢) .

(٣) داريا قرية كبيرة مشهورة من قرى دمشق الغوطة ينسب اليها كثيرين . ياقوت : المعجم جـ ٢ ص ٤٣١ .

(٤) ابن كثير : البداية والنهاية جـ ١٤ ص ٨ .

ما ان سمع ابن تيمية بأفعال التتر وما أصاب الناس منهم حتى زاد يقينه بعدم صحة اسلامهم لان المسلم لا يعامل اخاه المسلم بهذه المعاملة العدائية فتوجه مرة أخرى لمقابلة غازان والتحدث اليه بما يفعله جنده بالشام ومعرفة ما اذا كان يقر هذا العمل أم لا ، فخرج بالفعل لمقابلة غازان ومكث يومين فى معسكر غازان لمقابلته الا انه لم يتمكن من ذلك لان وزيريه سعد الدين والرشيد المسلمانى حجبوه عنه متعللين بكثرة انشغاله ووعداه بأنهما سيخبراه بطلب ابن تيمية بوقف هذه الاعمال العدائية التى عللوها بأن كثيرا من التتر لم يحصل على أموال وسبايا لذلك يفعلون هذه الافاعيل (١) بأهل دمشق وتناسى الوزيران ، انه لو كان التتر مسلمين حقا لما كان همهم الخروج بسبايا واموال المسلمين فالرسول صلى الله عليه وسلم يقول (كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه) أو كما قال .

بعد أن التهم التتر المناطق المحيطة بدمشق جاء دورها لتذوق ألوان العذاب على ايديهم فقرر بعض أهل دمشق الفرار الى خارج البلاد الا أن التتر لم يمهلوهم اذ أسرعوا بدخول البلد وأعملوا فيها السيف فقتل الكثيرون كما قاموا بسلب ونهب المدينة وحصلوا على اكثر من عشرة الاف فرس

---

(١) ابن كثير: البداية والنهاية جـ١٤ ص ٨ . المقريزى : السلوك ، جـ١ ق ٣ ص ٨٩٢ .
والرشيد المسلمانى كان اصله عطار يهودى تقدم بالطب وكانت له منزلة كبيرة عند غازان وحصل على اموال واملاك كثيرة ثم تقلبت به الاحوال فى عهد ابى سعيد سلطان المغول فاستولى على امواله وحواصله وقتل فى سنة ٧١٨هـ هو وابنه ابراهيم . ابن كثير: البداية والنهاية جـ١٤ ص ١٥٢ .

ثم فرضوا على أهل الاسواق والتجار اموالا كثيرة يقدمونها لهم [١] .

تقدم التتر بعد ذلك لمحاصرة قلعة دمشق فنصبوا لها عدة مجانيق وبالغوا فى حصارها فقام نائب القلعة ارجواش بالدفاع عنها وابن تيمية يشد من أزره ويعينه فى هذا العمل العظيم فأحرق كثيرا من المساكن المحيطة بالقلعة حتى لا يستغلها التتر لضرب القلعة والاستتار بها [٢] وذلك لجعل المنطقة المحيطة بالقلعة منطقة مكشوفة مما يسهل عليهم رؤية تحرك التتار.

قام أرجواش بخطوة جريئة فحين لاحظ انشغال التتر بتوديع قطلوا شاه نائب قازان أسرع بارسال مجموعة من المسلمين عطلوا عمل المجانيق [٣] وصحبوا معهم بعض المسلمين الذين كانوا مغلوبين على أمرهم لدى التتر ثم عادوا سريعا الى القلعة سالمين [٤] .

حين بلغ غازان أفعال جنده بالشام خاف من التعدى على بيوت الله فأرسل اليهم يأمرهم بترك الجوامع وصيانتها مع أوقافها لا يمسها

---

(١) ابن كثير : البداية والنهاية جـ١٤ ص ٨ . المقريزى : السلوك ، جـ١ ق ٣ ص ٨٩٢-٨٩٤ .

(٢) ابن كثير: البداية والنهاية جـ١٤ ص ٩ ، المقريزى : السلوك جـ١ ق ٣ ص ٨٩٣ ، ابن خلدون : العبر جـ٥ ص ٤١٤ .

(٣) ابن خلدون : العبر جـ٥ ص ٤١٤ ، المقريزى : السلوك جـ ١ ، ق ٣ ص ٩٠٠ .

(٤) ابن كثير: البداية والنهاية جـ١٤ ص ٩٠ .

أحد ، أما ماعدا ذلك فلم يتعرض لهم غازان فيها بل تركهم يفعلون مايشاؤون ثم أكمل مسيره للعراق بعد أن ترك نوابه على بلاد الشام وفي نيته أن يعود اليها ليكمل فتح بقية البلاد والوصول الى مصر[(١)] .

بعد رحيل غازان وجنده انفسرد قبجق بأمر البلاد فعين الامراء في الولايات وأساء السيرة في البلاد فقد أشاع المنكرات من خمارات ومواضع الزنا وغيره مما لا يقره الشرع فضمن هذه المنكرات وفرض عليهم دفع اموال له تقدر بألف درهم في اليوم لقاء هذه الاعمال وفي المقابل سلب الكثير من الاوقاف والمدارس[(٢)] ، وهنا نتساءل كيف يريد المسلمون الانتصار على عدوهم وهذه المنكرات والموبقات في البلاد ؟ .

لاقى أهل دمشق الامرين من قبجق وحين بدأوا يتنفسون الصعداء بزوال كابوس التتر عنهم مالبث ان عاد اليهم مرة اخرى ، بزعامة بولاى حيث قاموا بسلب الاموال وسبي النساء والاطفال وتخريب البلاد ونشر الفساد ، فساءت الاحوال أكثر من الاول واضطربت امور البلاد وانتشر الغلاء حتى قال أحدهم :

---

(١) ابن كثير : البداية والنهاية جـ ١٤ ص ٩٠

(٢) المصدر السابق ص ٩ ، ١٠ ، المقريزى : السلوك جـ ١ ق ٣ ص ٨٩٦ .

رمتنا صروف الدهر حقا بسبعة ... فما أحد منا من السبع سالم
غلاء وغازان وغزو وغارة ... وغدر واغبان وغم ملازم(١)

لم يجد ابن تيمية بدا من وقف أعمال التتر هذه ضد مسلمي الشام ورفع هذا البلاء الا بالذهاب الى بولاى ومقابلته والتحدث معه بافعال التتر هذه فذهب اليه واقام عنده ثلاثة ايام استطاع فيها رحمه الله ان يستنقذ كثيرا من اسرى المسلمين بل ومن الذميين الذين كان بولاى قد سباهم وكان هذا من كريم خصال ابن تيمية ، فان بطش بولاى وقوته لم ترهبه كعادته في قول الحق وعدم الخوف من اى كان سوى الله سبحانه وتعالى (٢) .

لم يقف ارجواش والمسلمون في القلعة موقف المتفرج ازاء انتهاكات التتر التي مارسوها ضد المسلمين فقد خرجوا من القلعة واغاروا على التتر والحقوا بهم الهزيمة ونكلوا بهم فقتلوا البعض وسبوا اخرين ثم عادوا الى القلعة سالمين ولله الحمد (٣) .

بعد انهزام التتر امام ارجواش بلغهم نبأ خروج العسكر المصري لمحاربتهم واستنقاذ البلاد منهم فرأى التتر ان يعودوا ادراجهم الى بلادهم مكتفين بما غنموه من البلاد وتركوا البلاد لامر قبجق الذى خرج بعد ذلك مع جماعة من كبار رؤساء واعيان دمشق لاستقبال الجيش المصري (٤) .

---

(١) ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة جـ٨ ص ١٢٦ ، المقريزى : السلوك جـ١ ق ٣ ص ٨٩٤ .

(٢) ابن كثير : البداية والنهاية جـ١٤ ص ١٠ ، المقريزى : السلوك جـ١ ق٣ ص ٨٩٦ ، ابن خلدون : العبر جـ٥ ص ٤١٤ .

(٣) ابن كثير : البداية والنهاية جـ١٤ ص ٩ ، ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة جـ٨ ص ١٢٧ ــ ١٢٨ .

(٤) ابن كثير : البداية والنهاية جـ١٤ ص ١١ ، ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة جـ ٨ ص ١٢٩ .

حين رأى ارجواش خلو البلد قام بحركة سريعة فسيطر على دمشق وخطب فيها للسلطان الناصر بعد أن كان يخطب فيها لغازان مائة يوم[١].

قام ارجواش ومعه ابن تيمية وأصحابه بحفظ الاسوار وأخرج ماعند الناس من أسلحة لاستخدامها فى الدفاع عن البلد وأصدر ارجواش أوامره بأن على كل من يستطيع حمل السلاح ألا يبيت الا على السور[٢] وبلغ من تشدده فى تنفيذ هذا الامر أن أصدر أوامره بأن من لا يفعل ذلك يشنق، وذلك لحث الناس على الجهاد ثم قام ابن تيمية يحث الناس على القتال والجهاد فأخذ يدور عليهم فى الاسوار لتثبيتهم مذكرا اياهم بوعد الله لهم بالنصر ويتلو عليهم آيات الجهاد والرباط فى سبيل الله[٣] مثل قوله تعالى : " أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وأن الله على نصرهم لقدير "[٤] وقوله تعالى :" وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم "[٥] الاية . وفى الحديث : " رباط يوم فى سبيل الله خير من الف يوم فيما سواه من

---

(١) ابن كثير : البداية والنهاية جـ٤ ص ١١ ، المقريزى : السلوك ، جـ ١ ق ٣ ص ٩٠٠ .

(٢) ابن كثير : البداية والنهاية جـ١٤ ص ١١ .

(٣) ابن كثير : البداية والنهاية جـ ١٤ ص ١١ .

(٤) سورة الحج : الاية ٣٩ .

(٥) سورة البقرة : الاية ١٩٠ .

المنازل "(١) . وقال عليه السلام عينان لا تمسهما النار عين بكت من خشية الله وعين باتت تحرس في سبيل الله "(٢) ، مما كان له أثر كبير في رفع معنويات المسلمين وتثبيتهم ، فقد كان ابن تيمية رحمه الله مثال العالم العامل فكان قدوة صالحة ، فلم يكن يدور عليهم في الليل ويحثهم على السهر لحماية البلد ثم يعود الى فراشه لينام بل كان يتنقل بينهم ويعمل معهم كالأم الرؤوم مما كان له اطيب الاثر في نفوسهم حيث ساعدهم على الثبات جهادا في سبيل الله وحفظا للبلد ولا رواحهم واموالهم(٣) .

بعد أن أخضع ارجواش البلد دار ابن تيمية مع مجموعة من أصحابه لا زالة المنكرات عن البلد فدخلوا الخمارات والحانات فكسروا أواني الخمور وأراقوها وازالوا آثار الفواحش من الحانات وعزروا اهلها فاستبشر الناس بهذا العمل وفرحوا كثيرا مما يدلنا ان الاسلام مازال يعمر القلوب التي أساءتها اشاعة المنكرات بينهم(٤) .

أرسل السلطان الناصر عدة رسائل لقبجق ومن معه يدعوه فيها للرجوع للطاعة فاجابه لما اراد فانضموا الى السلطان حيث قابلهم وعاتبهم عتابا رقيقا ثم أنعم عليهم بالخلع والاموال (٥) فكان ذلك بداية حياة

---

(١) السنن .
(٢) رواه الترمذي وقال حديث حسن .
(٣) ابن كثير : البداية والنهاية جـ١٤ ص ١١ .
(٤) المصدر السابق ص ١١ ، المقريزي : السلوك جـ١ ق ٣ ص٩٠٠ .
(٥) المقريزي : السلوك جـ١ ق ٣ ص٩٠٣ . ابن خلدون : العبر ص٤١٥ .

جديدة في حياة الامة الاسلامية في ذلك الوقت لتوحيد الجبهات ضد العدو المشترك .

- غزوة الجرد والروافض :

بعد أن استتب الامر في دمشق للسلطان الناصر قام نائب السلطنة بالشام جمال الدين آقوش الافرم بتجهيز جيش لمحاربة اهل جبال الجرد وكسروان (١) وكان الذي دفعه الى ذلك هو الشيخ ابن تيمية فقد كان رحمه الله قد لاحظ ان اهل هذه الجبال كانوا يعينون التتر على المسلمين (٢) وكانوا يعارضون من يمر بهم من عسكر المسلمين فحرك عزمات المسلمين لمحاربة هؤلاء وأعلن انهم بغاة خارجون على الامام وأن هذه الغزوة ستكون جهادا في سبيل الله فالتف حوله المسلمون وخرج معه أصحابه واتجه العسكر الاسلامي الى جبال الجرد وكسروان وحاصروا الجبل وكان منيعا صعب المرتقى فزحفوا اليه صفا فكثر عليهم رمي النبال وجرح كثير منهم وكان ابن تيمية يشاركهم ويثبتهم ثم غير الجيش الاسلامي خطة حربه بان افترق العسكر عدة فرق من كل جهة لتشتيت عزيمة وانتباه أهل الجبال التتر وقاتلوهم ستة ايام اظهر فيها ابن تيمية من ضروب الشجاعة والثبات

---

(١) قوم بغاة خرجوا على الامام واخافوا المسلمين وعارضوا الجيش المار بهم بكل سوء وهم من الدروز وقد سبق التعريف بهم .

(٢) ابن تيمية : منهاج السنة النبوية ص ٥ .

مايعجز عنه الابطال اذ اشترك مشاركة فعالة فى مقاتلة هؤلاء الروافض فلم يثبتوا له فبعد ستة ايام قتل فيها كثير منهم طلبوا الامان فكف المسلمون عن قتالهم وطالبوهم بما نهبوه من العسكر الاسلامى أثناء فراره من التتر فاحضروا كثيرا من المال والسلاح والخيول ثم حضر مشائخهم الى الشيخ ابن تيمية فاستتابهم وبين لهم فساد عقائدهم وانها خارجة عن طريق الاسلام الصحيح وكان ذلك خيرا كبيرا نال الامة الاسلامية من الله ثم على يد ابن تيمية (١) .

• • •

---

(١) ابن كثير : البداية والنهاية جـ١٤ ص ١٢ ، ابن الوردى : تتمة المختصر جـ٢ ص ٣٥٤ ، المقريزى : السلوك جـ١ ق ٣ ص ٨٩٦ ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة جـ٨ ص ١٢٩ .

الفصل الرابع

دور ابن تيمية القيادي في مجاهدة التتار ثم سجنه ووفاته

- دور ابن تيمية في موقعة تل شقحب
- سجن ابن تيمية الوقائي والتأديبي
- وفاته

دور ابن تيمية في موقعة تل شقحب

موقعة تل شقحب

أوائل موقعة تل شقحب :

عزم التتر على معاودة الكرة بالهجوم على الشام والوصول الى مصر ، فتخاذل كثير من الناس عن مدافعتهم ورغب أكثرهم بالفرار بنفسه وأهله فاضطربت أحوال البلاد وانتشر الغلاء وبذل الناس أموالا طائلة فى سبيل الفرار من الشام مما دفع ابن تيمية للوقوف فى وجه هذا التيار الجارف فكثف من دروس الجهاد ورغب فى الدفاع عن الاسلام والمسلمين وبذل الأموال فى الدفاع عن الاسلام وفى الاستعداد للجهاد وتجهيز جيش المسلمين بدلا من الهرب الى خارج البلاد (١) .

واصل ابن تيمية بذل قواه فى النفير العام فخرج الى جيش الشام المرابط فى المرج فقوى من عزيمتهم فى مجاهدة التتر وحثهم على الصبر وبشرهم بالنصر والظفر على الأعداء حتما فى هذه الكرة(٢) مستشهدا بآيات قرآنية مثل : " ومن عاقب بمثل ماعوقب به ثم بغى عليه لينصرنه الله" (٣) الاية . ثم أكمل مسيرته الى الجيوش الاسلامية فى حماه حيث دار على الجند ورفع من حالتهم المعنوية وثبتهم وقوى من جأشهم واعدا اياهم بالنصر لانهم على حق والتتر على باطل (٤) وكان المسلمون قد ملوا فى انتظار التتر واضطربت

---

(١) ابن كثير : البداية والنهاية جـ١٤ ص ١٤ .
(٢) المرجع السابق ص ٢٣ .
(٣) سورة الحج آية ٦٠ .
(٤) ابن كثير: البداية والنهاية ، جـ ١٤ ص ١٥ .

أحوالهم لكثرة الثلوج والامطار العظيمة وأخذ اليأس يتسرب اليهم فشكوا همهم الى ابن تيمية فكان عند حسن ظنهم فثبتهم وبين لهم أن هذا الامر خير لهم . " وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى ان تحبوا شيئا وهو شر لكم "(١) . وأن لله في ذلك حكمة بالغة مذكرا اياهم بما حدث أيام رسول الله صلى الله عليه وسلم(٢) في غزوة الخندق حين تألب عليه المشركون فسلط الله عليهم الرياح الشديدة الباردة وفرق بين قلوبهم وشتت شملهم(٣) فكذلك الحال الآن حين سلط الله الثلوج والامطار والبرد الشديد والريح العاصف والجوع المزعج على التتر فكان سببا لانهزامهم واهلاك معظم جندهم وفرارهم من الشام (٤) (ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا وكفى الله المؤمنين القتال وكان الله قويا عزيزا) (٥) .

كان لشخصية ابن تيمية الفذة وقدرته على استنفار الهمم ودفعها للجهاد أن انتدبه نائب الشام جمال الدين الافرم وبقية أمراء الجيش الاسلامي لاستنفار أهل مصر للجهاد وحث السلطان على مساعدة أهل الشام فرحل من يومه وجد في المسير حتى وصل الى السلطان واستحثه على تجهيز العساكر لنصرة مسلمي الشام وكلمه بلهجة شديدة حين رأى تقاعسهم

---

(١) سورة البقرة آية ٢١٦ .
(٢) ابن هشام : السيرة النبوية جـ٢ ص ٢٣٢ .
(٣) ابن عبد الهادي العقود الدرية ص ١٧٠ ، المقريزي : السلوك جـ ١ ق ٣ ص ٩٠٩ .
(٤) مجموع فتاوى ابن تيمية جـ ٢٨ ص ٤٤٥ .
(٥) سورة الاحزاب : آية ٢٥ .

وتخاذلهم عن المسير ولم يخش أميرا ولا سلطانا في قول الحق ، فأنكر عليهم أخذهم أموال الشام والاستفادة منه ومن خيراته في وقت السلم وفي وقت الحرب يتخلون عنه ويخذلونه ثم أخذ يبين لهم أنهم ولو لم يكونوا سلاطين الشام ، وحكامه وطلب منهم أهل الشام النصر لوجب عليهم نصرتهم فكيف وهم حكامه وسلاطينه ؟ (١) ، مستشهدا بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : " كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته " . ومازال في امثال هذا الكلام حتى شحذ الهمم واستثار حماسهم الديني فنادى السلطان بتجهيز العساكر والمسير الى الشام لطرد التتر منها . وفي حينها وصل الخبر اليهم بعودة غازان عن البلاد وهلاك معظم جنده (٢) ، فيعلل ابن تيمية انصراف التتر هذا عن الشام فيقول : (لما ثبت الله قلوب المسلمين صرف العدو جزاء منه وبيانا أن النية الخالصة والهمة الصادقة ينصر الله بها وان لم يقع الفعل وان تباعدت الديار) (٣) ، فحين صدق المسلمون في جهادهم وعزموا على رفع راية الاسلام صرف الله عنهم عدوهم .

حين رجع غازان عن الشام بعد موت أكثر جنده رغب في أن يعيد ماء وجهه ورد اعتباره فأرسل رسالة الى سلطان مصر يتهدده فيها ويتوعده ان لم يبادر بطلب الصلح (٤) مما أدى الى رفض السلطان الناصر لصلح يتم

---

(١) ابن كثير : البداية والنهاية جـ١٤ ص ١٥ ، الجلنيد : الامام ابن تيمية ص ١٩ .

(٢) ابن كثير : البداية والنهاية جـ١٤ ص ١٦ .

(٣) مجموع فتاوى ابن تيمية جـ٢٨ ص ٤٦٣ ، ابن عبد الهادي : العقود الدرية ص ١٧١ .

(٤) المقريزي : السلوك جـ١ ق ٣ ص ١٠١٥-١٠١٨ ، القلقشندي : صبح الأعشى جـ٨ ص ٦٩-٧١ .

بهذه الطريقة فأجابه على رسالته بأشد منها (١) ، وأخذ يستعد ليوم المعركة الفاصلة الذى أوشك أن تبدأ تباشيره فأعلن النفير العام فى جميع أرجاء المملكة الاسلامية حيث كانت هناك مهمة جليلة تنتظر ابن تيمية ليكمل طريقه الذى بدأه فى سبيل الدفاع عن الاسلام والمسلمين ورفع راية الجهاد عالية ضد من يريد ذل الاسلام والمسلمين .

ذكرنا من قبل فرار كثير من أهل الشام خوفا من التتر وتدارك ابن تيمية للوضع وحث الناس على الثبات ومنعهم عن الرحيل وأمرهم ببذل الأموال والأنفس فى سبيل الدفاع عن البلاد (٢) فبعد هدوء الاحوال نسبيا أخذ ابن تيمية يكثف جهوده ويزيد من نشاطه فى مجالسه ودروسه فى ثواب الجهاد وما أعده الله للمجاهدين من أجر وثواب عظيمين كذلك بين لهم ولمن سبق لهم الفرار عن البلاد أن رحمة الله واسعة لمن أراد الاستغفار والتوبة اذا صدقوا العزم والنية فى هذه المرة لنصرة الاسلام ومجاهدة العدو فباب التوبة مفتوح لمن اراده (٣) وقد فتح الله بابا من قبل المغرب عرضه أربعون سنة لا يغلقه حتى تطلع الشمس من قبله . فالتف الناس حول ابن تيمية وأخذوا فى الاستعداد وقد قويت نفوسهم ونياتهم لقتال التتر وتعاهد

---

(١) المقريزى : السلوك جـ ١ ق ٣ ص ١٠١٨ — ١٠٢٣ ، القلقشندى : صبح الأعشى جـ ٧ ص ٢٤٣ — ٢٥٠ .

(٢) ابن كثير : البداية والنهاية جـ ١٤ ص ١٤ .

(٣) ابن عبد الهادى : العقود الدرية ص ١٦٩ .

الامراء والعامة على الثبات والمدافعة حتى الموت[١] ، علم ابن تيمية مدى تأثير الراحة النفسية للجيش الاسلامي ، فخرج لجيش حماة المرابط في المرج لتقوية نفوسهم واعلامهم بما اتفق عليه أهل الشام من نجدتهم ومعاونتهم وبشرهم وبين لهم ابن تيمية أنهم منصورون هذه المرة لا محالة فكان يقول له الامراء قل ان شاء الله ، فيقول : " ان شاء الله تحقيقا لا تعليقا "[٢].

سار قازان بجيوشه وعبر الفرات واراد محاصرة الرحبة والاستيلاء عليها فجرت بينه وبين صاحبها مفاوضات[٣] انتهت بعودة قازان الى العراق بعد ترك جيش قوامه ثمانون الف مقاتل بقيادة نائبه على الشام فطلوشاه كما قام بمراسلة نائب دمشق يطلب منه الدخول في طاعته ، وكانت خطة من غازان ليضرب المسلمين بعضهم ببعض الا أنه فشل في ذلك فلم يجبه النائب لما يريد[٤].

بدأت المناوشات بين التتر والعسكر الشامي حين بعث فطلو شاه طائفة من عسكره بلغت حوالي اربعة آلاف مقاتل ليستطلع بها مدى قوة جيش المسلمين ، فتصدى لهم عسكر حماة وأنزلوا بهم هزيمة ساحقة وغنموا منهم

---

(١) ابن كثير : البداية والنهاية جـ١٤ ص ٢٣ .

(٢) المصدر السابق ، ص ٢٣ .

(٣) حيث لاطفه نائبها الامير علم الدين سنجر الغنمي وقال له : هذا المكان قريب المأخذ والملك يقصد المدن الكبار فلا نمتنع عليك ان ملكت البلاد . المقريزي : السلوك جـ١ ق ٣ ص ٩٣٠ .

(٤) المقريزي : السلوك جـ١ ق٣ ص ٩٣٠ ، ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة جـ٨ ص ١٥٧ .

بعض الأسرى فكان ذلك بداية خير للمعسكر الاسلامى[١] .

حين عاد التتر المنهزمون الى قائدهم استطلع منهم عن أحـوال المعسكر الاسلامى فأخبروه عن تخلف عسكر مصر ، فأراد قطلو شاه أن يستغل الفرصة ويعجل بضرب عسكر الشام قبل وصول اى امدادات مصرية لهم[٢] .

لم يجد عسكر الشام بدا من التصدى لمعسكر المغول حيث أن انتظار وصول السلطان من مصر قد يؤدى الى هزيمة جديدة من التتر لذلك بـادروا بالتحرك لملاقاة التتر [٣] وفى نفس الوقت انتدبوا الشيخ ابن تيمية للسير مرة أخرى ليحث السلطان الناصر على الاسراع الى الشام واعلامه بحالة البـلاد فكان ابن تيمية عند حسن ظن عسكر الشام فأسرع بالمسير الى مصر ولم يلتفـت لمن اتهمه بالفرار من المعركة لكى لا يضيع الوقت[٤] وأكمل مسيره الى أن وصـل الى السلطان بعد أن كاد السلطان ان يرجع الى مصر بجيشه فجيش مصـر لم يكن يريد الاشتباك مرة اخرى مع جيش التتر المسلم بعد ان بث فيه دعـاة الهزيمة عدم مشروعية محاربتهم فهم ليسوا بغاة على الامام تجب محاربتهم فانبرى لهم ابن تيمية يبين لهم أنهم خوارج تجب محاربتهم وبين لهم أفعال التـتر

---

(١) المقريزى : السلوك جـ١ ق ٣ ص ٩٣١ ، ابن تغرى بردى : النجـوم الزاهرة جـ ٨ ص ١٥٨ .

(٢) المقريزى : السلوك جـ١ ق ٣ ص ٩٣١ .

(٣) ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة جـ٨ ص ١٥٨ .

(٤) ابن كثير : البداية والنهاية جـ١٤ ص ٢٤ .

بأهالى الشام ما يوجب تكفيرهم [١] . ومازال معهم يحثهم ويحدثهم طويلا الى أن استثار هممهم وتكللت مهمته بالنجاح فسار السلطان ومعه الخليفة الى جبهة الشام وطلب من الشيخ أن يلازمه فى المعركة الا أن الشيخ كعادته فى اتباع السنة لم يرد الا الوقوف تحت راية قومه فقال له (السنة أن يقف الرجل تحت راية قومه ونحن من جيش الشام لا نقف الا معهم) [٢] ثم جد بالسير الى أن لحق بجند الشام ووصل أرض المعركة قبل السلطان ليعلمهم بحضوره .

- سير المعركة : (*)

كان التوقيت الربانى لهذه المعركة فى رمضان ٧٠٢ هـ يحمله القدر لحكمة عرفها المسلمون حين ظهرت نفحات رمضان فى بدر فى السنة الثانية للهجرة وفى فتح مكة على مصراعيها ، والقضاء على آخر مقاومة لقريش فى رمضان فى السنة الثامنة ثم فى غزوة تبوك حيث حقق الله وعده لرسوله حيث اهتز كيان دولة الروم فى رمضان سنة ٩ هـ [٣] .

وفى هذه السنة كانت هذه الموقعة الحاسمة التى عرف فيها المسلمون أن الله سينصرهم على عدوهم كما تعودوا ذلك منه فدخلوا المعركة بقلوب واثقة

---

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية جـ٢٨ ص ٥٠٩ — ٥٤٣ .
(٢) ابن كثير : البداية والنهاية جـ١٤ ص ٢٦ ، عبد السلام حافظ : ابن تيمية ص ٢٧ .
(٣) نقلا عن مقالة د . ابرهيم شموط : مجلة الوعى الاسلامى ص ٢٣ .
(*) نرجو مراجعة ملحق الخرائط شكل رقم (٥) .

بالنصر الالهى الذى وعدهم به ابن تيمية فحين التقوا بمعسكر التتر فى مرج الصفر[(١)] قاتلوهم قتالا شديدا ألحقوا بقطلو شاه هزيمة منكرة لولا أن تداركه بولاى بنجدة استطاع بها أن يسترد أنفاسه [(٢)] ويجمع فلوله ويضرب ميمنة جيش المسلمين فانهزمت وقتل كثير من الامراء وولى الجند منهزمين [(٣)] فضج الناس بالدعاء والبكاء والتضرع الى العزيز القوى لنصر الاسلام والمسلمين [(٤)] ، حينها وصل السلطان الناصر بعساكره وأمر بتقييد فرسه حتى لا يهرب من المعركة وبايع الله سبحانه وتعالى على بذل روحه فى سبيل الله ومعه الخليفة العباسى [(٥)] وأخذ الخليفة ينادى بأعلى صوته لاستثارتهم العساكر فقال : يامجاهدون " لا تنظروا لسلطانكم قاتلوا عن حريمكم وعلى دين نبيكم صلى الله عليه وسلم " [(٦)] ، وثبت المسلمون فى المعركة ودار العلماء والفقهاء على العساكر يحرضونهم على الثبات والجهاد [(٧)]

---

(١) مرج الصفر : موضع بين دمشق والجولان وهو صحراء . ياقوت : معجم البلدان جـ٣ ص ٤١٣ . والجولان : قرية وقيل جبل بنواحى دمشق . ياقوت : معجم البلدان جـ٢ ص ١٨٨ .

(٢) المقريزى : السلوك جـ١ ق ٣ ص ٩٣٣ ، ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة جـ٨ ص ١٦١ .

(٣) المقريزى : السلوك جـ١ ق ٣ ص ٩٣٤ . ، ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة جـ٨ ص ١٦١ .

(٤) ابن كثير : البداية والنهاية جـ ١٤ ص ٢٤ . ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة جـ ٨ ص ١٦١ .

(٥) المقريزى : السلوك جـ ١ ق ٣ ص ٩٣٣ . ابن كثير : البداية والنهاية جـ ١٤ ص ٢٦ .

(٦) المقريزى : السلوك جـ١ ق ٣ ص ٩٣٣ ، ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة جـ ٨ ص ١٦٠ .

(٧) ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة جـ ٨ ص ١٦٠ ، المقريزى : السلوك جـ ١ ق ٣ ص ٩٣٣ .

وكان لابن تيمية دور كبير في تثبيت العساكر وتقويتهم فقد دار على الاجناد وأفتاهم بالفطر اثناء القتال لكي يتقووا على قتال التتر ، وأفطر هو أيضا معهم مستدلا على ذلك بقول الرسول صلى الله عليه وسلم عام الفتح " انكم ملاقوا العدو غدا والفطر أقوى لكم " (١) . ثم وقف ابن تيمية موقف الموت وشارك في القتال واظهر من ضروب الشجاعة ما يعجز عنه الابطال فارتدى عدة القتال والتجأ الى الله بالدعاء لنصرة الاسلام والمسلمين ، ثم خاض بنفسه المعركة والتحم مع جيش المغول (٢) مما كان له اثر كبير في نفسية الجنود فثبتوا في ارض المعركة الى ان استطاعوا حصر التتر في سفح جبل هلك فيه كثير منهم عطشا فأرادوا الخروج الى الماء فتركهم المسلمون الى أن خرجوا ثم اطبقوا عليهم وقتلوا منهم الكثير (٣) ، وكانت الهزيمة التي حلت بهم ساحقة فكان الصبيان والعامة يلعبون بالتتر ويقتلونهم ولا يستطيعون دفعا عن انفسهم ،وكان العربان يأخذونهم ويتركونهم في البرية الى أن يموتوا عطشا ويصف لنا المقريزي حالة التتر بعد انهزامهم فقال : وقد كلت خيول التتر وضعفت نفوسهم والقوا أسلحتهم واستسلموا للقتل والعساكر تقتلهم بغير مدافعة حتى أنّ أراذل العامة والغلمان قتلوا منهم خلقا كثيرا وغنموا عدة غنائم (٤) .

---

(١) ابن كثير : البداية والنهاية جـ١٤ ص٢٦ ، الجليند : الامام ابن تيمية ص ١٨ .
(٢) ابن عبد الهادي : العقود الدرية ص ١٧٧ - ١٧٨ .
(٣) المقريزي : السلوك جـ١ ق ٣ ص ٩٣٦ ، ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة جـ ٨ ص ١٦٢ - ١٦٣ .
(٤) المقريزي : السلوك جـ ١ ق ٣ ص ٩٣٦ .

وصلت أنباء الانتصار الى دمشق والقاهرة ففرح الناس بذلك واستبشروا وشكروا الله على هذه النعمة العظيمة وتساقطت دموعهم فرحا بذلك (١) فعطلوا الزينات وخرجوا لاستقبال الجيش الاسلامى وابن تيمية واصحابه وكان احتفالهم به كبيرا فالتفوا حوله فرحين بما يسر الله على يديه من نصر للاسلام والمسلمين (٢) وقد كان لابن تيمية دور كبير فى حماية المسلمين والعالم اجمع من التدفق المغولى اذ أن انهزامهم فى هذه المعركة أوقف سيرهم وحد من نشاطهم فى اكتساح العالم ، وعرف العالم ان المسلمين قد حطموا قوة المغول الذين ارتعد الناس منهم ومن وحشيتهم التى وصلت الى اطراف اوربا وفى ذلك يقول جيبون ان بعض سكان السويد قد سمعوا عن طريق روسيا نبأ ذلك الطوفان المغولى فلم يستطيعوا ان يخرجوا كعادتهم للصيد فى سواحل انجلترا خوفا من المغول (٣) .

...

---

(١) ابن كثير : البداية والنهاية جـ ١٤ ص ١٢٥ ، المقريزى : السلوك ، جـ ١ ق ٣ ص ٩٣٦ .

(٢) ابن كثير : البداية والنهاية جـ ١٤ ص ٢٥ .

(٣) الاستانبولى : ابن تيمية بطل الاصلاح الدينى ص ٤٢ .

- غزوة الجرد والروافض :

واصل ابن تيمية جهاده ضد الكفرة فبانهزام التتر وكسر شوكتهم لم تزل هناك شوكة تؤرق الجسم الاسلامى فى قمم جبال لبنان وسوريا حيث كان الروافض والجرد [١] والنصيرية قابعين بمأمن من المسلمين بعد أن أذاقوهم صنوف العذاب والتنكيل أثناء الغزو التترى لبلاد المسلمين فكانوا يعترضون سبيل الجيش الاسلامى بدلا من مساعدته كما يغيرون على القوافل الاسلامية فيأسرونهم ويبيعونهم للكفار [٢] فأفتى ابن تيمية بوجوب محاربة هؤلاء وانها جهاد فى سبيل الله [٣] وراسل سلطان المسلمين بوجوب محاربتهم وكف أذاهم عن المسلمين [٤] ، وحث الناس على جهادهم الى أن تجمع له جيش كبير خرج على راسه فى سنة ٧٠٥ هـ الى بلادهم ثم تبعه نائب دمشق [٥] بجيش آخر ، حاصروا به بلادهم وقاتلوهم قتالا شديدا اظهر فيه الشيخ شجاعة يضرب بها المثل ، وأفتى بجواز قطع شجرهم كما فعل الرسول صلى الله عليه وسلم مع يهود بنى النضير وكانت خطة من ابن تيمية ليقضى بها على مقاومتهم باتلاف ثمرهم فلا يستطيعون الصمود لفترة طويلة [٦] .

---

(١) جماعة من البغاة كانوا يروعون المسلمين ، وهم من سكان الجبال فى بلاد الشام ـ ابن عبد الهادى : العقود الدرية ص ١٧٩ .

(٢) ابن عبد الهادى : العقود الدرية ص ١٨٧ ، مجموع فتاوى ابن تيمية جـ ٢٨ ص ٤٧٨ .

(٣) مجموع فتاوى ابن تيمية جـ ٢٨ ص ٤٦٨-٥٠١ ، ابن عبد الهادى : العقود الدرية ص ١٧٩ .

(٤) ابن عبد الهادى : العقود الدرية ص ١٧٩ .

(٥) هو جمال الدين اقوش الافرم ـ ابن عبد الهادى : المرجع السابق ، ص ١٨١-١٨٢ .

(٦) ابن عبد الهادى : المرجع السابق ص ١٩٠-١٩١ .

وقتل كثير من الروافض وانتصر المسلمون ورجعوا سالمين غانمين [١] وكان فتحا عظيما لشدة حصانة تلك البلاد وصعوبة مسالكها لدرجة أن هولاكو عجز عن فتح بلادهم فقيض الله للمسلمين ببركة دعاء واشتراك ابن تيمية النصر عليهم .

خرج أهل دمشق جماعات لاستقبال الشيخ ابن تيمية وتهنئته بالنصر وقاموا بزيارته فى منزله للسؤال عن كيفية حصاره للجبل وعن سير القتال الى أن حقق الله لهم النصر عليهم [٢] .

وقد كان لهذه الغزوة أثر كبير فى بلاد الشام حيث انتشر الامن بعدها فى البلاد وسكنت الامور واطمأن الناس بعد ان كانوا يخشون السير قرب بلادهم لكثرة ترويعهم للمارين بهم وسلبهم وقتلهم وفى ذلك يقول ابن الوردى : وأمنت الطرق بعدهم وكانوا يتخطفون المسلمين ويبيعونهم من الكفار وكان الذى افتى بذلك ابن تيمية وتوجه مع العساكر [٣] .

• • •

---

(١) ابن كثير : البداية والنهاية جـ ١٤ ص ٣٥ ، ابن عبد الهادى : العقود الدرية ص ١٧٩ .

(٢) ابن عبد الهادى : المرجع السابق ص ١٨٠ .

(٣) ابن الوردى : تتمة المختصر جـ ٤ ص ٣٦٣ .

سجن ابن تيمية الوقائع والتأديب

سجن ابن تيميـــة

انتهى جهاد ابن تيمية فى الميدان الحربى بعد أن نصره الله وثبته فى المعارك التى خاضها ضد أعداء الاسلام ليبدأ مرحلة جديدة من الجهاد والصراع ضد البدع والمنكرات التى أثارت حسد وحقد البعض ضده فكادوا له حتى استطاعوا حبسه عدة مرات ويصور لنا موقفه هذا مصطفى عبد الرزاق حيث قال : "لم يكد يفرغ الشيخ من قتال النصيرية فى بلادهم المنيعة حتى استدعى فى نفس السنة الى مصر وعقد له مجلس بحضور القضاة وأكابر الدولة ثم حبس فى الجب بقلعة الجبل ومعه أخواه سنة ونصفا بسبب مانسب اليه من التجسيم"(١) .

كان سبب تلك المحنة يعود الى شخصية ابن تيمية وقوله للحق بدون خوف ولا وجل بالاضافة الى تضلعه فى كثير من العلوم ومجاهدته للبدع والخرافات الى جانب حدته فى البحث وسرعة الغضب فى وجه خصمه اذ لم يستطع فهمه (٢) . كل هذه الامور ساعدت على تأليب الحاقدين عليه واثارة حسدهم وغضبهم منه خاصة اذا علمنا ان بعض خصومه وحاسديه كانوا شيوخا له بينما لم يزل هو فى الاربعين من عمره ، لذلك قاموا عليه وما حجوه فى بعض فتاويه التى عارضهم فيها ، فزجوه فى السجن عدة مرات ، فسجن وأوذى وتألب

---

(١) مصطفى عبد الرزاق : خمسة من أعلام الفكر الاسلامى ص ١١٤ .
(٢) محمد أبوزهرة : ابن تيمية ص ٥٣ .

عليه كثير من العلماء وحرضوا عليه العامة فآذوه [1] ، وكان موقف العامة مترددا بين حبهم للشيخ ابن تيمية وبين ما يذيعه خصومه ويشيعون عنه بعض الآراء التي تغضب العامة ولكن ثورة العامة لم تلبث أن تخمد اذا وقف الشيخ بينهم وشرح لهم وجهة نظره . فكان موقف ابن تيمية بين أعدائه وأنصاره في اضطراب ، مما أدى بالسلطة أن تأمر بسجنه لاخماد تلك الفتن والمحافظة على حياة الشيخ ، وفي نفس الوقت ارضاء خصومه الذين كانت لهم مكانتهم ووزنهم في الدولة .

ـ ابن تيمية في سجنه :

كان لاندلاع الفتن والاضطرابات في البلاد بسبب فتاوى ابن تيمية الجريئة التي مست الاعراف والتقاليد في تلك الفترة ، وان كانت غير مخالفة للشريعة الاسلامية ، أن فكرت السلطة التي كانت ترى الحق في جانبه في حماية الشيخ من كيد خصومه وتسكين الفتن والاضطرابات كما ذكرنا ، فتأمر بسجنه حيث تكرر حبسه خمس مرات ، وان كان في أغلبها حماية له اكثر منه انتقاما منه لفتاويه ، لذلك نرى انه يمكننا تقسيم سجن ابن تيمية الى ما يأتي :

---

(١) وذلك حين تألب عليه جماعة في مصر وضربوه وآذوه . ابن عبد الهادي : العقود الدرية ص ٢٨٦ .

١ - سجن وقائي : وهو وضعه في حبس يليق به مع توفير سبل العناية والخدمة والاطلاع والتدريس له وان لم يسمح له بالخروج من سجنه لكي يتحقق له الامن والحماية اللازمة مع تأمين الجو الملائم له للتاليف والبحث .

٢ - سجن تأديبي : وهو الذى كان في آخر حياته حيث مس ابن تيمية في فتواه بمنع شد الرحال الى قبور الانبياء والصالحين اعتقاد العامة بل والسلطة بالنسبة لزيارة قبر الرسول صلى الله عليه وسلم حيث كانوا يرون أنه لا ينبغي ان يتعرض احد الى منع زيارة الرسول عليه الصلاة والسلام . فاستغلها خصومه وألبوا عليه السلطان والعامة الى أن تمكنوا من اثارة عواطف السلطان الذى أمر باضطهاده وسلب اوراقه وكتبه ومنعه من الاجتماع بالناس .

١ - السجن الوقائي :

في سنة ٧٠٥ هـ نجح خصوم ابن تيمية في مصر بالدس ضده لدى الامير بيبرس الجاشنكير(١) ، فأمر بحضوره على البريد الى مصر(٢) ، فسار اليهم الشيخ غير هياب ولا وجل كعادته في مواجهة الامور والصعاب بنفس مطمئنة واثقة بالنصر الالهي وهو يعلم ما يبيت له أعداؤه في مصر حيث كان اتباعه ومحبوه

---

(١) كان الامير بيبرس في تلك الفترة بيده الحل والعقد في البلاد بعد تحكمه وتسلطه على السلطان الناصر محمد بن قلاوون .

(٢) ابن عبد الهادى : العقود الدرية ص ١٩٦ ، ابن كثير : البداية والنهاية جـ ١٤ ص ٣٧ .

فى الشام ولا يعرفه فى مصر الا القليل . الا انه يعلم ان الله تعالى لـــن يتخلى عنه وسيمنحه الكرامة لا المهانة ، ورغم ماكان يتوقعه من شرفانه رأى أن فى ذهابه الى مصر مصالح كثيرة (١) . فلم يكد ابن تيمية يحط رحاله مـــع أخويه فى مصر حتى استدعى الى مجلس عقد له فى القلعة بتدبير من خصومـــه حضره كبار القضاة ورجال الدولة وواجهوه مباشرة بالاتهام وادعى عليـــه قاضى المالكية زين الدين بن مخلوف بانه يقول : ان الله فوق العـــرش حقيقة وأن الله يتكلم بحرف وصوت فأخذ الشيخ يستفتح كعادته بحمد اللـــه والثناء عليه ليرد على هذا الادعاء فزجر وقيل له لا تخطب . اجب على الاتهـام فعلم الشيخ انها محاكمة اتهام لا محاكمة اثبات حق او مجلس مناظرة . فســأل ـ ومن حقه ذلك ـ من الحاكم فىّ ؟ فقيل له : ابن مخلوف . فقال له ابن تيمية : كيف تحكم فى وأنت خصمى ؟ فغضب عليه ابن مخلوف وأمر بحبســـه فى الجب بدون الاستماع الى مدى صحة نسبة هذا الكلام الى ابن تيميـــة أو عدمه (٢) .

---

(١) ابن كثير : البداية والنهاية جـ ١٤ ص ٣٨ ، محمد ابوزهرة : ابـــن تيمية ص ٥٥ .

(٢) ابن كثير : البداية والنهاية جـ ١٤ ص ١٠ ـ ابن عبد الهادى : العقود الدرية ص ١٩٧ ، البدرى : الاسلام بين العلماء والحكام ص ٢٠١ ، الجليند : الامام ابن تيمية ص ٢٣ .
ولعل السبب فى قول ابن تيمية ذلك لابن مخلوف كما قال محمد ابوزهرة أن كل من ابن تيمية وابن مخلوف على طرفى نقيض فى التفكير فابن مخلوف يتقيد بمذهب الاشعرى ويرى ماعداه باطل . بينما ابن تيمية يرجع الـــى الكتاب والسنة و عليه السلف الصالح . وقد يكون ايضا رفض ابن تيميـــة ان يكون ابن مخلوف حكما عليه ماهو معروف عن ابن مخلوف من قسوة وسرعة فى اصدار الاحكام . كتاب ابن تيمية ص ٥٦ : ٥٧ .

كان أمر البلاد في تلك الفترة كما ذكرنا سابقا بيد الامير بن سلار وبيبرس الجاشكنير يفعلان مايحلوا لهما ، وكان لابن مخلوف منزلة كبيرة لديهما فلايرد له طلب وهو قاضي قضاة المالكية بمصر لذلك لم يكن من السهل انصاف ابن تيمية منه كما أن عداوة بعض العلماء له كفيلة بأن تثير الاضطرابات والفوضى في البلاد اذا ترك ابن تيمية حرا طليقا ، بالاضافة الى أن كيد خصومه له كان شديدا بلغ الى درجة اصابته بالاذى والضرب فكان لابد من حمايته منهم مع توفير الجو الملائم له في القراءة والتأليف والاجتماع بالناس .

استمر الشيخ في الجب لمدة سنة وهو بمأمن من كيد اعدائه يتردد عليه تلامذته ومعه اخواه يقومان بخدمته الى أن فكر الامير سلار أن يخرجه منه فجمع القضاة الثلاثة الحنفي والمالكي والشافعي وشاورهم في اخراج الشيخ فوافقوه لما أراد بشروط منها رجوع الشيخ عن بعض ما أعلن في المسألة الحموية وغيره فرفض ابن تيمية هذه المساومة لعلمه برغبتهم في فرض الامر عليه لا عن طريق المناظرة والاقتناع بالحجة والبرهان (١) فكان أمره كما قال سيدنا يوسف عليه السلام : (رب السجن أحب الى مما يدعونني اليه) الآية(٢).

---

(١) ابن كثير : البداية والنهاية ج١٤ ص ٤٣ ، محمد ابوزهرة : ابن تيمية ص ٥٨ .

(٢) سورة يوسف : الآية ٣٣ .

لم ينس أهل الشام كبيرهم وصغيرهم الشيخ ابن تيمية فهو وان كان غائبا عنهم بجسده فهو بين قلوبهم يتحسسون أخباره ويدعون له بالنصر والتأييد على اعدائه . فحين أرسل ابن تيمية الى أهله بالشام رسالة من السجن يخبرهم فيها بحاله وما أنعم الله عليه من نعم كثيرة سارع امير الشام بطلب الرسالة ليطمئن على الشيخ ويطمئن العامة[1] على اخباره . وحين بلغ ما أصاب الشيخ فى مصر لامير العرب عيسى بن مهنا — وهو يعرف لابن تيمية قدره وفضله — سارع بالمسير الى مصر وكلم ذوى الامر فيها باخراج الشيخ وعقد مجلس مناظرة له حيث يقرر فيه أهل الحل والعقد مدى صحة الاتهامات الموجهة اليه فوافق الامير سلار على ذلك فذهب امير العرب بنفسه الى الشيخ فى السجن وأخبره بما تم عليه الامر فوافق الشيخ على الخروج بهذه الطريقة الشريفة فماكان ليرضى بالخروج من السجن وهو مهضوم الحق رغم أنفه وارضاء لخصومه فخرج حرا طليقا بعد حبس ثمانية عشر شهرا فى سنة ٧٠٧ هـ[2] .

اعتذر خصومه القضاة عن الحضور باعذار واهية بينما حضر كثير من العلماء والفقهاء لمناظرته ومناقشته فبهرهم ببيانه وحجته وبلاغ أدلته وكثرة علومه وقرروا تبرئته مما نسب اليه .

---

(١) ابن كثير: البداية والنهاية جـ١٤ ص ٤٣ ، محمد ابوزهرة : ابن تيمية ص ٥٨ — ٥٩ .

(٢) ابن كثير: البداية والنهاية جـ١٤ ص ٤٥ ، البدرى : الاسلام بين العلماء والحكام ص ٢٠١ ، محمد ابوزهرة: ابن تيمية ص ٦٠

بعد خروج الشيخ معززا مكرما من السجن رغب أمير العرب ـ امعانا في الحرص على سلامة الشيخ ابن تيمية ـ السير به الى الشام حيث أهله ومحبوه واتباعه بينما انبهر الامير سلار بعلوم ابن تيمية وقوة شخصيته فرغب في بقائه بمصر لكي يستفيد منه أهلها كما استفاد منه أهل الشام (١) وترك القرار النهائي لابن تيمية الذي رأى أن المصلحة تقتضي منه البقاء في مصر. فما هي هذه المصلحة التي رآها ؟ أهي منصب ومال وجاه في دار السلطنة ؟ ليس هذا من خلق ابن تيمية وهو الذي لم يتدنس بهدايا السلطنة انما هي نشر الهداية بين الناس وارشادهم الى طريق الحق والصواب بعيدا عن تلبيسات أهل البدع والمنكرات (٢) .

لم يكن الطريق ممهدا له لكسب قلوب العامة فقد سبقه حاقدوه باساءة سمعته وترصد حركاته مع عدم معرفة أهل مصر بابن تيمية وبعلمه ومواهبه الا أن الشيخ اتبع خطة يتجنب بها سخط العامة فكان يجذبهم اليه بالقاء دروسه في المساجد وعلى المنابر في شرح آيات من القرآن الكريم وفي الوعظ ، والارشاد، بينما يقوم في المدارس الخاصة كالمدرسة الصالحية بعقد مجالس مناظرة يبين فيها آراءه بالحجة الواضحة والبرهان (٣) .

---

(١) ابن كثير : البداية والنهاية جـ١٤ ص ٤٥ .

(٢) محمد ابوزهرة : ابن تيمية ص ٦١ .

(٣) محمد ابوزهرة : المرجع السابق ص ٦٢ .

رأى ابن تيمية فى مصر بدعا جديدة فرأى للصوفية سلطانا قويا فى مصر (١) وهم اتباع ابن عربى الذى ينادى بوحدة الوجود ووضع الولى فوق مرتبة النبى لان بزعمه ان الولى يأخذ عن الله بلا واسطة فى حين يأخذها النبى بواسطة جبريل وكان أتباعه يرون انهم اذا واصلوا الى مرحلة الفناء فى الله يرتفعون بها عن التكليف فنادى ابن تيمية بتكفيرهم ورماهم بالالحاد والزندقة (٢) .

وأخذ يقيم المجالس فى تبيين خطئهم بالحجة الواضحة والدليل حتى سقطت منزلتهم عند الناس مما أثار حفيظتهم عليه خاصة حين انقسم الصوفية على أنفسهم بعد أن ساق لهم ابن تيمية قصصا من الصوفية الحقة لا التى لا ترفع نفسها عن التكليف (٣) .

حين رأى الصوفية ما حل بهم وبمكانتهم فى قلوب العامة فى مصر سارعوا بالشكوى الى السلطنة بما اصابهم ومشائخهم على يد الشيخ فذهبت منهم جموع كبيرة الى القلعة (٤) مما أثار الاضطراب واذن ببداية اندلاع الفتن (٥) وكثرت المناظرات والمجادلات الى ان ظفر الصوفية برسالة لابن تيمية يمنع فيها الاستغاثة بالنبى صلى الله عليه وسلم وقال انه لا يستغاث

---

(١) ابن كثير : البداية والنهاية جـ ١٤ ص ٤٥ .
(٢) محمد الزين : منطق ابن تيمية ص ٣١٢ .
(٣) كما استشهد بقول الشيخ الشاذلى وهو من ائمة الصوفية عن اتباع ابن عربى (هؤلاء كفار يعتقدون ان الصنعة هى الصانع) ـ الشرقاوى ع مقالة الاهرام ص ١٣ بتاريخ ١٩٨٢/٩/٨ م .
(٤) يقصد بها قلعة الجبل مقر السلطنة بمصر .
(٥) ابن عبد الهادى : العقود الدرية ص ٢٦٧ . محمد ابو زهرة : ابن تيمية ص ٦٦ .

الا بالله سبحانه وتعالى فنشروها بين الناس ما أدى الى سخط العامة لان ابن تيمية مس اعتقادهم بالنبى صلى الله عليه وسلم [١] فثارت بلبلة فى البلاد فأراد الامير سلار حماية ابن تيمية من سخط العامة فحبسه فى سجن القضاة ووفر له جميع سبل الراحة فكان المكان فسيحا وعنده من يقوم بخدمته وطلاب العلم يترددون عليه ويستفتونه فيما اشكل عليهم [٢] وهو بمأمن من غوغاء الصوفية الذين يتربصون به الدوائر .

بعد ذلك تم اطلاق سراح الشيخ ابن تيمية باجماع من الفقهاء والقضاة فخرج منصورا مؤيدا .

كثر كيد شيخ الصوفية نصر بن المنبجى لابن تيمية وكان معظما عند الامير بيبرس الجاشنكير ولا يرد له طلب ففكروا فى التخلص من الشيخ بارساله الى الاسكندرية بدون ان يصحبه احد لعل احدا من العامة او قطاع الطرق يتعرض له بسوء [٣] . رأى الامير سلار -شريك بيبرس فى الحكم- ان فى ذلك مصلحة كبيرة للشيخ فوافق على ارساله الى الاسكندرية لكى يضمن حماية الشيخ من كيدهم مع توفير جميع سبل الراحة له حيث وضع فى مكان فسيح يتردد عليه فيه الناس وطلاب العلم حيث يعقد حلقات الدرس كما يخرج لحضور الجماعات

---

(١) ابن عبد الهادى : العقود الدرية ص ٢٧٠ ، محمد ابوزهرة : ابن تيمية ص ٦٦ .

(٢) ابن عبد الهادى : العقود الدرية ص ٢٧١ ، الشرقاوى : مقالة فى الاهرام ص ١٣ بتاريخ ٨/ ٩/ ٨٢ م .

(٣) ابن كثير : البداية والنهاية جـ ١٤ ص ٤٩ . ابن عبد الهادى : العقود الدرية ص ١٩٨ . محمد ابوزهرة : ابن تيمية ص ٦٩ .

ويعقد الدروس في المساجد ثم سمحوا بأن يلحقه أهله وتلامذته فالتف الناس حوله وأحبوه وانتفعوا به .

ويعلق ابن كثير على الفترة التي قضاها الشيخ ابن تيمية في الاسكندرية فقال : (أقام بثغر الاسكندرية ثمانية أشهر مقيما ببرج متسع مليح نظيف له شباكان احدهما الى جهة البحر والاخر الى جهة المدينة وكان يدخل عليه من شاء ويتردد اليه الاكابر والاعيان والفقهاء وهو في أطيب عيش وأشرح صدر[1]). لم يكن الشيخ في حبس بمفهوم هذه الكلمة اذ ان وضعه بهذه الصورة كأنه نزيل دار ضيافة راعى فيها المضيف خاطر ضيفه فوفر له سبل الراحة وبالغ في اكرامه ولم يدع ممكنا في تهيئة جميع الظروف التي تساعده على العلم والبحث والقاء الدروس وكان ذلك من نعم الله سبحانه وتعالى على الشيخ لان قصده نصرة الشريعة فنصره الله .

عاد السلطان الناصر محمد الى السلطنة[2] فكان أول أمر أصدره هو الافراج عن الشيخ واحضاره من الاسكندرية[3] وكان السلطان محبا له ومعظما

---

(١) ابن كثير : البداية والنهاية جـ ١٤ ص ٥٠ . ابن عبد الهادي : العقود الدرية ص ٢٧٧ .

(٢) وقد ذكرنا سابقا تسلط الأميرين سلار وبيبرس على السلطان الناصر فكان ان خلع الناصر نفسه وذهب الى الكرك ثم عاد مرة اخرى الى الحكم بعد غيابه عشرة شهور .

(٣) ابن كثير : البداية والنهاية جـ ١٤ ص ٥٣ . ابن عبد الهادي : العقود الدرية ص ١٩٨ - ٢٧٨ .

يعرف علمه فأحضر الشيخ وبالغ فى اكرامه والاحتفاء به فأقام الشيخ بمصر يدرس ويفتي ويناظر ويبذل النصيحة للسلطان الى أن قرر الخروج مع السلطان للغزاة حين بلغهم مسير التتر الى الشام فوصلوا دمشق وخرج الناس لاستقبالهم وبالغوا فى الحفاوة والترحيب بالشيخ بعد غيبة سبع سنين ثم عاد السلطان الى مصر بعد انصراف التتر عن البلاد وترك الشيخ بين أهله ووطنه فعكف فيها الشيخ على الدروس والتحصيل (١) .

رأى ابن تيمية انهيار كثير من العلاقات الزوجية فى الشام بسبب الحلف بالطلاق فساءه هذا الامر كثيرا وهو المعروف بعطفه ومحبة الناس فأراد أن يصل الى أصل ذلك فى الكتاب والسنة والسلف الصالح فلم يجد له اصلا . لذلك افتى أن الحلف بالطلاق لا يقع . فرح الناس بذلك كثيرا فقد انقذ علاقاتهم الاسرية من الانهيار والتفوا حوله مما أثار عليه حفيظة كبار المفتين فلم يعجبهم قوله (٢) . فذهبوا الى قاضى الحنابلة وطلبوا منه نصح الشيخ بترك هذه الفتوى فاجابه الشيخ ابن تيمية الى ماأراد الى أن جاءت

---

(١) ابن كثير: البداية والنهاية جـ ١٤ ص ٦٧ . محمد ابوزهرة : ابن تيمية ص ٧٣ . وكان سبب انصراف التتر عن البلاد قلة العلف وغلاء الاسعار وموت كثير منهم . ابن كثير: البداية والنهاية جـ ١٤ ص ٦٦ .

(٢) محمد ابوزهرة : ابن تيمية ص ٧٩ .

أوامر السلطان بمنع الشيخ عن هذه الفتوى (١) وذلك بسعى خصومه بمصر عندها رأى ابن تيمية فى هذه الطريقة انه ان قبلها فقد قبل الدنية فى الدين فعاود الافتاء بها فسجن فى قلعة دمشق سنة ٧٢٠ هـ(٢). وظل فى السجن لمدة خمسة شهور الى أن ورد أمر سلطانى باخراجه ٧٢١ هـ(٣).

بعد خروج ابن تيمية من السجن أقبل على الفقه دراسة وتدريسا الى جانب اهتماماته بالعلوم الاخرى (٤)

٢- السجن التأديبي :

زادت نقمة حاسديه وهم يرونه فى كل يوم تزداد رفعته ويلتف الناس حوله فأرادوا ان يكيدوا له فى هذه المرة كيدا لا يستطيع منه فكاكا فأخذوا يحصون عليه أنفاسه وحركاته وسكناته الى ان ظفروا له بفتوى افتاها منذ ١٧ سنة يمنع فيها من شد الرحال لزيارة قبور الانبياء والصالحين (٥) ويشمل

---

(١) ابن كثير: البداية والنهاية جـ ١٤ ص ٨٧ ، عبد الهادى: العقود الدرية ص ٣٢٥ .

(٢) ابن كثير: البداية والنهاية جـ ١٤ ص ٩٧ ، ابن عبد الهادى: العقود الدرية ص ٣٢٦ ، محمد ابو زهرة : ابن تيمية ص ٨٠ .

(٣) ابن كثير: البداية والنهاية جـ ١٤ ص ٩٧ . محمد ابو زهرة : ابن تيمية ص ٨٢ . وقد كان اخراج ابن تيمية من السجن بسعى اصحابه فى مصر لدى السلطان الى أن صدر امرا بالافراج عنه . الشرقاوى . الاهرام ، ص ١٣ — ٢٠ / ١٠ / ١٩٨٢م .

(٤) محمد ابو زهرة : ابن تيمية ص ٨٢ .

(٥) ابن كثير: البداية والنهاية جـ ١٤ ص ١٢٣ ، محمد ابو زهرة: ابن تيمية ، ص ٨٣ — ٨٤ .

ذلك قبره عليه الصلاة والسلام فسعوا به عند ولاة الامور وكادوا له لما يعلمون من مكانة النبى صلى الله عليه وسلم فى القلوب وأثاروا العامة عليه وكاتبوا السلطان الناصر بذلك فأمر بعقد مجلس من القضاة يقرر مدى صحة هذه الفتوى فحرف أعداؤه فيها وبدلوا الى أن راى السلطان حماية للشيخ من سخط العامة لفتواه تلك بعد أن أحدثت بلبلة فى جميع الاوساط فأمر بسجنه فى قلعة دمشق حيث أخلى له قاعة فيها وأجرى اليها الماء وأذن لاخيه زين الدين بخدمته بأمر السلطان وتقديم جميع مايحتاج اليه [1] . يقول ابن عبدالهادى : (ومازال الشيخ تقى الدين رحمه الله فى هذه المدة معظما مكرما يكرمه نقيب القلعة ونائبها اكراما كثيرا ويستعرضان حوائجه ويبالغان فى قضائها) [2] .

كان حبس الشيخ ابن تيمية فيه خير كثير له حيث اتجه الى العبادة وتلاوة القرآن الكريم وتمحيص آرائه وتدوينها وتفسير بعض آيات القرآن الكريم والاجابة على الفتاوى التى ترده فى القلعة من الناس [3] ولم يعجب خصومه الحالة التى فيها ابن تيمية فهو فى عيش رغد هنىء فأرادوا التضييق عليه وحرمانه من الكتب

---

(١) ابن كثير : البداية والنهاية جـ ١٤ ص ١٢٣ . محمد ابوزهرة : ابن تيمية ص ٨٥ .

(٢) العقود الدرية ص ٣٦٣ . وكانت زيارة القبور فى نظر ابن تيمية أحد اشكال تقديس الاولياء وهذا من اكبر الشرك بالله خاصة وان الروافض يرون ان زيارة قبور اوليائهم تماثل الحج عند اهل السنة . هنرى لاوست : نظريات شيخ الاسلام ابن تيمية ص ٢٨٠ .

(٣) محمد أبوزهرة : تاريخ المذاهب الاسلامية جـ ٢ ص ٤٣٤-٤٣٥ .

والقراءة والكتابة فاستطاعوا اصدار أمر من السلطان باخراج ما معه من الكتب والاوراق والدواة والقلم مع منعه من القراءة والمطالعة ومنع الناس من زيارته وحبس تلامذته وتعزيرهم[1] .

أخذ ابن تيمية يسجل خواطره على ورق متناثر او على الجدران بفحم وجده في الحبس[2] ذكر فيها انه في جهاد عظيم لا يقل عن جهاده للتتر والروافض[3] فقد كان ابن تيمية رحمه الله شاكرا لانعم الله عليه راضيا بقضائه فهو يعلم ان كل امر المسلم الى خير اذا مسته سراء شكر واذا مسته ضراء صبر.

اتجه الشيخ مع اخيه الى الاستزاده من القراءة والتامل في كتاب الله فختموا ثمانين ختمة وشرعوا في الواحدة والثمانين الى ان وصلوا اية " ان المتقين في جنات ونهر في مقعد صدق عند مليك مقتدر . ." الاية . فمرض الشيخ بضعا وعشرين يوما توفي بعدها في سنة ٧٢٨ هـ .

. . .

---

(١) ابن كثير: البداية والنهاية ص ١٣٤ . انورالجندى : نوابغ الفكر الاسلامى ص ٣١٩ .

(٢) البدرى : الاسلام بين العلماء والحكام ص ٢٢٠ ، محمد بهجت البيطار: حياة شيخ الاسلام ص ٣١ .

(٣) ابن عبدالهادى : العقود الدرية ص ٣٦٦ .

وفاته

ـ وفاته وثناء الأئمة عليه :

خرجت دمشق على بكرة أبيها فى يوم الاثنين لعشرين خلت من ذى القعدة سنة ٧٢٨ هـ لرؤية جنازة الشيخ ابن تيمية قبل ان يوارى التراب وخرج كثير من النساء والصبيان حين سمعوا بخبر وفاته وحضر جماعة للتبرك به وتقبيله ثم صلى عليه بالقلعة ثم حمل الى جامع دمشق للصلاة عليه بعد صلاة الظهر فامتلأت الطرقات بالناس واشتد الزحام حتى حمل النعش على الرؤوس الى أن ووري الجثمان التراب ، بلغ عدد الرجال الذين مشوا فى جنازته حوالى ستين ألف أو أكثر وعدد النساء خمسة عشر ألفا (١) .

وللتبرك به شرب جماعة الماء الذى فضل من غسله واقتسموا بقية السدر الذى غسل به وقاموا بشراء لوازمه بأثمان باهظة فدفع فى طاقيته خمسمائة درهم وفى خيط الزئبق الذى يضعه فى عنقه لدفع القمل مائة وخمسين درهما (٢) .

---

(١) ابن كثير : البداية والنهاية ج١٤ ص ١٣٥ ، ١٣٦ ، ابن عبد الهادى : العقود الدرية ص ٣٦٢ ، ٣٧١ .
(٢) ابن كثير : البداية والنهاية ج١٤ ص ١٣٦ .

- ثناء الأئمة عليه :

كان رحمه الله نموذجا للعالم المسلم في علمه وزهده وعبادته كما كان في شجاعته وصبره وعفوه، جذب اليه كثيرا من العلماء بقوة شخصيته ووفرة علومه كما نفر منه البعض لهذه الاسباب حسدا منهم وحقدا فأثنى عليه علماء عصره ومن أتى بعدهم ثناء لم ير له مثيل حتى عدوه بمكان الفقهاء الأربعة لولا بعد الزمن بينه وبينهم (١) .

وهنا سنذكر بعض أقوال العلماء في الثناء عليه اذ لا يمكننا حصر ذلك مهما حاولنا لكثرته :

قال عنه ابن الزملكاني : اجتمعت فيه شروط الاجتهاد على وجهها ... الى أن قال :

ماذا يقول الواصفون له ... وصفاته جلت عن الحصر

هو حجة لله قاهرة ... هو بيننا أعجوبة الدهر

هو آية في الخلق ظاهرة ... أنوارها أربت على الفجر (٢)

وقال عنه ابن الوردي :

(كل حديث لا يعرفه ابن تيمية فليس بحديث ، ولكن الاحاطة لله تعالى ، غير أنه يغترف من بحر وغيره من الأئمة يغترفون من السواقي) (٣).

---

(١) د. ناصر بن سعد الرشيد : مقالة في رسالة المسجد ٤/٣/١٤٠١هـ

(٢) ابن كثير : البداية والنهاية جـ١٤ ص١٣٧ ، ابن عبد الهادي : العقود الدرية ص٩ .

(٣) الالوسي جلاء العينين ص١٠ .

وقال عنه البزار (أما معرفته بصحيح المنقول وسقيمه فانه فى ذلك من الجبال التى لا ترتقى الى ذروتها ولا ينال سنامها قل ان ذكر له قول الا وقد أحاط علمه بمبتكره وذاكره وناقله أو اثره او راو الا وقد عرف حاله من جـــرح وتعديل باجمال وتفصيل) (١) .

وقال عنه ابن عبدالهادى (كان بحرا لا تكدره الدلاء وحبـــرا يقتدى به الاحبار الالباء طنت بذكره الامصار وضنت بمثله الاعصار) (٢) .

وقال عنه الحافظ المزى (ما رأيت مثله ولا رأى هو مثل نفســه وما رأيت أحدا أعلم بكتاب الله وسنة رسوله ولا أتبع لهما منه) (٣) .

وقال عنه الحافظ الذهبى : (شيخنا الامام العالم العلامـــة الأوحد شيخ الاسلام مفتى الفرق قدوة الأئمة أعجوبة الزمان بحر العلـــوم حبر القرآن ، تقى الدين سيد العباد أحمد بن عبدالحليم بن عبدالســلام ابن تيمية) (٤) .

وقال عنه ابن سيد الناس اليعمرى المصرى " ان تكلم فى التفسيـــر فهو حامل رايته ، أو أفتى فى الفقه فهو مدرك غايته ، أو ذاكرا بالحديث فهـــو صاحب علمه وذو روايته ، أو حاضر بالنحل والملل لم ير أوسع من نحلته فى ذلك ولا أرفع من درايته ، برز فى كل فن على أبناء جنسه . . " (٥)

---

(١) الاعلام العلية ص ٣٢ .

(٢) (٣) العقود الدرية ص ٧ .

(٤) المصدر السابق ص ٩ .

(٥) ابن عبدالهادى : العقود الدرية ص ١٠ .

وابن سيد الناس هو الشيخ فتح الدين محمد بن ابى عمرو بن محمد بن يحيى ابن سيد الناس الربعى اليعمرى الاندلسى الاشبيلى ثم المصرى ولد سنـــة ٦٧١ هـ سمع الكثير واجازله الرواية جماعة من المشايخ ، لم يكن فى مصر مثله (=)

وقال عنه ابن دقيق العيد : " لما اجتمعت بابن تيمية رأيت رجلا كل العلوم بين عينيه يأخذ ما يريد ويدع ما يريد ، وقلت له ماكنت أظن أن يخلق مثلك "(١) .

وقال عنه شيخ النحاة ابوحيان حين اجتمع به : مارأت عيناى مثله ومدحه بأبيات فى وقتها فقال :

لما أتينا تقى الدين لاح لنا	داع الى الله فردا ماله وزر
على محياه سيما الألى صحبوا	خير البرية نور دونه القمر(٢)

وقال عنه الشيخ الامام بهاء الدين القاسم بن عساكر:

تقى الدين أضحى بحر علم	يجيب السائلين بلا قنوط
أحاط بكل علم فيه نفع	فقل ماشئت فى البحر المحيط(٣)

وقد قيلت فى الشيخ عدة مراثى فقد كان لموته وقع كبير على النفوس من علماء وعامة فعبروا عن حزنهم لمصابه بابيات شعرية وقصائد مطولة .

(=) فى حفظ الاسانيد والمتون والعلل والفقه والملح والاشعار توفى سنة ٧٣٤ هـ .
ابن كثير : البداية والنهاية جـ ١٤ ص ١٦٩ .

(١) الاستانبولى : ابن تيمية بطل الاصلاح الدينى ص ١٢

(٢) المرجع السابق ص ١٣ ، ابن الالوسى : جلاء العينين ص ١٢

(٣) ابن عبد الهادى : العقود الدرية ص ٣٩٦ .

وممن رثاه زين الدين عمر بن الوردى ، والشيخ أمين الدين عبد الوهاب بن سلار الشافعى (١) ، والامام تقى الدين الدقوقى (٢) والشيخ مجير الدين الجوخى الدمشقى الذى قال يرثيه :

ولقد علا الاسلام جل مصابه لكنها لا تدفع الاقدار
لوكان فى الدنيا يدوم مخلدا بشر لخلد أحمد المختار
ولكل حى خلع ثوب حياته علما بأن ثوب الحياة معار (٣)

...

---

(١) أمين الدين عبد الوهاب بن يوسف بن ابراهيم بن السلار الدمشقى ولد سنة ٦٩٨ هـ سمع من المزى وغيره اتقن العربية والفرائض والقراءات وله فيها مؤلفات كثيرة توفى سنة ٧٨٢ هـ . ابن العماد : شذرات الذهب جـ ٦ ص ٢٧٥ .

(٢) هو امام المحققين وقدوة أئمة المحدثين تقى الدين ابو الثناء محمود بن على بن داوود الدقوقى توفى سنة ٧٣٣ هـ . ابن عبد الهادى : العقود الدرية ص ٣٩٧ ، ابن العماد : شذرات الذهب جـ٦ ص ١٠٦ .

(٣) ابن عبد الهادى : العقود الدرية ص ٤١٨ : ٤١٩ ، وهى من قصيدة طويلة اخترنا منها هذا المقطع.

أهم الأحداث في حياة شيخ الاسلام أحمد بن تيمية

السنة هجرية	السنة ميلادية	
٦٦١	١٢٦٢	مولده بحران .
٦٦٧	١٢٦٨	قدومه مع أسرته الى دمشق .
٦٨٢	١٢٨٣	وفاة والده الشيخ عبد الحليم بن عبد السلام.
٦٨٣	١٢٨٤	أول درس يلقيه الشيخ في مكان أبيه .
٦٩٤	١٢٩٤	الامام شرف الدين المقدس يأذن لابن تيمية بالافتاء .
٦٩٥	١٢٩٥	تدريسه في المدرسة الحنبلية بعد وفاة أبيه .
٦٩٨	١٢٩٨	محنة الشيخ بسبب المسألة الحموية .
٦٩٩	١٢٩٩	موقعة وادي الخازندار وانكسار المسلمين فيها ، ولقاء الشيخ ابن تيمية لغازان مع مجموعة من العلماء .
٦٩٩	١٢٩٩	مجابهة الشيخ لأهل جبل الكسروان والرافضة وانتصاره .
٧٠٠	١٣٠٠	ذهاب الشيخ الى مصر لحث السلطان على الجهاد ومعاونة أهل دمشق .
٧٠٢	١٣٠٢	وقعة تل شقحب ودور ابن تيمية فيها وانتصار المسلمين فيها .
٧٠٥	١٣٠٥	محاربة الشيخ للروافض .
٧٠٥	١٣٠٥	محنة الشيخ في القاهرة وسجنه في الجب .
٧٠٧	١٣٠٧	خروج الشيخ من السجن .
٧٠٩	١٣٠٩	سجن الشيخ في الاسكندرية في مكان فسيح .

السنة		
هجرية	ميلادية	
٧٠٩	١٣٠٩	الافراج عن الشيخ بأمر السلطان محمد الناصر وحضوره الى القاهرة .
٧١٢	١٣١٢	عودة الشيخ الى دمشق بعد غياب ٧ سنوات بنية محاربة التتر (حيث عاد التتر وكفى الله المؤمنين القتال) .
٧١٨	١٣١٨	طلب قاضى الحنابلة من الشيخ ترك الافتاء فى مسألة الطلاق منعا لاثارة الفتن فأجابه الشيخ الى ذلك ، ثم ورود كتاب سلطانى بمنعه من الفتاوى فعاد للافتاء .
٧٢٠	١٣٢٠	اعتقال الشيخ بقلعة دمشق بسبب معاودته الافتاء .
٧٢١	١٣٢١	الافراج عن الشيخ بعد سجن خمسة شهور وثمانية عشر يوما .
٧٢٦	١٣٢٥	اعتقال الشيخ بقلعة دمشق ومنعه من الافتاء بعد فتواه فى السفر واعمال المطى الى زيارة قبور الأنبياء والصالحين.
٧٢٨	١٣٢٧	اخراج الكتب والأوراق والأقلام من عند الشيخ ومنعه من الكتابة والمطالعة .
٧٢٨	١٣٢٧	وفاة الشيخ رضى الله عنه ليلة الاثنين فى عشرين ذى القعدة ودفنه بمقابر الصوفية .

.. .. ..

الخاتمة

نتائج البحث

الخاتمـــة

وبعد أن استعرضنا أحوال العالم الاسلامى والأحداث التى مــرت به ودور ابن تيمية فى هذه الأحداث نرى أننا مهما حاولنا أن نوفى الموضوع حقه فلن نستطيع ونبقى مقصرين فيه لعجزنا البشرى عن الكمال . ولقـــد سبقنا الكثيرون من الكتاب والباحثين فى تناول حياة ابن تيمية وعصـــره ومؤلفاته الا أننا فى هذا البحث ركزنا على نقاط معينة فى حياة ابـــن تيمية وما يرتبط بها من أحداث . ندعو الله أن نكون قد وفقنا فى القـــاء الضوء على أمور لم تكن واضحة في المراجع والمصادر التى بأيدينا ، ويكون ذلك بداية لأبحاث متتالية تبرز دور ابن تيمية القيادى فى المعـــارك ضد أعداء الاسلام وقد ذكرنا فى البحث :

١ - دور ابن تيمية الجهادى فى مختلف الميادين حيث قسمنا جهــاده الى :

١) جهاده بالكلمة .

٢) جهاده بالقلم .

٣) جهاده باليد ، ويشمل :

أ - محاربته وازالته للبدع والمنكرات .

ب - حمله للسيف والجهاد فى سبيل الله .

١ - جهاده بالكلمة :

وتمثل ذلك فى اقامته للمحاضرات والمناظرات ودروس العـلم لتوعية المسلمين بأمور دينهم ومحاولة ارجاعهم الى الكتاب والسنـــة

ومحاربته فى هذه المجالس لأهل البدع والمنكرات وكشف عيوبهم ودسائسهم على الأمة الاسلامية أمثال الصوفية والأحمدية وغيرهم .
وكذلك موقفه من كشف القناع عن اسلام المغول بعد موقعة وادى الخازندار مما أعاد للمسلمين حماسهم ضد المغول وانتصارهم بعد ذلك فى موقعة تل شقحب .

٢ - جهاده بالقلم :

ونقصد به المؤلفات الكثيرة التى أثرت مكتبتنا الاسلامية بمختلف أنواع العلوم وكانت فى معظمها اما ردا على تساؤلات بعض الناس فى النواحى الفقهية وغيرها ، واما ردا على مؤلفات الروافض والمنطقيين والملاحده ففى كتاب منهاج السنة النبوية فى نقض كلام الشيعة والقدرية حيث رد فيه على ادعاءات المطهر الحلى الرافضى مؤلف منهاج الكرامة فى معرفة الامامة ، كذلك كتابه : فى الرد على المنطقيين وغيره من الكتب القيمة التى تصدى فيها ابن تيمية للفكر الالحادى والفكر الأجنبى المتمثل فى أعداء الأمة الاسلامية من النصارى وغيرهم ، وانتقاله فى جهاده الى خارج بلده حيث أرسل رسالة الى ملك قبرص يعرض عليه الاسلام، والاحسان الى أسرى المسلمين الذين بحوزته .

٣ - جهاده باليد :

أ - ازالته للبدع والمنكرات بنفسه بدون اذن من ولى الأمر واقامته للحدود من تعزير وحلق رؤوس الصبيان وغيره ، وكان ذلك

فى عهد اضطراب أحوال العالم الاسلامى أثناء الغزو المغولى حيث صاحب ذلك اضطراب فى أحوال البلاد واختلال الأمور فى يد السلطة المركزية فى دمشق مما أدى الى انتشار المفسدين الذين خرجوا من السجون وأهل البدع والضلالات بدون رادع حيث رأى ابن تيمية أن من واجبه القيام بهذه الأعمال وأن كانت ليست من اختصاصه . لذلك فنجده فيما بعد يرجع عن رأيه هذا ويبين خطأه ويعترف بذلك ويقول " هذا الأمر من اختصاص ولى الأمر والواجب طاعته وعدم سلب اختصاصاته تلك" .

ونلاحظ أن رجوع ابن تيمية عن الجهاد باليد لا ينبغى أن يكون على اطلاقه وانما يكون ذلك اذا تولى ولى الأمر القضاء على المنكرات أما اذا كان ولى الأمر لا يبالى بانتشار المعاصى فان على العلماء أن يقوموا بذلك تحقيقا لقول الله سبحانه : " ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر" ، وقول الرسول عليه الصلاة والسلام : " من رأى منكم منكرا فليغيره بيده . . . الخ .

ب - <u>جهاده بالسيف</u> أبرزنا فيه دور ابن تيمية فى تهيئة نفوس المسلمين للجهاد فى سبيل الله ووجوب محاربة التتر لأنهم كفار وملحدون وذلك عن طريق دروس الجهاد التى كان يلقيها على الناس لتقوية قلوبهم على لقاء العدو وانتظار احدى الحسنيين ، أما النصر واما الشهادة ثم انتقلنا الى تطور

دور ابن تيمية من الدروس النظرية الى الناحية العملية حيث اشترك فى فتح عكا ودوره فى ذلك ، فكان اشتراكه هـذا بمثابة بداية تمرس على القتال لكى يشترك فيما بعد فى موقعة تل شقحب ، حيث ذكرنا فى موقعة تل شقحب دور ابـن تيمية فى تثبيت المسلمين على لقاء العدو وفتاويه العديدة فى المعركة من وجوب حرب التتر لأنهم كفرة .

ثم افتاؤه بجواز الفطر فى رمضان فى خضم المعركـة ثم حمله للسيف ومحاربته للتتر واظهاره لضروب الشجاعـة الى أن كتب الله النصر على الأعداء كما أبرزنا نتائج عـداوة خصوم ابن تيمية والتى تمثلت فى سجنه خمس مرات وقلنـا ان دور الحكام كان كبيرا فى تخفيف وطأة السجن عليه حيث جعلوا منه سجن وقاية له من كيد أعدائه وخصومه ومن سخـط العامة عليه لفتاويه الجريئة التى هاجمت العرف السائد فى تلك الفترة رغم استنادها الى آيات وأحاديث من الكتاب والسنـة أو سيرة السلف الصالح ، ودليلنا على أن سجنه كان وقايـة له أن الشيخ كان فى راحة عظيمة حيث كان هناك من يقوم بخدمته وهم اخوته كما كانت مؤلفاته وكتبه وأوراقه وأقلامـه تحت يده وتصرفه كما كان طلاب العلم يترددون عليه يسألونـه ويستفتونه بل كان فى بعض الأحيان يخرج من السجن لحضور صلاة الجمعة فى الجامع ، وما عدا ذلك فقد منع مـن الخروج منه وما ذلك الا امعانا فى حمايته من خصومه .

الا أن الوضع تغير فى آخر سجن له فى سنة ٧٢٦ هـ فى قلعة دمشق حيث كان فى بداية أمره فى راحة عظيمة بين كتبه ومؤلفاته الى أن تمكن خصومه من الكيد له وهو داخل السجن كأنه لم يكفهم أنه منع من الخروج منه فقاموا بسلب أعز ما يملكه فأخرجوا كتبه وأوراقه والقلم والدواة ومنع الناس من زيارته الى أن مرض وتوفى سنة ٧٢٨ هـ /١٣٢٧ م .

وقد استطعنا أن نرد على ابن عبد الهادى ومن شايعه من المؤرخين فى وصفهم جميع العلماء الذين خالفوا ابن تيمية بأن هذا الخلاف كان ناتجا عن الحقد والحسد وأثبتنا أن هذه التهمة للعلماء كانت غير صحيحة اذ أن معظم خصومه من العلماء كانوا على درجة كبيرة من العلم والديانة ، فقد كانت خصومتهم له ناتجة من الاختلاف فى الرأى والحوار العلمى الذى كان يسود فى تلك الفترة بينهم . ومما يدلنا على ذلك ثناء بعض خصومه عليه أمثال ابن مخلوف وغيره . وبجانب هؤلاء العلماء كان هناك طائفة قليلة من غير العلماء كانوا يحسدونه فاستطاعوا أن يثيروا عليه الأمراء حيث نال الأذى منهم ، ونجد ابن تيمية نفسه يذكر لنا ما يحدث له على يد خصومه حيث يقول : " ولا عندى عتب على أحد منهم ولا لوم أصلا .... ولا يخلو الرجل . اما أن يكون مجتهدا مصيبا ... أو مخطئا ... أو مذنبا فالأول مأجور مشكور .. والثانى مع أجره على الاجتهاد معفو عنه مغفور له ، والثالث فالله يغفر لنا وله ".(١)

---

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية جـ ٢٨ ص ٥٢ - ٥٣ .

ويصور أيضا ابن تيمية هذا الحوار العلمي والمناقشة للوصول للحقيقة بأنه من مصالح المؤمنين ان يصلح الله بعضهم ببعض . فان المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا . والمؤمن للمؤمن كاليدين تغسل احداهما الأخرى ، وقد لا يزول الوسخ الا بشيء من الخشونة حيث ينتج عنه من النظافة والنعومة ما نحمد ذلك التخشين.(١)

وقد ألحقنا بالبحث رسائل تعد بمثابة وثائق تاريخية تصور لنا مدى العلاقة التي كانت بين سلاطين المغول وسلاطين المماليك وعن أسباب العداء بين الدولتين ثم هدوء الأحوال بينهما وقيام الصلح بعد أن حسن اسلام التتار في عهد السلطان سعيد بهادر خان .

كما كان هناك نص فرمان السلطان غازان بعد انتصاره في موقعة وادى الخازندار وتولية الأمير قبجق بلاد الشام واعطائه الأمان للسكان ، وتبين لنا هذه الوثيقة كذب اسلام غازان وعدم التزامه لعهوده ومواثيقة التي كانت مجرد حبر على ورق .

وفي الختام ندعو الله سبحانه وتعالى أن نكون قد وفقنا في ابراز نقاط البحث بوضوح وان كان فيها شيء من التقصير فليغفره لنا القارىء لأننا أولا وأخيرا بشر فينا التقصير ، فالكمال لله وحده .

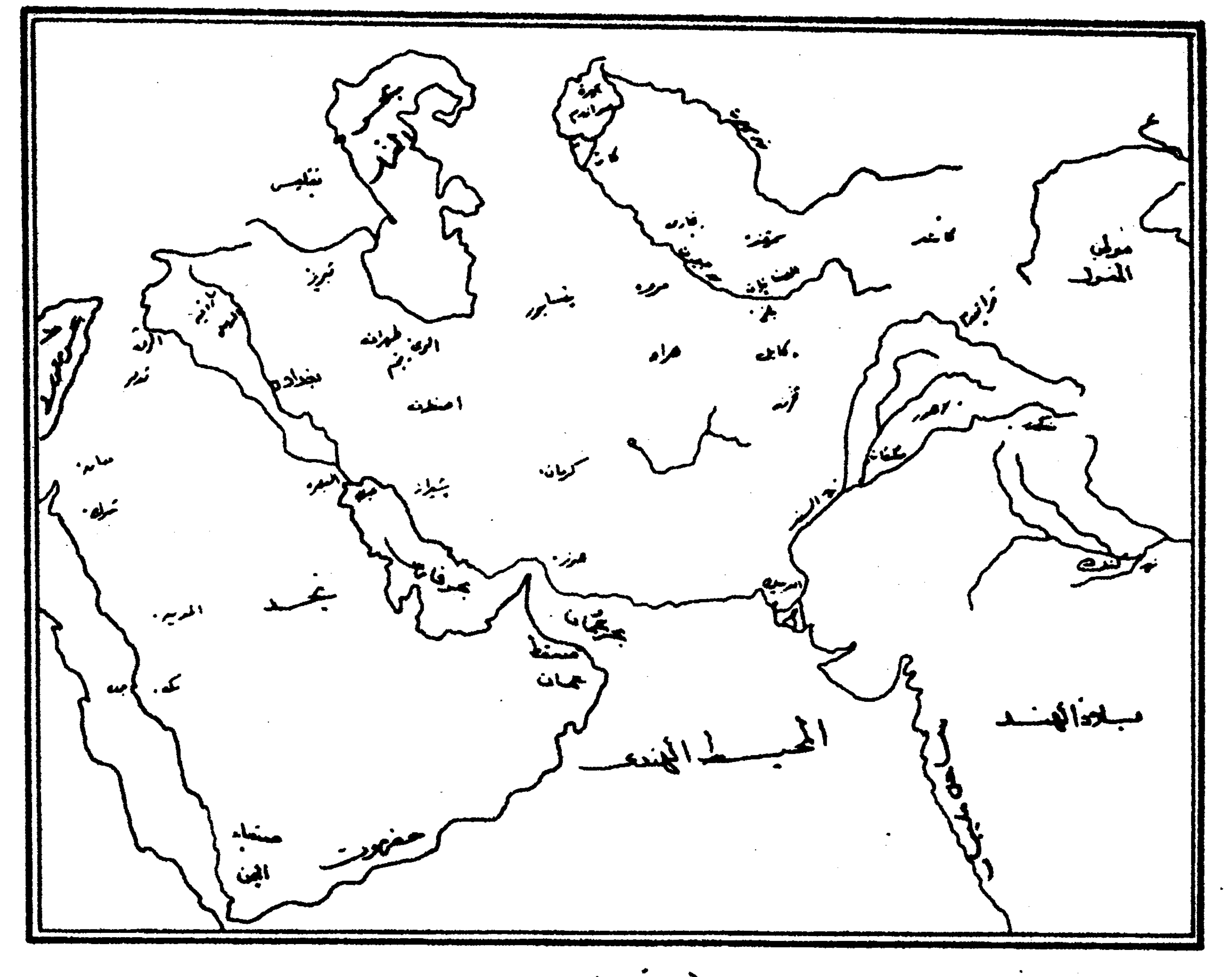
وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

---

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية جـ ٢٨ ص ٥٣ - ٥٤ .

ملاحق البحث

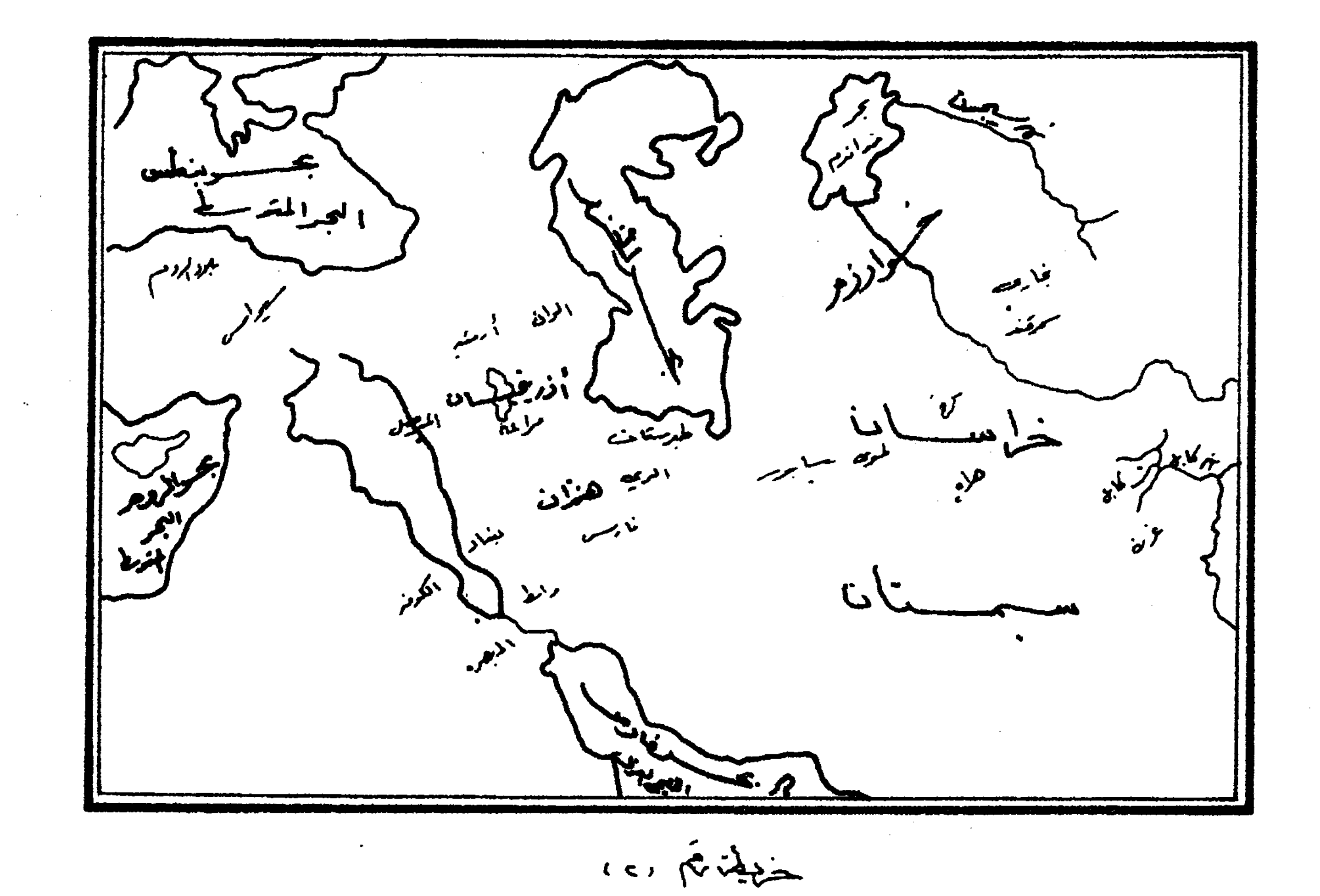
ملحق الخرائط



خريطة رقم (١)

خريطة مدن المشرق الاسلامي . نقلاً عن أطلس التاريخي

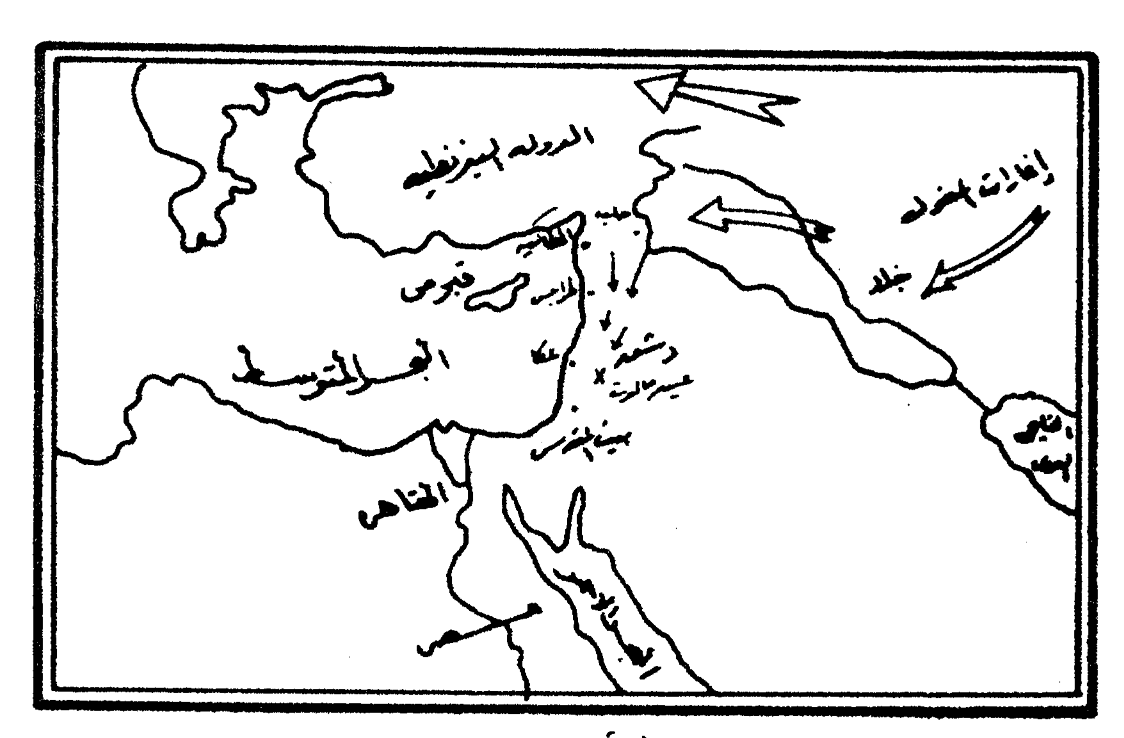
لنبين فيها موطن المغول واكتساحهم للعالم الاسلامي حتى سقوط بغداد



خريطة رقم (٢)

بلاد فارس والعراق من كتاب تاريخ الشعوب الإسلامية لكارل بروكلمان ص٤٥٦

ولبيان مملكة خوارزم شاه وجلال الدين منكبرتي



خريطة رقم (٣)

خريطة لإغارات المغول وعين جالوت

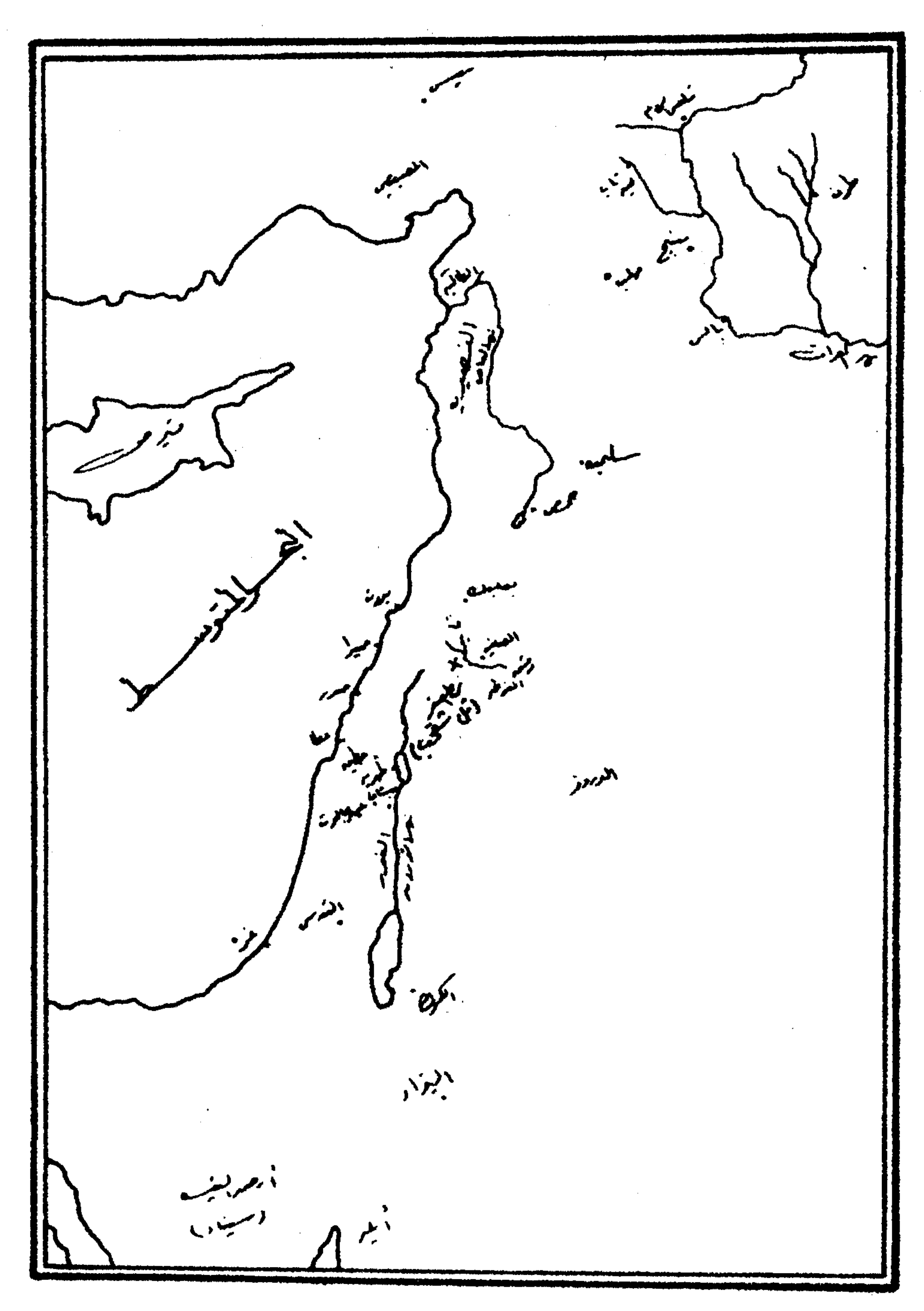
نقلا عن أحمد شلبي موسوعة التاريخ الإسلامي جـ ٥ ص ٢٠٢



شكل رقم (٤)

خريطة توضح موقعة وادى الخازندار بالقرب من سلمية

نقلا عن أطلس العالم المصحح ص٢٥



شكل رقم (٥)

خريطة توضيحية لبلاد الشام حيث كانت موقعة تل شقحب بالقرب من دمشق في مرج الصفر. نقلا عن الأطلس التاريخي

ملحق الرسائل

(ملحق رقم ١)

نص رسالة من هولاكو الى الملك الناصر صاحب دمشق وحلب(١)

" يعلم سلطان مصر ناصر طال بقاؤه(٢) أنا لما توجهنا الى العراق وخرج الينا جنودهم فقتلناهم بسيف الله ثم خرج الينا رؤساء البلد ومقدموها فكان قصارى كلامهم سببا لهلاك نفوس تستحق الهلاك وأما ما كان من صاحب البلد فانه خرج الى خدمتنا ودخل تحت عبودتنا فسألناه عن أشياء كذبنا فيها فاستحق الاعدام وكان كذبه ظاهرا ووجدوا ما عملوا حاضرا أجب ملك البسيطة ولا تقولن قلاعي المانعات ورجالي المقاتلات ولقد بلغنا أن شذرة من العسكر التجأت اليك هاربة والى جانبك لائذة :

انى المعز ولا معز لهارب .. ولنا البسيطان الثرى والماء

فساعه وقوفك على كتابنا تجعل قلاع الشام سماؤها أرضها وطولها عرضها . والسلام ".

---

(١) ابن العماد : شذرات الذهب ج ٦ ص ٢٧٢ - ٢٧٣ .

(٢) هكذا وجد فى النص ، ولعل مخاطبة هولاكو للناصر صاحب دمشق وحلب لسلطان مصر لظنه بأن مصر خاضعة لصاحب دمشق بصفته من كبار أمراء الأسرة الأيوبية .

(ملحق رقم ٢)

نص رسالة السلطان أحمد تكدار الى السلطان المنصور قلاوون سلطان المماليك سنة ٦٨١ هـ / سنة ١٢٨٢م (١)

بسم الله الرحمن الرحيم

بقوة الله تعالى

" باقبال قان "
فرمان أحمد

الى سلطان مصر، أما بعد فان الله سبحانه وتعالى بسابق عنايته ونور هدايته قد كان أرشدنا فى عنفوان الصبا، وريعان الحداثة الى الاقرار بربوبيته والاعتراف بوحدانيته، والشهادة لمحمد عليه أفضل الصلاة والسلام، بصدق نبوته، وحسن الاعتقاد فى أوليائه الصالحين من عباده وبريته (فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للاسلام) فلم نزل نميل الى اعلاء كلمة الدين واصلاح أمور الاسلام والمسلمين الى أن أفضى الينا بعد أبينا الجليل وأخينا الكبير نوبة الملك فأضفى علينا من جلابيب ألطافه ولطائفه ما حقق به آمالنا فى جزيل آلائه وعوارفه وجلى هذه المملكة علينا، وأهدى عقيلتها الينا فاجتمع عندنا فى قوريلتاى المبارك - وهو المجتمع الذى تقدح فيه الآراء - جميع الاخوان والأولاد والأمراء الكبار ومقدموا العساكر وزعماء البلاد واتفقت كلمتهم على تنفيذ ماسبق به حكم أخينا الكبير فى انفاذ الجم الغفير من عساكرنا التى ضاقت الأرض برحبها من كثرتها، وامتلأت الأرض رعبا من عظيم صولتها، وشديد بطشتها، الى تلك الجهة بهمة تخضع لها صم الأطواد، وعزمة تلين لها الصم الصلاد، ففكرنا فيما تمخضت زبد عزائمهم عنه، واجتمعت أهواؤهم عليه فوجدناه مخالفا لما كان فى ضميرنا من اقتفاء الخير العام، الذى هو عبارة عن تقوية شعار الاسلام، وان لا يصدر عن أوامرنا ما أمكننا الا ما يوجب حقن الدماء، وتسكين الدهماء، وتجرى به فى الأقطار، رخاء نسائم الأمن والأمان، ويستريح به المسلمون فى سائر الأمصار، فى مهاد الشفقة والاحسان تعظيما لأمر الله، وشفقة على خلق الله، فالهمنا الله تعالى اطفاء تلك النائرة، وتسكين الفتن

---

(١) القلقشندى : صبح الأعشى جـ ٨ ص ٦٥ - ٦٨ المقريزى : السلوك : جـ١ ق ٣ ص ٩٧٧ - ٩٨٠ وشيء من الاختصار أوردها آرنولد توينبى فى الدعوة الى الاسلام ص ٢٦١ - ٢٦٢.

الثائرة،واعلام من اشار بذلك الراى بما ارشدنا الله اليه : من تقديم مايرجى به شفاء مزاج العالم من الادواء ،وتاخير مايجب ان يكون اخر الدواء واننا لا نحب المسارعة الى هز النصال للنضال الا بعد ايضاح المحجة ولا نبادر لهما الا بعد تبيين الحق وتركيب الحجة،وقوى عزمنا على مارايناه من دواعى الصلاح ، وتنفيذ ماظهر لنا به وجه النجاح،اذ كان الشيخ قدوة العارفين "كمال الدين عبد الرحمن" الذى هو نعم العون لنا فى امور الدين فارسلناه رحمة من الله لمن (لبى) دعاه ونقمة على من اعرض عنه وعصاه وانفذنا اقضى القضاة قطب الملة والدين والاتابك بهاء الدين اللذين هما من ثقات هذه الدولة الزاهرة ليعرفوهم طريقتنا ويتحققق عندهم ماتنطوى عليه لعموم المسلمين جميل نيتنا وبينا لهم انا من الله تعالى على بصيرة وان الاسلام يجب ماقبله وانه تعالى القى فى قلوبنا ان نتبع الحق واهله، ونشهد ان عظيم نعمة الله للكافة بما دعانا اليه من تقديم اسباب الاحسان ان لا يحرموها بالنظر الى سائر الاحوال فكل يوم هو فى شان فان تطلعت فى نفوسهم الى دليل تستحكم بسببه دواعى الاعتماد،وحجة يثقون بها من بلوغ المراد فلينظروا الى ماظهر من امرنا مما اشتهر خبره،وعم اثره ،فانا ابتدأنا بتوفيق الله باعلاء اعلام الدين واظهاره،فى ايراد كل امر واصداره،تقديما لناموس الشرع المحمدى ، على مقتضى قانون العدل الاحمدى،اجلالا وتعظيما ، وأدخلنا السرور على قلوب الجمهور وعفونا عن كل من اجترح سيئة واقترف وقابلناه بالصفح وقلنا عفا الله عما سلف وتقدمنا باصلاح امور اوقاف المسلمين من المساجد والمشاهد والمدارس، وعمارة بقاع الدين والربط الدوارس،وايصال حاصلها بموجب عوائدها القائمة الى مستحقيها بشروط واقفيها،ومنعنا ان يلتمس شىء مما استحدث عليها ، وأن لا يغير احد شيئا مما قرر اولا، وامرنا بتعظيم امر الحجاج وتجهيز وفدها ،

وتأمين سبلها، وتسيير قوافلها وانا اطلقنا سبيل التجار المترددين الـــى
تلك البلاد ليسافروا بحسب اختيارهم على احسن قواعدهم وحرمنا على العساكر
والقراغولات والشحانى فى الاطراف التعرض لهم فى مصادرهم ومواردهم ، وقد
كان قراغول صادف جاسوسا فى زى الفقراء كان سبيله ان يهلك فلم نهرق دمه ؛
لحرمة ما حرمه الله تعالى واعدناه اليهم. ولا يخفى عنهم ماكان فى انفـــاذ
الجواسيس من الضرر العام للمسلمين، فان عساكرنا طالما رأوهم فى زى الفقـــراء
والنساك واهل الصلاح، فساءت ظنونهم فى تلك الطوائف فقتلوا منهم من قتلوا،
وفعلوا بهم ما فعلوا، وارتفعت الحاجة بحمد الله الى ذلك بما صدر اذننا به
من فتح الطريق وتردد التجار فاذا امعنوا الفكر فى هذه الامور وامثالهـــا
لا يخفى عنهم أنها اخلاق جبلية طبيعية وعن شوائب التكلف والتصنع عريـة ،
واذا كانت الحال على ذلك فقد ارتفعت دواعي المضرة التى كانت موجبـــة
للمخالفة، وانها ان كانت طريقا للذب والذود عن حوزة الاسلام فقد ظهر بفضـل
الله تعالى فى دولتنا النور المبين ، وان كانت لما سبق من الاسباب ، فمـــن
يتحرى الان طريق الصواب فان له عندنا الزلفى وحسن مآب . وقد رفعنـــا
الحجاب واتينا بفصل الخطاب وعرفناهم (طريقتنا و) ما عزمنا بنية خالصـــة
لله تعالى على استئنافها وحرمنا على جميع العساكر العمل بخلافها لنرضى اللـه
والرسول ويلوح على صفحاتها اثار الاقبال والقبول وتستريح من اختلاف الكلمة
هذه الامة وتتجلى بنور الائتلاف، ظلمة الاختلاف والغمة ، ويشكر سابغ ظلهـــا
البوادى والحواضر، وتقر القلوب التى بلغت من الجهل الحناجر ويعفى عـــن
سالف الجرائر ، فان وفق الله سلطان مصر الى ما فيه صلاح العالم وانتظام امـور
بنى ادم ، فقد وجب عليه التمسك بالعروة الوثقى، وسلوك الطريقة المثلى ، بفتـح

أبواب الطاعة والاتحاد ، وبذل الاخلاص بحيث تعمر تلك الممالك وتيك البلاد ، وتسكن الفتنة الثائرة وتغمد السيوف الباترة ،وتحل العامة ارض الهوينـــى وروض الهدون ، وتخلص رقاب المسلمين من اغلال الذل والهوان ،وان غلـب سوء الظن بما تفضل به واهب الرحمة ، ومنع معرفة هذه النعمة فقد شكر اللــه مساعينا وأبلى عذرنا ، (وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا) والله تعالى الموفق للرشاد والسداد ، وهو المهيمن على البلاد والعباد،ان شاء اللــه تعالى .

...

(ملحق رقم ٣)

نص رسالة السلطان المنصور قلاوون
الى السلطان أحمد تكدار (١)

بسم الله الرحمـــــن الرحـــيم

بقوة اللـــه تعالى   باقبال دولة السلطان الملك المنصور

كلام قلاوون

الى السلطان احمد

أما بعد حمد الله الذى اوضح لنا وبنا الحق منهاجا ، وجـــاء نصر الله والفتح ودخل الناس فى دين الله أفواجا، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الذى فضله الله على كل نبى نجى به امته وعلى كل نبى نجى ، صـــلاة تنير مادجا ، فقد وصل الكتاب الكريم، المتلقى بالتكريم، المشتمل على النبـــأ العظيم من دخوله فى الدين، وخروجه عمن سلف من العشيرة الاقربين، ولما فتح هذا الكتاب بهذا الخبر العلم المعلم، والحديث الذى صحح عند اهل الاسلام اسلامه واصح الحديث ماروى عن مسلم ، توجهت الوجوه بالدعاء الى الله سبحانه فـــى ان يثبته على ذلك بالقول الثابت وان ينبت حب هذا الدين فى قلبه كمـــا انبت احسن النبت من اخشن المنابت وحصل التأمل للفصل المتبدأ بذكـــره من حديث اخلاصه فى اول عنفوان الصبا الى الاقرار بالوحدانية، ودخوله فـــى الملة المحمدية، بالقول والعمل والنية ، فالحمد لله على ان شرح صدره للاسلام، والهمه شريف هذا الالهام، فحمدنا الله على ان جعلنا من السابقين الى هـــذا المقال والمقام، وثبت اقدامنا فى كل موقف اجتهاد وجهاد تتزلزل دونه الاقدام.

---

(١) القلقشندى : صبح الأعشى ج ٧ ص ٢٣٧ - ٢٤٢ ، المقريزى : السلوك ج١ ق ٣ ص ٩٨٠ - ٩٨٤ .

واما افضاء النوبة فى الملك وميراثه بعد والده واخيه الكبير اليه،وافاضة جلابيب هذه النعمة العظيمةعليه،وتوقفه للاسرة التى طهرها الله بايمانه واظهرها بسلطانه،فلقد اورثهاالله من اصطفاه من عباده،وصدق المبشرات من كرامةاولياء الله وعباده .

واما حكاية الاخوان والامراء الكبار ومقدمى العساكر وزعماء البلاد فى مجمع قوريلتاى الذى ينقدح فيه زند الاراء،وان كلمتهم اتفقت على ماسبقت به كلمةاخيه الكبير فى انفاذ العساكر الى هذا الجانب، وانه قد فكر فيما اجتمعت عليه آراؤهم وانتهت اليه اهواؤهم فوجده مخالفا لما فى ضميره : اذ قصده الصلاح ورأيه الاصلاح وانه اطفأ تلك النائرة وسكن تلك الثائرة فهذا فعل الملك المتقى المشفق من قومه على من بقى، المفكر فى العواقب، بالرأى الثاقب ، والا فلو تركوا وآراءهم حتى تحملهم الفرة، لكانت تكون هذه هى الكرة، لكن هو كمن خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى،فلم يوافق قول من ضل ولا فعل من غوى .

واما القول منه انه لا يحب المسارعة الى المقارعة الا بعد ايضاح المحجة،وتركيب الحجة،فبانتظامه فى سلك الايمان صارت حجتنا وحجته متركبة على من غدت طواغيته عن سلوك هذه المحجة متنكبة،فان الله سبحانه وتعالى والناس كافة قد علموا ان قيامنا انما هو لنصرة هذه الملة، وجهادنا واجتهادنا انما هو لله، وحيث قد دخل معنا فى الدين هذا الدخول، فقد ذهبت الاحقاد ، وزالت الذحول ، وبارتفاع المنافرة،تحصل المظافرة،فالايمان كالبنيان

يشد بعضه ببعض، ومن أقام مناره فله اهل باهل في كل مكان وجيران بجيران بكل ارض .

واما ترتيب هذه الفوائد الجمة على اذكار شيخ الاسلام قدوة العارفين كمال الدين عبدالرحمن، اعاد الله تعالى من بركاته، فلم ير لولى قبله كرامة كهذه الكرامة والرجاء ببركته وبركة الصالحين ان تصبح كل دار اسلام دار اقامة حتى تتم شرائط الايمان، ويعود شمل الاسلام مجتمعا كاحسن ماكان، ولا ينكر لمن بكرامته ابتداء هذا التمكين في الوجود ان كل حق ببركته الى نصابه يعود .

واما انفاذ اقضى القضاة قطب الملة والدين، والاتابك بهاء الدين الموثوق بنظهما في ابلاغ رسائل هذه البلاغة، فقد حضرا واعادا كل قول حسن من احوال احواله وخطارات خاطره، ومسارات ناظره، ومن كل ما يشكر ويحمد ويعنعن حديثهما فيه عن مسند احمد .

وأما الاشارة الى أن النفوس ان كانت تتطلع في اقامة دليل تستحكم (به) دواعي الود الجميل فلينظر الى ماظهر من آثاره في موارد الامر ومصادره من العدل والاحسان بالقلب واللسان، والتقدم باصلاح الاوقات ، فهذه صفات من يريد لملكه الدوام، فلما ملك عدل، ولم يلتفت الى لؤم من عدا ولا لوم من عذل . على انها وان كانت من الافعال الحسنة والمثوبات التي تستنطق بالدعاء الالسنة، فهي واجبات تؤدى، وهو اكبر من ان يؤخر غيره او عليه يقتصر اوله يد خر، انما يفتخر الملك العظيم بان يعطى ممالك واقاليم وحصون، او يبذل في تشييد ملكه اعز مصون .

واما تحريه على العساكر والقراغولات والشحانى بالا طراف التعرض الى احد بالاذى (وتحتيم) اصفاء موارد الواردين والصادرين من القذى فمن هين بلغنا تقدمه بذلك تقدمنا ايضا بمثله الى سائر النواب بالرحبة وحلب وعينتاب وتقدمنا الى مقدم العساكر باطراف تلك الممالك بمثل ذلك، واذا اتحد الايمان وانعقدت الايمان تحتم احكام هذه الاحكام، وترتب عليه جميع الاحكام.

واما الجاسوس الفقير الذى امسك واطلق وان بسبب من تزيا من الجواسيس بزى الفقراء قتل جماعة من الفقراء الصلحاء ربما بالظن، فهذا باب من ذلك الجانب ستروه والى الاطلاع على الامور صوروه، فظفر النواب منهم بجماعة فرفع عنهم السيف ولم يكشف ماغطاه خرقة الفقر ولا كيف.

وأما الاشارة الى أن فى اتفاق الكلمة يكون صلاح العالم وينتظم شمل بنى آدم، فلاراد لمن طرق باب الاتحاد، ومن جنح للسلم فما جار ولا حاد ومن ثنى عنانه عن المكافحة كمن يريد المصافحة للمصالحة والصلح وان كان سيد الاحكام فلابد من امور تبنى عليها قواعده وتعلم من مدلولها فوائده، فان الامور المسطورة فى كتابه عن كليات لازمة ينعم بها كل معنى معلوم ان تهيأ صلح اولم، وثم امور لابد ان تحكم وفى سلكها عقود العهود تنظم، قد تحملها لسان المشافهة التى اذا أوردت اقبلت من معنى دخوله فى الدين وانتظام عقده بسلك المؤمنين وما بسطه من عدل واحسان وسيرة مشهورة بكل لسان، فالمنة لله فى ذلك فلا يشيبها منه بامتنان وقد انزل الله تعالى على رسوله صلى الله عليه وسلم فى حق من امتن باسلامه (قل لا تمنوا على اسلامكم بل الله يمن عليكم ان هداكم للايمان).

ومن المشافهة انه قد اعطاه الله من العطاء ما اغناه به عن امتـــــداد الطرف الى مافى يد غيره من ارض ومال ، فان حصلت الرغبة فى الاتفاق على ذلك فالا من حاصل فالجواب ان ثم امورا متى حصلت عليها الموافقة تمت المصاحبة والمصادقة ورأى الله تعالى والناس كيف يكون اذلال معادينا واعزاز مصافينــا فكم من صاحب وجد حيث لا يوجد الاب والاخ والقرابة ، وماتم امر الديــــن المحمدى واستحكم فى صدر الاسلام الا بمظافرة الصحابة فان كانت له رغبـــة مصروفة الى الاتحاد ، وحسن الوداد ، وجميل الاعتضاد ، وكبت الاعداء والاضداد والاستناد الى من يشتد به الازر عند الاستناد فقد فهم المراد .

ومن المشافهة اذا كانت رغبتنا غير ممتدة الى مافى يده من ارض ومـــال فلا حاجة الى انفاذ المغيرين الذين يؤذون المسلمين بغير فائدة تعود ، فالجواب انه لو كف كف العدوان من هنالك ، وخلى لملوك المسلميـــــن مالهم من ممالك سكنت الدهماء ، وحقنت الدماء ، وما أحقه بان لا ينهى عـــن خلق ويأتى مثله ولا يأمر بشىء وينسى فعله وقنفرطاب بالروم الان وبيــــن بلاد فــــى أيديكم خراجها يجبى اليكم فقد سفك فيها وفتك وسبى وهتـك وباع الاحرار وأبى الا التمادى على ذلك والاصرار .

ومن المشافهة انه ان حصل التصميم على ان لا تبطل هذه الاغـــــارات ولا يقتصر عن هذه الاغارات فتعين مكانا يكون فيه اللقاء ويعطى الله النصر لمن يشاء ،

فالجواب عن ذلك ان الاماكن التى اتفق فيها ملتقى الجمعين مرة ومرة ومرة قد عاف موارد ها من سلف من اولئك القوم وخاف ان يعاودها فيعاوده مصرع

ذلك اليوم ، ووقت اللقاء علمه عند الله لا يقدر ، وما النصر الا من عند الله لمن أقدر لا لمن قدر ، وما نحن ممن ينتظر قلته ،ولا ممن له الى غير ذلك لفته، وما أمر ساعة النصر الا كالساعة التى لا تأتى الا بغتة ،والله تعالى الموفق لما فيه صلاح هذه الامة، والقادر على اتمام كل خير ونعمة ،ان شاء الله تعالى . مستهل شهر رمضان المعظم قدره سنة احدى وثمانين وستمائة، الحمد لله وحده، وصلواته على سيدنا محمد واله وصحبه . حسبنا الله ونعم الوكيل .

• • •

(ملحق رقم ٤)

نص رسالة السلطان غازان الى السلطان الناصر محمد بن قـــلاوون [(١)]

بسم الله الرحمن الرحيـم

بقوة الله تعالــــى

وميامين الملة المحمديـة

فرمان السلطان محمــــود غازان

ليعلم السلطان الملك الناصر ، أنه فى العام الماضى بعض عساكرهــــم المفسدة دخلوا اطراف بلادنا ،وافسدوا فيها لعناد الله وعنادنا كماردين ونواحيها ، وجاهروا الله بالمعاصى فيمن ظفروا به من اهليها واقدموا علـــى أمور بديعة وارتكبوا اثاما شنيعة من محاربة الله وخرق ناموس الشريعـــــة، فأنفنا من تهجمهم وغرنا ، من تقحمهم واخذتنا الحمية الاسلامية فجذبتنـــا الى دخول بلادهم ومقابلتهم على فسادهم ،فركبنا بمن كان لدينا من العساكـر، وتوجهنا بمن اتفق منهم انه حاضر ، وقبل وقوع الفعل منا واشتهار الفتك عنـــا سلكنا سنن سيد المرسلين ،واقتفينا اثار المتقدمين واقتدينا بقول اللــــه (لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل) وانفذنا صحبة يعقوب السكرجى جماعة من القضاة والائمة الثقات وقلنا (هذا نذير من النذر الاولى ازفت الازفة ليس لها من دون الله كاشفة) فقابلتم ذلك بالاصرار ،وحكمتم عليكم وعلـــى المسلمين بالاضرار ،وخالفتم سنن الملوك ،فى حسن السلوك ،وصبرنا على تماديكـم، فى غيكم وخلودكم الى بغيكم الى ان نصرنا الله واراكم فى انفسكم قضـــــاة (أفأمنوا مكر الله فلا يأمن مكر الله) وظننا انهم حيث تحققوا كنه الحال ، وآل بهم الامر الى ما آل انهم تداركوا الفارط من امرهم ورتقوا مافتقوا بغدرهم ووجه الينا وجه عذرهم فانهم ربما سيروا الينا حال دخولهم الى الديار المصرية ، رسلا لاصلاح تلك القضية فبقينا بدمشق غير متحمحين وتثبطنا تثبـــــط المتمكنين فصدهم عن السعى فى صلاح حالهم التوانى وطوقوا نفوسهم عن اليقين

---

(١) القلقشندى : صبح الأعشى جـ ٨ ص ٦٩ - ٧١ ، المقريزى : السلوك جـ ١ ق ٣ ص ١٠١٦ - ١٠١٨ .

بالالمانى ثم بلغنا بعد عودنا الى بلادنا انهم القوا فى قلوب العساكر والعوام، وراموا جبر ما اوهنوا من الاسلام، انهم فيما بعد يلقوننا على حلب والفراه ، وان عزمهم مصر على ذلك لا سواه فجمعنا العساكر وتوجهنا للقاهم ووصلنا الفرات مرتقبين ثبوت دعواهم وقلنا لعل وعساهم، فما لمع لهم بارق، ولا ذر شارقه فقدمنا الى اطراف حلب وعجبنا من تبطيهم غاية العجب وفكرنا فى انه متى تقدمنا بعساكرنا الباهرة، وجموعنا العظيمة القاهرة، ربما أخرب البلاد مرورها، وباقامتهم فيها فسدت أمورها، وعم الضرر العباد، والخراب البلاد، فعدنا بقيا عليها ونظرة لطف من الله اليها . وها نحن الان مهتمون بجمع العساكر المنصورة ومشحذون غرار عزائمنا المشهورة ومشتغلون بصنع المجانيق والات الحصار، وعازمون بعد الانذار (وماكنا معذبين حتى نبعث رسولا) وقد سيرنا حاملى هذا الكتاب الامير الكبير ناصر الدين على خواجا والامام العالم ملك القضاة جمال الدين موسى ابن يوسف وقد حملناهم كلاما شافهناهما به فلتثقوا بما تقدمنا به اليهما فانهما من الاعيان، المعتمد عليهما فى الديوان كما قال الله تعالى (فلله الحجة البالغة فلو شاء لهداكم اجمعين) فلتعدوا لنا الهدايا والتحف فما بعد الانذار من عاذر، وان لم تتداركوا الارض فدماء المسلمين واموالهم مطلولة بتدبيرهم، ومطلوبة عند الله فى طول تقصيرهم .

فليمعن السلطان لرعيته النظر فى امره فقد قال صلى الله عليه وسلم " من ولاه الله امرا من امور هذه الامة فاحتجب دون حاجتهم وخلتهم، احتجب دون حاجته وخلته وفقره " وقد اعذر من انذر وانصف من حذر والسلام على

من اتبع الهدى ـ في العشر الاوسط من شهر رمضان سنة سبعمائـــة
ـ بجبال الاكراد . والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنـا
(محمد) المصطفى واله وصحبه وعترته الطاهرين .

• • •

قائمة المصادر والمراجع

أولا : المصادر العربية :

- القرآن الكريم .

- الألوسى

السيد نعمان خير الدين (١٣١٧هـ / ١٨٩٩م)

- جلاء العينين فى محاكمة الأحمدين

دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان

- ابن الأثير

عز الدين على بن محمد الشيبانى (ت ٦٣٠ هـ/ ١٢٣٤م)

- الكامل فى التاريخ ١٢ مجلد + فهارس

صادر دار بيروت - بيروت - ١٣٨٥هـ/ ١٩٦٥م.

- البزار

عمر بن على (ت ٧٤٩ هـ / ١٣٤٨م)

- الأعلام العلية فى مناقب شيخ الاسلام ابن تيمية
تحقيق : صلاح الدين المنجد
دار الكتاب الجديد - بيروت - لبنان - الطبعة الأولى
١٣٩٦ هـ / ١٩٧٦م .

- ابن تيمية
تقى الدين أحمد عبد الحليم (ت ٧٢٨ هـ / ١٣٢٧م)
- الايمان
صححه وعلق عليه محمد خليل هراس
دار الطباعة المحمدية بالأزهر - القاهرة .

- الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ٣ أجزاء
مطابع المجد التجارية

- الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان
المكتب الاسلامى - بيروت - الطبعة الخامسة - ١٤٠١ هـ /
١٩٨١م .

- التوسل والوسيلة
الدار العربية للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت - لبنان -
١٣٩٠ هـ / ١٩٧٠م .

- الحسبة فى الاسلام أو وظيفة الحكومة الاسلامية
دار الكاتب العربى

- الصارم المسلول على شاتم الرسول

تحقيق : محمد محى الدين عبد الحميد

دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م.

- الكلم الطيب

الناشر : مكتبة الجمهورية العربية

- الرسالة القبرصية

تحقيق : على السيد صبح المدنى

نشر وتوزيع : رئاسة ادارة البحوث العلمية والافتاء والدعوة والارشاد ـ المملكة العربية السعودية .

- السياسة الشرعية فى اصلاح الراعى والرعية

دار الكتاب العربى ـ القاهرة ـ الطبعة الرابعة ١٩٦٩ م .

- اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم

مطابع المجد التجارية

- منهاج السنة النبوية فى نقض كلام الشيعة والقدرية ٤ أجزاء

دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان .

- الفتاوى الكبرى ٥ أجزاء

قدم له وعرف به حسنين محمد مخلوف

دار المعرفة للطباعة والنشر ـ بيروت ـ لبنان

- مجموع فتاوى ابن تيمية ٣٧ جزء

جمع وترتيب : عبد الرحمن بن محمد بن قاسم وابنه محمد

مكتبة المعارف ـ الرباط ـ المغرب

- ابن تغرى بردى

جمال الدين يوسف الأتابكى (ت ٨٧٤ هـ / ١٤٦٩ م)

- النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة ١٤ جزء

دار الكتب المصرية - الطبعة الأولى

- ابن حجر

شهاب الدين أحمد بن حجر العسقلانى (ت ٨٥٢ هـ/١٤٤٨م)

- الدرر الكامنة فى أعيان المئة الثامنة

تحقيق محمد سيد جاد الحق

دار الكتب الحديثة - القاهرة

- حاجى خليفة

مصطفى بن عبد الله كاتب جلبى (ت ١٠٦٧ هـ / ١٦٥٦ م)

- كشف الظنون عن أسامى الكتب والفنون جزئين

مكتبة المثنى بغداد - مكتبة المثنى - بيروت

- ابن خلدون

عبد الرحمن بن محمد الحضرمى المغربى (ت ٨٠٨ هـ/١٤٠٥م)

- تاريخ ابن خلدون

١٣٩١هـ/ ١٩٧١م.

- ابن دقيق العيد

محمد بن علي بن وهب - تقى الدين (ت ٧٠٢ هـ / ١٣٠٢ م)

- شرح الأربعين حديثا النووية

مكتبة التراث الاسلامى

- الذهبي

شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان (٧٧٣ هـ / ١٣٧١م)

- تذكرة الحفاظ ٤ أجزاء

مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية - حيدر آباد - الدكن - الهند - الطبعة الرابعة ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م.

- ابن رجب

عبد الرحمن بن شهاب الدين أحمد البغدادي (٧٩٥ هـ / ١٣٩٢ م).

- الذيل على طبقات الحنابلة ٢ جزئين

دار المعرفة للطباعة والنشر - بيروت - لبنان

- السيوطي

عبد الرحمن بن أبي بكر (ت ٩١١ هـ / ١٥٠٥ م)

- تاريخ الخلفاء

تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد

مطبعة السعادة - مصر - الطبعة الأولى ١٣٧١هـ/ ١٩٥٢م)

- السبكي

عبد الوهاب ابن تقي الدين (ت ٧٧١ هـ / ١٣٧٠م)

- طبقات الشافعية الكبرى ٦ أجزاء

دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت - لبنان - الطبعة الثانية

- ابن الطقطقى

محمد بن على بن طباطبا (ت ٧٠٩ هـ / ١٣٠٩ م)

- الفخرى فى الآداب السلطانية والدول الاسلامية

مطبعة محمد على صبيح وأولاده ١٣٨١ هـ/١٩٦٢م.

- ابن العماد

عبد الحى ابن العماد الحنبلى (ت ١٠٨٩ هـ / ١٦٧٨ م)

- شذرات الذهب فى أخبار من ذهب

دار الآفاق الجديدة - بيروت

- ابن عبد الهادى (ت ٧٤٤ هـ / ١٣٤٣ م)

الامام الحافظ محمد بن عبد الهادى

- العقود الدرية من مناقب شيخ الاسلام أحمد بن تيمية

تحقيق محمد حامد الفقى

دار الكتب العلمية - بيروت

- الغياث

عبد الله بن فتح الله البغدادى الملقب بالغياث (كان حيا قبل سنة ٨٩٠ هـ / ١٤٨٥ م).

- التاريخ الغياثى

تحقيق : طارق نافع الحمدانى

مطبعة أسعد - بغداد - ١٩٧٥م.

- أبو الفداء

الملك المؤيد عماد الدين اسماعيل (ت ٧٣٢ هـ / ١٣٣١ م)

- المختصر في أخبار البشر ٤ أجزاء

دار المعرفة للطباعة والنشر - بيروت - لبنان

- القلقشندى

أحمد بن علي (ت ٨٢١ هـ / ١٤١٨ م)

- صبح الأعشى في صناعة الانشا ١٤ جزء

مطابع كوستاتسوماس وشركاه - القاهرة

- الكتبى

محمد بن شاكر (ت ٧٦٤ هـ / ١٣٦٣ م)

- فوات الوفيات ٥ أجزاء

تحقيق : احسان عباس

دار صادر - بيروت - ١٩٧٣م.

- ابن كثير

عماد الدين أبو الفداء اسماعيل بن عمر (ت٧٧٤هـ/ ١٣٧٣ م)

- البداية والنهاية ١٤ جزء

مكتبة المعارف- بيروت - الطبعة الثانية - ١٩٧٧م.

- المقريزى

أحمد بن علي (ت ٨٤٥ هـ / ١٤٤٢ م)

- السلوك لمعرفة دول الملوك

صححه محمد مصطفى زياده

لجنة التأليف والترجمة والنشر - الطبعة الثانية

- المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار (الخطط المقريزية)

٢ جزئين

دار صادر - بيروت

- النسوى

محمد بن أحمد (كان حيا قبل ٦٣٩هـ/ ١٢٤١م)

- سيرة السلطان جلال الدين منكبرتي

تحقيق : حافظ أحمد حمدى

دار الفكر العربي

- ابن هشام

أبو محمد عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميرى (٢١٣ هـ / ٨٢٨ م).

- السيرة النبوية

تحقيق : مصطفى السقا - ابراهيم الابيارى - عبد الحفيظ شلبى .

مطبعة مصطفى البابى الحلبى وأولاده - مصر - الطبعة الثانية ١٣٧٥ هـ/ ١٩٥٥م.

- ابن واصل

جمال الدين محمد بن سالم بن واصل (ت ٦٩٧هـ / ١٢٩٧م)

- مفرج الكروب في أخبار بني أيوب ٥ أجزاء

تحقيق : حسنين محمد ربيع

دار الكتب ١٩٧٢م

- ابن الوردى

زين الدين عمر (ت ٧٤٩ هـ / ١٣٤٨م)

- تتمة المختصر فى أخبار البشر ٢ جزئين

تحقيق : أحمد رفعت البدراوى

دار المعرفة - بيروت - الطبعة الأولى ١٣٨٩هـ/١٩٧٠م

.. ..

ثانيا : المراجع العربية :

- الاستانبولى

محمود مهدى

- ابن تيمية بطل الاصلاح الدينى

مكتبة دار المعرفة - دمشق - الطبعة الثانية ١٣٩٧ هـ / ١٩٧٧م .

- البدرى

عبد العزيز

- الاسلام بين العلماء والحكام

دار مكتبة الحياة للطباعة والنشر - بيروت ١٩٦٦م .

- البدوى

عبد الرحمن

- تاريخ التصوف الاسلامي

وكالة المطبوعات - الكويت - الطبعة الأولى ١٩٧٥م .

- البغدادى

اسماعيل باشا البغدادى (ت ١٣٣٩هـ/ ١٩٢٠م)

- هدية العارفين . أسماء المؤلفين وآثار المصنفين جزئين

مكتبة المثنى - بغداد ١٩٥١م .

- ايضاح المكنون فى الذيل على كشف الظنون

تصحيح : محمد شرف الدين - رفعت بيلكه الكيس

مكتبة المثنى - بغداد .

- الجليند
محمد السيد
- الامام ابن تيمية وموقفه من قضية التأويل
الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية - القاهرة ١٩٧٣م.

- الجندى
أنور الجندى
- نوابغ الفكر الاسلامى
دار الرائد العربى - بيروت - لبنان ١٩٧٩م.

- حافظ
عبد السلام هاشم
- الامام ابن تيمية
مطبعة مصطفى البابى الحلبى وأولاده - مصر - الطبعة الأولى ١٣٨٩ هـ / ١٩٦٩م.

- أبو خليل
شوقى أبو خليل
- عوامل النصر والهزيمة عبر تاريخنا الاسلامى
دار الفكر - دمشق - الطبعة الأولى ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م.

- الزين
محمد حسنى
- منطق ابن تيمية ومنهجه الفكرى
المكتب الاسلامى - بيروت - الطبعة الأولى ١٣٩٩ هـ/ ١٩٧٩م.

- أبو زهرة
محمد
- ابن تيمية ، حياته وعصره - آراؤه وفقهه
دار الفكر العربى.

- تاريخ المذاهب الاسلامية ٢ جزئين
دار الفكر العربى

- عبد الرزاق
مصطفى
- خمسة من أعلام الفكر الاسلامى
دار الكاتب العربى

- عبد الله
محمد حسن
- عزالدين بن عبد السلام بائع الملوك !!
مطبعة الاستقلال الكبرى ١٩٦٢م

- على
محمد كرد
- ترجمة شيخ الاسلام ابن تيمية
تحقيق : زهير الشاويش
المكتب الاسلامى - بيروت - الطبعة الثالثة - ١٣٩٨هـ/
١٩٧٨م.

- عنان
محمد عبد الله
- مواقف حاسمة
لجنة التأليف والترجمة والنشر - القاهرة - الطبعة الرابعة
١٣٨٢ هـ / ١٩٦٢م.

- غنام
طلعت
- أضواء على التصوف
عالم الكتب - القاهرة

- المتولى
صبرى
- منهج ابن تيمية فى تفسير القرآن الكريم
عالم الكتب - القاهرة - ١٤٠١ هـ / ١٩٨١م.

- الندوى
أبو الحسن على الحسنى
- رجال الفكر والدعوة فى الاسلام ٢ جزئين
تعريب : سعيد الأعظمى الندوى
دار القلم - بيروت - الطبعة الثالثة - ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م.

.. ..

ثالثا : المعاجم والموسوعات :

- الرازى

محمد بن أبي بكر بن عبد القادر

- مختار الصحاح

ترتيب محمود خاطر

الهيئة المصرية العامة للكتاب .

- الزركلى

خير الدين

- الأعلام - قاموس تراجم ٨ أجزاء

دار العلم للملايين - بيروت - لبنان - الطبعة الرابعة

١٣٩٩ هـ / ١٩٧٩م.

- شلبى

أحمد

- موسوعة التاريخ الاسلامي والحضارة الاسلامية ٥ أجزاء

مكتبة النهضة المصرية - الطبعة الثانية ١٩٧٢م.

- غربال

محمد شفيق ، مع مجموعة مؤلفين

- الموسوعة العربية الميسرة

دار الشعب ومؤسسة فرنكلين للطباعة والنشر - الطبعة

الثانية - ١٩٧٢م.

- كحالــة

عمر رضــا

- معجم المؤلفين : تراجم مصنفي الكتب العربية ١٥ جزء

مكتبة المثنى - دار احياء التراث العربي - بيروت

- ماجـد

عبد المنعم

- الأطلس التاريخي للعالم الاسلامي في العصور الوسطى

رسم خرائطه وحققه : على البنـا

دار الفكر العربي - الطبعة الثانية ١٩٦٧م.

- مكى

محمد على

- أطلس العالم الصحيح

دار مكتبة الحياة - بيروت - ١٩٧٨م.

- ابن منظور

جمال الدين محمد بن مكرم الأنصارى (ت ٧١١ هـ/١٣١١م)

- لسان العرب

الدار المصرية للتأليف والترجمة

- ياقوت

شهاب الدين بن عبد الله الحموى (ت ٦٢٢هـ/ ١٢٢٩م)

- معجم البلدان ٥ أجزاء

دار صادر - دار بيروت - بيروت.

رابعا : الدوريات :

- مجلة رسالة المسجد

العدد الرابع ـ السنة الرابعة ـ ربيع الأول ١٤٠١ هـ / يناير ١٩٨١م.

- مجلة هذه سبيلي

العدد الرابع ـ اصدار المعهد العالي للدعوة الاسلامية بالرياض مقالة محمد عبد العليم العدوى بعنوان : الداعية المجاهد شيخ الاسلام ابن تيمية .

- جريدة الأهرام ـ القاهرة

عدة مقالات بقلم : عبد الرحمن الشرقاوى

بتاريخ : ١٨/٨/١٩٨٢م
٨/٩/١٩٨٢م
٢٢/٩/١٩٨٢م

- مجلة الوعي الاسلامي

العدد (٣٣) السنة الثالثة ـ غرة رمضان ١٣٨٧ هـ / ديسمبر ١٩٦٧م.

...

خامسا : مراجع أجنبيـــة :

- آرنولد

توماس

- الدعوة الى الاسلام

ترجمة : حسن ابراهيم حسن ، عبد المجيد عابديـــن ، اسماعيل النحراوى .

الطبعة الثالثة ١٩٧٠م.

- بروكلمان

كارل

- تاريخ الشعوب الاسلامية

ترجمة : نبيه أمين فارس ، منير البعلبكى

دار العلم للملايين - بيروت - الطبعة السابعة ١٩٧٧م.

- لاووست

هنرى

- نظريات شيخ الاسلام ابن تيمية فى السياسة والاجتماع

ترجمة : محمد عبد العظيم على

تقديم وتعليق : مصطفى حلمى

دار الأنصار - القاهرة - ١٩٧٩م.

- Khan

- Qamarueldin
- The Political Thought of IBn. Taymiyah
Islamabad - 1973.

- ويستفاد

جدول السنين الهجرية بلياليها وشهورها بما يوافقها من السنين الميلادية بأيامها وشهورها .

ترجمة : عبد المنعم ماجد ، عبد المحسن رمضان

مكتبة الأنجلو المصرية ، الطبعة الأولى سنة ١٩٨٠م.

. . . . . .